

الفقيه الأكبر

بشرح قطف الثمر

في بيان

عقيدة أهل الأثر

لصديق بن حسين لقنوجي رحمه الله

تأليف

أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد بن حسين الحنجوري

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

محمدي بن علي الحنجوري حفظه الله تعالى

المجلد الثاني

دار الأمانة
للنشر والتوزيع



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع القانوني : ٢٠٠٨/٨٢٤٥

دار الأناضول

٢٨ منية التحرير، جسر السويس، عين شمس الشرقية، القاهرة، ج.م.ع

ت ٢٦٤٢٢٣٢٣ ٢٦٣٦٣٧٨٦

موقعنا على الإنترنت: www.dar-alathar.com البريد الإلكتروني: Info@dar-alathar.com

صفة الكلام

قوله: (فصل. ومن مذهب أهل الحق):

أي ومن اعتقاد أصحاب الحق؛ وهم أصحاب الحديث والسنة، كما ذكره في أول الكتاب، وإن شئت قلت أهل السنة والجماعة، أو الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أو السلفيون، كل هذه الألقاب والمسميات لطائفة واحدة، ومسمى واحد، وهم من نصر الحق، ودافع عنه، وذبح عنه، وسار عليه شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم تلعب بهم الأهواء، أو تعصف بهم الفتن، فله درهم، وجعلنا منهم، ولا خير فينا إن لم نكن منهم، ونسأل الله أن يحشرنا في زمريهم.

قوله: (ومما اتفق عليه أهل التوحيد والصدق):

أي ومما انعقد عليه الإجماع، وهو: اتفاق مجتهدي الأمة على أمر ديني من الموحدين، وهم الذين وحدوا الله حق توحيده، وطبقوا توحيد الله، وهو قسمان: الأول: توحيد المعرفة والإثبات، ويشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات. الثاني: توحيد القصد والطلب، وهو توحيد الألوية والعبادة. راجع فتح المجيد (ص ١٧).

وهؤلاء هم الصادقون في اتباعهم، وصحة اعتقادهم؛ لتحريم صدق فعلهم ما أمرهم به الله تعالى، وأمره ﷺ.

قوله: (أن الله لم يزل متكلياً):

الكلام صفة فعلية ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

والكلام في اللغة: اسم لكل ما يتكلم به مفيداً كان أو غير مفيد.

أهـ من شرح ابن عقيل.

وفي اصطلاح النحويين قال ابن مالك: كلامنا لفظ مفيد كاستقم.

أي هو اللفظ المفيد، واللفظ: هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية.

والمراد بالمفيد: دل على معنى يحسن السكوت عليه.

راجع أوضح المسالك (١/ ١١).

والتكلم اسم فاعل من التكلم، وهو مَنْ قامت به صفة الكلام فيها صار متكلماً.

والله سبحانه وتعالى متكلم ولا زال كذلك؛ ولذا وصف بأنه متكلم.

ومن الأدلة على كلام الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ

الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ

اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وروى البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ

ﷺ قَالَ: «اِخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيْبَتِنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ

الْجَنَّةِ قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ

اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى - ثَلَاثًا -».

وروى أحمد برقم (١٥١٩٢)، وأبو داود برقم (٤٧٣٤) وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْزُضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالَ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟»، فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ قَالَ: «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَحْفَرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: آتِيهِمْ، فَأَخْبِرْهُمْ، ثُمَّ آتَيْكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَنْطَلَقَ، وَجَاءَ وَفَدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ.

هذا حديث صحيح.

قوله: (كلام مسموع):

فالكلام الذي يسمع بقراءة القرآن هو كلام الله، وهو مسموع بالأذان حاشا الصوت، فهو صوت القارئ.

فالكلام المسموع بقراءة القرآن كلام الباري، والصوت القاري، الدليل على ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

رواه ابن حبان كما في الإحسان برقم (٤٥٠) وهو حسن.

وعند أبي داود برقم (١٤٦٨) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

هذا حديث صحيح.

فأضاف رسول الله ﷺ الأصوات للقرآن؛ لأنها مكتسبة لهم، وفعلهم بخلاف المقروء فهو كلام الله.

قوله: (مفهوم):

أي واضح أنه كلام حقيقي يفهمه كل عربي؛ لأنه نزل بلغة العرب (أعني القرآن)، وكذا التوراة نزلت بالعبرانية يفهمها أهل هذه اللغة وهكذا.
قوله: (مكتوب):

أي في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف ينسخه الناسخون، ويطبعه الطابعون بالآتهم، وهو في الحقيقة كلام الله تعالى.

قوله: (قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]):

قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٠ / ٢٦٥):

قال أحمد بن يحيى في قول الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: لو جاءت كلم الله موسى مجردة لاحتمل ما قلنا، وما قالوا، يعني المعتزلة، فلما جاءت: (تكليماً) خرج الشك الذي يدخل في الكلام، وخرج الاحتمال للشيين.

والعرب تقول إذا ووكد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوًا، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك. اهـ.

قوله: (وقال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا يكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث. رواه عدي بن حاتم عنه ﷺ):

رواه البخاري برقم (٧٥١٢) ومسلم برقم (١٠١٦) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قوله: (وروى جابر بن عبد الله قال: لما قتل عبد الله - يعني أباه - قال رسول الله ﷺ: «يا جابر! ألا أخبرك بما قال الله لأبيك؟» قال: بلى. قال: «ما كلم أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا» الحديث):

عن جابر بن عبد الله قال: لما قتل عبد الله - يعني أباه - لقيني رسول الله ﷺ، فقال لي: «يا جابر! ما لي أراك منكسرًا؟!» قلت: يا رسول الله استشهد أبي فُتِلَ يوم أُحُدٍ، وترك عيالًا، ودينًا قال: «أفلا أبشرك بما لقيني الله به أباك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: «ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجابٍ وأخيا أباك، فكلمه كفاحًا، فقال: يا عبدي ممن علي أعطك قال: يا ربِّ تحييني، فأقتل فيك ثانية قال الربُّ عزَّ وجلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُزْجَعُونَ قَالَ: وَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩].

حسن، رواه الترمذي برقم (٣٠١٠) وابن ماجه برقم (١٩٠) والدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٤ وابن أبي عاصم برقم (٦١٥) والبخاري في تفسيره (٣٧٠/١) وابن خزيمة في التوحيد برقم (٥٩٩) وابن حبان كما في الإحسان برقم (٧٠٢٢) والحاكم في المستدرک (٢٠٣/٣-٢٠٤) والبيهقي في الدلائل (٢٩٨/٣-٢٩٩) والواحدي في أسباب النزول ص ١١٠، والأصبهاني في الحجة (١/٣٩٤).

من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال: سمعت طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي.. فذكره، قال وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث

موسى بن إبراهيم.

وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

وقلت: هو حسن؛ فإن موسى بن إبراهيم قد روى عنه جماعة منهم ابن المديني وهو ممن اشترط ألا يروي إلا عن ثقة.

وقوله: «كفاحًا» قال ابن الأثير في النهاية (٤ / ١٨٥):

أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

قوله: (والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه):

الوحي لغة: الإعلام في خفاء.

وشرعًا: الإعلام بالشرع، كما في فتح الباري (١ / ١٢).

ومعنى القرآن في وحي الله: أي كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ.

أقسام الوحي الشرعي:

والوحي الشرعي أقسام:

الأول: تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب كما حصل لموسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥٢].

الثاني: الوحي العام أو القذف في القلب؛ بأن يلقي الله، أو الملك الموكل بالوحي

في قلب نبيه ما يريد مع تبقية أن ما ألقى إليه من قبل الله تعالى كما في حديث أبي أمامة مرفوعًا «إن روح القدس نفث في روعي».

ومعنى نفث في روعي: أي أوحى إليّ وحيًا خفيًا.

والروح قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢٧٧): أي في نفسي وخلدي.

الثالث: الرؤيا في المنام، فرويا الأنبياء كما في الصحيحين البخاري برقم (٣)، ومسلم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ» قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» فَزَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَتَّصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ

قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْخَرِجِي هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَهُ أَنْ تُؤْفَى، وَفَرَّ الْوَحْيُ.

الرابع: تعليم الأنبياء بواسطة ملك، والمختص بذلك من الملائكة جبريل عليه السلام.

صفة حامل الوحي:

لحامل الوحي ثلاث حالات هي:

الأول: أن يأتيه في صورته التي خلقه الله عليها، وهذه الحالة نادرة جدًا كما رآه النبي ﷺ في صورته وخلقته سادًا ما بين الأفق، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ رَعِمَ أَنْ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلَقَهُ سَادًا مَا بَيْنَ الْأَفْقِ.

رواه البخاري برقم (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧).

الثاني: أن يأتيه في صورة رجل، كما في حديث عمر الطويل المشهور بحديث

جبريل رواه مسلم (٨)، وقد تقدم، والحديث الآتي في الفقرة التالية.

الثالث: أن يأتي على صورته الملكية، وهذا يصحب مجيئه مثل صلصلة الجرس،

لحديث عائشة عند البخاري برقم (٢)، ومسلم (٢٣٣٣) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ

أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَخْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِيبِي مَا يَقُولُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَقَصَّدُ عَرَقًا.
قوله: (وتنزيله):

قال الله تعالى: ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ١-٣]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال تعالى: ﴿حَمْدٌ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣].

قوله: (والمسموع من القارئ كلام الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وإنما سمعه من القارئ):

فالكلام الذي سمع من قارئ القرآن هو كلام الله، والصوت للقارئ، كما تقدم (ص ٣٥٧).

قوله: (وقال عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]):

هذه الآية في المنافقين، وحيث وعدوا المؤمنين باختصاصهم بغنائم الحديبية دون غيرهم فأراد المنافقون تغير وعد الله للمؤمنين فأرادوا أن يصيبوا منها، قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ

يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿[الفتح: ١٥]﴾.

قوله: (وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]):

والذكر هو القرآن حفظه الله من التبديل، والتحريف والتغيير اللفظي إلى قيام الساعة.

قوله: (وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]):

والروح الأمين: هو جبريل عليه السلام.

قوله: (وهو محفوظ في الصدور، كما قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]):

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن كلام الله.

وقوله: ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: أي علامات واضحة الدلالة يعرف بها دين الله.

وقوله: ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، أي محفوظاً في صدور أصحاب محمد ﷺ، وكذا يحفظه المسلمون ويقرؤونه.

قوله: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةً كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّي، وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عَقْلِهِ»):

الحديث رواه البخاري برقم (٥٠٣٢) وليس عنده قوله (من عقله)، ومسلم برقم (٧٩٠).

وقوله: «استذكروا القرآن»: أي رابطوا على تلاوته، واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به.

وقوله: اشد تفصيلاً أي تفلتاً وتخلصاً.

كما في الفتح (١٠٢/٩).

والنعم تشمل الإبل والبقر والغنم، لكن المراد هنا الإبل كما جاء بنحو هذا الحديث حديث ابن عمر عند البخاري برقم (٥٣١)، ومسلم (٧٨٨)، وحديث أبي موسى عند البخاري برقم (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١) وفي كليهما «الإبل»، فيكون قوله في حديث ابن مسعود النعم عام مخصوص.

قوله: (وهو مكتوب في المصاحف، منظور بالآعين، قال تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور: ٢-٣]):

أي وكتاب مكتوب، والمراد به القرآن الكريم.

والرق: هي الصحف التي يكتب فيها.

والمكتوب هو كلام الله، أما الخبر الذي كتب به الكلام فليس بكلام الله.

قال ابن المبارك: الورق والمداد مخلوق، أما القرآن فليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل.

رواه البيهقي في الأسماء والصفات وهو برقم (٥٧١) وهو صحيح.

قوله: (وقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]):

قال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل (١٦/١٩-٢١):

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي له كرم وشرف، وقدر رفيع؛ لاشتماله على أمهات الحِكَم والأحكام، وما ينطبق عليه حاجات الأنام على الدوام، ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، أي محفوظ مصون لا يتغير ولا يتبدل، أو محفوظاً عن ترداد الأيدي عليه كغيره من

الكتب، بل هو كالدِّر المصون إلا عن أهله، كما قال: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾... وذكر الأقوال في معنى ﴿المطهرون﴾.

والراجح أن المراد بهم الملائكة: وعلى هذا فيكون الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، وهو الصواب، ودليله أيضًا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٢-١٦]. وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير كما في زاد المسير (٣٣٧/٧):

وذلك أن الآية في معرض الإخبار الجماعي عن القرآن، ولا يصح حمله على المصحف؛ إذ قد يمس الكافر وهو نجس.

وأما على القول الثاني: وهو الذي عليه المصنف رحمه الله تعالى، فالمراد بالكتاب المصحف، ففي المطهرين أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور.

الثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب.

الثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: لا يجد طعمه إلا من آمن به، حكاه الفراء.

أهـ من زاد المسير (٣٣٧٨-٣٣٨).

وعلى القول الثاني فحمله على المطهر من الشرك أولى؛ لأن المسلم لا ينجس،

ويكون خبرًا المراد به النهي.

قوله: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ؛ خَافَهُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ):

رواه البخاري برقم (٢٩٩٠)، بدون قوله: «مخافة أن يناله العدو»، فليست عنده،
ومسلم برقم (١٨٦٩).

قوله: (وقال عثمان بن عفان: ما أحب أن يأتي علي يوم وليلة حتى أنظر في كلام
الله - يعني القراءة في المصحف -):

رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة برقم (١٢٢).

وهو معضل؛ لأنه من طريق سفيان قال عثمان، فذكره.

قوله: (وقال عبد الله بن أبي مليكة: كان عكرمة بن أبي جهل يأخذ المصحف
ويقول: كلام ربي):

رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (١١٠)، والدارمي في مسنده، والحاكم
(٢٤٣/٣) ومن طريقه البيهقي في الشعب برقم (٢٢٢٩)، والطبراني في الكبير
(١٠١٨/٧) من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي مليكة قال: كان بن أبي جهل
يأخذ المصحف يضعه على وجهه وهو يقول: كلام ربي كلام ربي عز وجل. وهو منقطع
ابن أبي مليكة لم يدرك عكرمة.

وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٨/٩) بالإرسال.

وعكرمة صحابي جليل أسلم في الفتح رضي الله عنه.

قوله: (وأجمع أئمة السلف المقتدى بهم من الخلف):

السلف لغة: قال ابن منظور في لسان العرب (٣٣١/٦):

والسلف أيضًا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن

والفضل؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح. اهـ.

ونحوه في النهاية في غريب الحديث (٣٩٠/٢).

واصطلاحًا: قال السمعاني في الأنساب (٢٧٣/٣):

والسلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء.

وهذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم. اهـ.

قلت: وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الصحابة والتابعون وتابعوهم

لحديث عبد الله رضي الله عنه عند البخاري برقم (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) عَنْ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ

يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

وجاء عن ابن عمران بن حصين رواه البخاري برقم (٣٦٥٠)،

ومسلم (٢٥٣٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٢٥٣٤).

وعن عائشة عند مسلم برقم (٢٥٣٦).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٨-٩):

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود

العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة

ألسنتها، ورفعت الفلاسة رؤوسها، وامْتَحَنَ أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن،

وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن. اهـ.

فالسلف الذين ينتسب إليهم هم من كان قبل سنة (٢٢٠)، وكذا من يقبل قوله

وفهم الكتاب والسنة بفهمهم.

أما من بعدهم فهم من الخلف، لكن من سبار على نهج السلف يقال له: سلفي نسبة إليهم، لا بالأصالة فيتعبدون بفهمه.

قوله: (على أنه غير مخلوق):

وكيف لا يكون غير مخلوق وهو صفة من صفات الله، وجميع صفات الله تعالى غير مخلوقة، والكلام في صفات الله تعالى كالكلام في ذاته.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بآخر والآخر بآخر أي ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل.

أهـ من شرح الطحاوية (١/ ١٧٩).

وعن سعيد بن نصير أبي عثمان الواسطي قال: سمعت ابن عيينة يقول: ما يقول هذه الدويبة؟ يعني بشراً المريسي.

قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق فقال: كذب قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن.

رواه الآجري في الشريعة برقم (١٧١) وهو حسن.

وهذا إجماع من السلف كما ذكر المصنف، فلا داعي لسرد أقوالهم.

قال ابن العز (١/ ١٨٥-١٨٦):

وبالجملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات، أو أنه حروف وأصوات تكلم الله بها

بعد أن لم يكن متكلمًا، أو أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء الله، وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم.

وقد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلف مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق ولا ريب أن هذا المعنى متفق باتفاق المسلمين... إلخ.

القائلون بخلق القرآن:

القائلون بخلق القرآن هم:

الأول: لجهمية والمعتزلة^(١)، والخوارج^(٢)، وأكثر الزيدية وبعض الإمامية^(٣)، وبعض متأخري المتكلمين من الأشاعرة، والماتريدية^(٤)، والمرجئة، وكثير من الرافضة^(٥).
والأشاعرة والكلابية قالوا: نصف القرآن مخلوق.

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

والآخرون أبوا قالوا شطره خلق وشطر قام بالرحمن
زعموا القرآن عبارة وحكاية قلنا كما زعموه قرآنان

قال المهراس في شرح النونية (١/ ١٠٠):

(١) لوامع الأنوار (١/ ١٣٣) ومجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣).

(٢) الخوارج تاريخهم واعتقاداتهم (ص ٢٨٦).

(٣) انظر الفتوح (١٣/ ٤٥٥).

(٤) كتاب «منهج السلف والمتكلمين»، تأليف جابر إدريس (٢/ ٨٠٢).

(٥) مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٦).

وأما الطائفة الأخرى فهم الكلابية والأشعرية، ذهبوا إلى أن القرآن ألفاظ ومعاني، فألفاظه المتلوة المسموعة المكتوبة في المصاحف حادثة مخلوقة، وأما معانيه المعبر عنها بتلك الألفاظ فقديمة قائمة بذاته تعالى، ويسمونها الكلام النفسي، وهو عندهم معنى واحد لا تعدد فيه ولا تبعض.

وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله يعني ابن القيم: والآخر - يعني الكلابية والأشعرية - أبو القول بما قاله المعتزلة من أن القرآن كله مخلوق، وقالوا: شطره أي نصفه وهو اللفظ خُلِقَ يعني مخلوق، وشطره الآخر وهو المعاني، قام بالرحمن، يعني أنه صفة له، فالمعاني عندهم ترجع إلى صفته القديمة، وأما الألفاظ فحادثة مخلوقة اهـ.

تنبيه: لم يقل متقدمو المعتزلة بخلق القرآن، قال ابن القيم في النونية:

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطان

قال ابن عيسى رحمه الله في شرح النونية (١/٢٩٦):

أي أن قدماء المعتزلة؛ كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيرهما، لم يذهبوا إلى القول بخلق القرآن، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن، لهذا قال الناظم:

فهم بذات جهمية أهل اعتزال لثوبهم أضحى له علمان

أول من قال بخلق القرآن:

قال اللالكائي رحمه الله في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣١٢):
لا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم، في سنة
اثنين وعشرين^(١)، ثم الجهم بن صفوان. اهـ
وراجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٦٣٠-٦٤١).
والرد عليهم بما تقدم من الأدلة، وما يأتي من كلام المصنف، ومن الشرح.

حكم القائلين بخلق القرآن:

حكمهم أنهم كفار.

قال ابن القيم - رحمه الله - في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في
واللالكائي الإمام حكاه عند
عشر من العلماء في البلدان
هم بل حكاه قبله الطبراني

ذكرهم الإمام الحافظ أبو القاسم الحسن بن منصور الطبري اللالكائي في شرح
أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٧٠-٣١٢) قال:

قالوا كلهم: قرآن الله عز وجل غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، فهؤلاء
خمسائة وخمسون نفساً، أو أكثر؛ من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى
الصحابه الخيرين على اختلاف الأعصار، ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من

مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم تدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة، لكن اختصرت اهـ.

وأما كلام الطبراني فله في كتاب السنة، لعله فيه لم أجد هذا الكتاب.

قوله: (قال علي بن أبي طالب: القرآن ليس بمخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ،

وإليه يعود):

ضعيف، رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/ ٤٧٠-٤٧١) برقم (٣٧٣ و ٣٧٤) من طريقين عن عبد الكريم بن الهيثم عن علي بن صالح الأنماطي قال: حدثنا يوسف بن عدي عن محبوب بن محرز، عن الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن الحارث بن سويد قال: قال علي: «يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف.

ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركا بهم يقولون: (القرآن مخلوق) وليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود».

وعبد الكريم بن الهيثم وهو ابن زيد أبو يحيى القطان مترجم في تاريخ بغداد (١١/ ٧٨-٧٩) والسير (١٣/ ٣٣٥-٣٣٦) وغيرهما وهو ثقة ثبت. ولم يجده محقق شرح السنة للالكائي.

وعلي بن صالح الأنماطي قال الذهبي: لا يعرف له خبر باطل، وذكر له حديثاً اتهم

بوضعه.

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٢٧٥) عقب حكاية كلام الذهبي:

(وفي ثقات ابن حبان علي بن صالح، يروي عن عبد الله بن إدريس روى عنه أهل العراق مستقيم الحديث، فهو هذا بلا شك فينبغي التثبت في الذين يضعفهم المؤلف من قبله وينظر في من [دون] صاحب الترجمة). اهـ

وقال المعلق على «لسان الميزان» في الحاشية، قال في أ، جـ: «كذب» أي بدل: «دون».

انظر الثقات: (٨/ ٤٧٠-٤٧١).

ومحبوب بن محرز وهو التميمي القواريري العطار، ضعيف كما في «التهذيب»، وقال الحافظ في التقريب: لين الحديث.

والراوي في إحدى الطريقتين عن عبد الكريم هو أحمد بن عثمان بن يحيى ترجمته في تاريخ بغداد (٤/ ٢٩٩-٣٠٠) وهو ثقة. ولم يجده محقق «شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي»؛ لذا ترجمت له.

وفي الطريق الأخرى أحمد بن عبد الله بن خالد وهو الجويباري وضاع. انظر «اللسان» (١/ ٢٩٩-٣٠١).

فالأثر ضعيف لأجل محبوب بن محرز، وعلي بن صالح الأنماطي.

قوله: (وروى نحوه عن ابن مسعود):

أثر ابن مسعود ضعيف، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (١١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٨٩) من طريق مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله قال: «القرآن كلام الله عز وجل فمن رد منه شيئاً فإنما يرد على الله عز وجل».

وعند البيهقي: «فمن كذب على القرآن فإنما يكذب على الله». وبنحوهما عند الدارمي في «الرد على الجهمية» من نفس الطريق.

ومجالد وهو: ابن سعيد الهمداني ضعيف.

قوله: (وابن عباس):

أثر ابن عباس ضعيف، رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٣٧٥ و ٣٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٩٠ - ٥٩١) من طريق علي بن عاصم عن عمران بن حدير عن عكرمة قال: كان ابن عباس في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له، فوثب إليه ابن عباس فقال: مه القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود.

وعلي بن عاصم هو أبو الحسن الواسطي ضعيف؛ فالأثر ضعيف.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدر: ٢٦] فلما أوعده الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

قوله: (وعمر بن دينار، وسفيان بن عيينة):

هذه العبارة بل الكلام من أول الفصل منقول من كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» للمقدسي ص (٥٠) فما بعد.

والعبارة في كتاب «الاقتصاد» هكذا: (وروي عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود).

وهذا الأثر رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٨٨)، والنقض على المريسي (١/ ٥٧٣)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٥)، وذكره في الأسماء والصفات برقم (٥٣٢) قال الدارمي: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال سفيان... فذكره.

وهذا إسناد صحيح إلى عمرو بن دينار.

وقد رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١١٧)، ضمن كتاب «عقائد السلف»، وفي «التاريخ» (٢/ ٣٣١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٥٣١) من طريق الحكم بن محمد الطبري أبي مروان عن سفيان فذكره.

واختلف على الحكم بن محمد فرواه عنه:

محمد بن أبي منصور ومحمد بن عمار بن الحارث وغيرهما عند اللالكائي، وسلمة بن شبيب عند البيهقي في الأسماء والصفات.

كلهم روه كرواية إسحاق بن راهويه عن سفيان عن عمرو بن دينار.

ورواه البخاري كما تقدم عن الحكم عن سفيان قال: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو ابن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق. فالصحيح رواية الجماعة أنه من قول عمرو وأخطأ في هذه الرواية الحكم فإنه ترجمه البخاري في التاريخ (٣٣٨/٢) وابن أبي حاتم (١٢٧/٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

قال إسحاق بن راهويه: وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدرين والمهاجرين والأنصار مثل جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم. وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك). اهـ من «الأسماء والصفات» (٥٩٨/١)، و«السنن الكبرى» (٢٠٥/١٠) كلاهما للبيهقي وسنده صحيح فهذا إجماع من السلف.

قلت: وقول سفيان رواه أبو داود من مسائل الإمام أحمد برقم (١٧١٣) أنه قال لما سئل عن القرآن: هو كلام الله وليس بمخلوق، وفي سنده عمر بن هارون وهو البلخي متروك.

ومعنى قولهم في القرآن: منه بدا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥١٧-٥١٩):

وليس معنى قول السلف والأئمة: إنه منه خرج ومنه بدا، أنه فارق ذاته وحل بغيره، فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره، فكيف يكون كلام الله؟ قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تفارق ذاتهم.
 أيضًا فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره لا صفة الخالق، ولا صفة
 المخلوق، والناس إذا سمعوا كلام النبي ﷺ، ثم بلغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه
 كلام الرسول ﷺ، وقد بلغوه بحركاتهم وأصواتهم، فالقرآن أولى بذلك.
 فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
 يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

قال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(١).

ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية، فإنهم زعموا أن القرآن خلقه
 الله عز وجل في غيره، فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله
 كما يقولون: كلامه لموسى خرج من الشجرة، فبين السلف والأئمة أن القرآن من الله
 بدأ وخرج، وذكروا قوله تعالى: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، فأخبر أن القول
 منه لا من غيره من المخلوقات، و(من) هنا لا ابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عيناً
 يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجن: ١٣]، وقوله: ﴿وَرُوحٌ
 مِنْهُ﴾ [النساء: ٧١]، وكذلك ما يقوم بالأعيان، كقوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ
 اللَّهِ﴾ [النحل: ٣١].

(١) عن أبي هريرة والبراء قد تقدم، وهو صحيح.

وأما إذا كان المجرور بها صفة، ولم يذكر لها محل كان صفة لله تعالى، كقوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ٣١]، وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه، وأنه نزل به جبريل منه ردًا على هذا المبتدع المفترى وأمثاله ممن يقول: إنه لم ينزل منه. انتهى كلام شيخ الإسلام.

ومعنى قولهم: (وإليه يعود):

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٧٤):

وقولهم: إليه يعود أي يسرى عليه، فلا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في الصدور منه آية. اهـ.

قلت: يشير شيخ الإسلام - رحمه الله - إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدرس الإسلام كما يدرس الثوب حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة» الحديث.

رواه ابن ماجه برقم (٤٠٩٨) وهو صحيح.

وجاء نحوه موقوفًا على ابن مسعود، قال: ليسرين على القرآن ذات ليلة ولا يترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت.

رواه الدارمي برقم (٣٣٨٦).

وهو حسن، ويكون هذا قرب قيام الساعة.

قوله: (وأن الله يتكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره):

وهذا هو الحق أن الله يتكلم بكلام حقيقي بصوت وحرف، والكلام صفة ذاتية اختيارية ثابتة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

والقرآن كلام الله، أنزله جبريل على محمد ﷺ وحياً، وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

المراد بالرسول هو محمد ﷺ كما يدل عليه السياق، وهو قول الأكثرين كما في زاد المسير.

وقوله تعالى في التكويد: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكويد: ٩]، والمراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه السياق.

قال ابن كثير رحمه الله (٨ / ٣٦١٤):

إنه لقول رسول كريم يعني محمداً ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل، ولهذا أضافه في سورة التكويد إلى الرسول الملكي: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وهذا جبريل عليه السلام. اهـ.

قال القرطبي في الجامع (١٨ / ٢٧٤):

وليس القرآن قول الرسول ﷺ وإنما هو من قوله عز وجل، ونسب القول إلى الرسول ﷺ؛ لأنه تاليه ومبلغه والعامل به، كقولنا: هذا قول مالك. اهـ.

وكذلك نسبته إلى جبريل عليه السلام؛ لأنه مبلغه إلى الرسول ﷺ، والنازل به من عند الله، فهو في الحقيقة كلام الله لا كلام غيره.

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣].

شبهات القائلين بخلق القرآن:

الأولى: قالوا: إن القرآن شيء، والله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

فيكون داخلًا في عموم كل، فيكون مخلوقًا، وهذا من أعجب العجب، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١٧١-١٨١):

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء فيكون داخلًا في عموم «كل» فيكون مخلوقًا فمن أعجب العجب؛ وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم «كل» وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا للزم أن يكون مخلوقًا بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل وهو باطل.

وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء، وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم «كل»، فيكون مخلوقًا بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وكيف يصح أن يكون متكلمًا بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضًا ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذ بين «نطق» و«أنطق»، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ﴾ [فصنت: ٢١]، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلمًا بكل كلام خلقه في غيره، زورًا كان أو كذبًا أو كفرًا أو هذيانًا! تعالى الله عن ذلك.

وقد طرّد ذلك الاتحادية، فقال ابن عربي:
وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نشره ونظامه!

ولو صحَّ أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير؛ لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصر بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

وبمثل ذلك ألزم الإمام عبدالعزيز المكي بشرًا المريسي بين يدي المأمون، بعد أن تكلم معه ملتزمًا أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة، فقال بشر: يا أمير المؤمنين ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناطرنى بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال.

قال عبدالعزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بشر: اسأل أنت، وطمع فيّ. فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها: إما أن تقول: إن الله خلق القرآن -وهو عندي أنا كلامه- في نفسه، أو خلقه قائمًا بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره؟ قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها، وحاد عن الجواب، فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشرًا فقد انقطع. فقال عبدالعزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال؛ لأن الله

لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون فيه شيء مخلوق، وإن قال: خلقه في غيره، فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه، فهو محال أيضاً؛ لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله! وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، علم أنه صفة لله. هذا مختصر من كلام الإمام عبدالعزيز في «الحيدة».

وعوموم «كل» في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمير كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير. وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام. إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها. ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَالَقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، أي كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى عند قوله: «ما زال قديماً بصفاته قبل خلقه»، بل

نفس ما استدلووا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] مخلوقاً، لا يصح أن يكون دليلاً.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فما أفسده من استدلال! فإن «جعل» إذا كان بمعنى خَلَقَ يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٢]، وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿لَا

تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا﴾ [الزخرف: ١٩].

ونظائره كثيرة.

فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ

الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه

موسى منها! وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَنَاَهَا

نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠].

والنداء هو الكلام من بُعد، فسمع موسى النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وهل قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] غير رب العالمين؟ ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون: (أنا ربكم الأعلى)، صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله! وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله.

وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.
فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبرائيل أو محمد ﷺ.

قيل: ذكر الرسول مُعرف أنه مبلّغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل إنه قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عن مرسله به، لا أنه أنشئ من جهة نفسه، وأيضاً: فالرسول في إحدى الآيتين جبرائيل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر، وأيضاً: فقوله: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧].

دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله. وأيضاً: فإن الله قد كفر من جعله قول البشر،

ومحمد ﷺ بشر فمن جعله قول محمد، بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر. ولا فرق بين أن يقول إنه قول بشر، أو جنّي، أو ملك، والكلام كلام من قاله مبتدئاً، لا من قاله مبلغاً. ومن سمع قائلاً يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومَنْزِل

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١)، قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٢-٥] قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكُذِّب. ولهذا من سمع من غيره نظماً أو نثراً، يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أو كلام غيرك؟

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة إنما سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترىً مما لا ينزع مسلم في بطلانه. ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلمهم دَهَمَ عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرع.

(١) رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولو تُرك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه فَرَّقَ بها بينهم: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله في «الفقه الأكبر»،^(١) فإنه قال: والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسى عليه السلام وغيره، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كلام الله إخبارًا عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا نعلمنا، ويقدر لا نقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا انتهى.

فقوله: (ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته)، يُعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبدًا يقول يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ففهم منه الرد على من

(١) كتاب الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة، لم يثبت وفي سنده:

١- حماد بن أبي حنيفة ضعيف، كما في ميزان الاعتدال.

٢- عصام بن يوسف البلخي ضعيف، كما في الميزان ولسانه.

انظر كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٩٢).

يقول من أصحابه أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره.

وبالجملة: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فهو حق يجب قبوله، وما يقوله من يقول: إن كلام الله قائم بذاته، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالوصف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بها في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.

فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضاً، مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحى يُتلى^(١)، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) في حديث الإفك الطويل.

ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره! وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذرًا من التشبيه، فلا يثبتوا صفة غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا، قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات. إلخ كلامه بتصرف.

ويلزم من قولهم الخبيث أن كل ما كان شيئًا فهو مخلوق، أن الله جل شأنه مخلوق لأنه شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

تنزه الله عن قولهم: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابْنِهِمْ كَبَّرْتَ كَلِمَةً تُخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ولله در ابن قيم الجوزية حيث قال في نونيته:

فاجب لعميان البصائر أبصروا	كون المقلد صاحب البرهان
ورواه بالتقليد أولى من سوا	ه بغير ما بصر ولا برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا	معناها عجبًا لذي الحرمان

قلت: عجبًا لذي الحرمان!

الثانية: قالوا: إِنَّ (جعل) بمعنى (خلق)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، أي خلق الله الظلمات والنور، قالوا: وكذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. قالوا: معناها خلقناه.

والجواب عنه: أن جعل في لغة العرب لها معنيان:

فإن كانت متعدية لمفعول واحد فهي بمعنى خلق، وهذا كالمثال الذي استدلوا به: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

وإن كانت متعدية لمفعولين فلا يصلح أن تكون بمعنى خلق، بل هي بمعنى صير، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

فهل معنى هذا أنهم خلقوا القرآن أجزاء؟

هذا لا يقول به أحد، وهو يُفسد المعنى، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]. والآيات كثيرة وراجع الطحاوية (ص ١٨٢).

الثالثة: قالوا: إن الله خلقه في الشجرة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَبِّ الْوَادِي﴾ [القصص: ٣٠]. وقد تقدم الجواب عنه، في قولهم: منه بدأ.

وأضيف هنا أنه لو كان المتكلم مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وهل قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غير الله؟!

وانظر شرح الطحاوية (١/ ١٨٢-١٨٣).

الرابعة: قولهم: القرآن محدث، كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]. قالوا: والمحدث المخلوق.

والجواب قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٢):

المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزله جديداً، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء، فلمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى

المنزل آخر، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب كما قال تعالى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وقال: ﴿نَا اللَّهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٥٩]. اهـ.

قوله: (ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله):

هذا رد على القائلين: إن القرآن قائم بالنفس لا يتعلق بالقدر ولا المشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه، وهم الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب.

قوله: (أو عبارة عنه):

وهذا رد على القائلين: إن القرآن معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وأن عبر عنه بالعبرانية كان تورا، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلاً، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه وهم الأشاعرة.

فهذان قولان من أقوال الناس في كلام الله سبحانه وتعالى وبقية الأقوال هي:

الأول: قول الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وهو أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره، والسب والشتم؛ ولذلك قال ابن عربي الزنديق (ت ٦٣٨):

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الفاسد أن الله سبحانه هو عين الوجود.

الثاني: قول الفلاسفة والصابئة المتأخرين أتباع أرسطو كابن سينا والفارابي والطوسي، قالوا: إن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني من العقل الفعال،

أو من غيره على النفوس الزكية الفاضلة، بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورًا وتصديقات بحسب ما قبلته منه.

الثالث: قول الجهمية النفاة، والمعتزلة ومن تقدم ذكرهم (القائلين بخلق القرآن) وأنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه.

الرابع: قول الكرامية، والهشامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة، والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حرف وصوت تكلم الله به بعد أن لم يكن متكلمًا.

الخامس: قول السالمية، وطائفة من أهل الحديث، وطائفة من أهل الكلام، قالوا: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

السادس: قول أبي منصور محمد بن الماتريدي، ومن تبعه: إن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره.

السابع: قول الطبيب الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن ملكا كان يهوديًا فأسلم ومات سنة (٥٤٧ أو ٥٦٠ أو ٥٧٠)، وإليه يميل الرازي فخر الدين محمد بن عمر المفسر في المطالب العالية قال إن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإراداته القائم بذاته.

الثامن: قول أبي المعالي الحديين ومن تبعه: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

فهذه أقوال ثمانية مع القولين السابقين تكون جملة الأقوال عشرة، كلها أقوال أهل الضلال والبدع والزيغ والانحراف.

قال ابن القيم رحمه الله كما في مختصر الصواعق المرسله (٢/ ٢٩٣) بعد ذكر أقوال أهل الانحراف:

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم، ولا يكادون يعرفون غيرها. اهـ.

القول الحق:

القول الحادي عشر:

وهو قول أتباع الرسل أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة أتباع الكتاب والسنة على فهم لسلف الصالح، وهذا القول هو الحق، وما سواه باطل وضلال قالوا: إن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام حقيقي بصوت وحرف.

وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، فأثبتوا لله تعالى صفة الكلام كغيرها من صفات الله تعالى بغير تعطيل ولا تحريف، وبغير تكييف ولا تمثيل، وعليه يدل الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

راجع مجموع الفتاوى (١٢/١٦٢-١٧٥)، ومختصر الصواعق (٢/٢٨٦-٢٩٣)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٧٢-١٧٤).

قوله: (بل إذا قرأه الناس، أو كتبوه بالمصاحف، لم يخرج بذلك أن يكون كلام الله سبحانه حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا): هذه عبارة شيخ الإسلام في الواسطية، وقد تقدم شرحه بما يغني عن الإعادة.

قوله: (فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر):

راجع ما تقدم في تكفير القائلين بخلق القرآن، ومعنى الجهمية تقدم.

الواقفة:

قوله: (ومن زعم أنه كلام الله ووقف، ولم يقل ليس بمخلوق، فهو كافر أخبث من القول الأول):

هذا في الرد على الواقفة وهم الذين يقولون القرآن كلام الله، ولا يقولون مخلوق ولا ليس مخلوقاً، بل يتوقفون في ذلك شكاً وحيرة.

وهؤلاء ظهروا بعد ظهور القول بخلق القرآن، وهم طائفة من الجهمية كما روى صالح بن أحمد بن حنبل في سيرة الإمام أحمد (ص ٧٢).

قال: سمعت أبي يقول: افرقت الجهمية على ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: قالوا: القرآن مخلوق.

الفرقة الثانية: قالوا: كلام الله وسكتوا.

الفرقة الثالثة: قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق. اهـ.

وكذا في السنة للخلال (٥ / ١٢٥).

والذين وقعوا في الوقف في القرآن صنفان:

الصنف الأول: بعض رواة الحديث الذين عرفوا بقلّة البصر بمذاهب الجهمية والشك فيه، وهذه أغلوطة وقعت من مسامعهم، ولم يعرفوا تأويلها، وسببها قلة العلم. راجع الرد على الجهمية للدارمي (ص ٩٢).

الصنف الثاني: طائفة هم من القائلين بخلق القرآن، لكنهم استخدموا ذلك تقية، وهم يبطنون القول بخلق القرآن.

وقد قال بتكفيرهم أحمد بن صالح المصري كما في مسائل أبي داود لأحمد برقم

وكذا كفرهم الإمام أحمد كما في مناقب الإمام أحمد لا بن الجوزي (ص ١٥٧).
بل إن الواقفة يعتبرون شر من الجهمية، كما قال أحمد بن حنبل كما في السنة لولده
عبد الله برقم (٢٢٥)، وقتيبة بن سعيد كما في مسائل أبي داود برقم (١٧٤٦)، ومحمد
بن مقاتل كما في مسائل أبي داود (١٧٥٠) وغيرهم.

وقال الآجري - رحمه الله في الشريعة (١/ ٥٢٧):

وأما الذين قالوا القرآن كلام الله ووقفوا فيه، وقالوا لا نقول غير مخلوق، فهؤلاء
عند كثير من العلماء ممن رد على من قال بخلق القرآن، قالوا هؤلاء الواقفة، مثل من
قال: القرآن مخلوق، وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم نعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب
أنه غير مخلوق. اهـ.

وراجع شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٣٢٣-٣٢٩).

اللفظية:

قوله: (ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة، والقرآن كلام الله، فهو جهمي):
هذه الطائفة الثالثة من الجهمية، وهم اللفظية الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن
مخلوقة، وتسمى هذه الطائفة باللفظية النافية.

وقد ورد عن غير واحد من السلف تكفيرهم.

راجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٣٤٩-٣٦٢).

وقابلتهم طائفة قالوا بعكس قولهم، فقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم
أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد، وهذا القول عزي

لبعض أهل الحديث^(١) منهم أبو حاتم الرازي، وأبو سعيد الأشج رواه الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٣٨٨/١) بسند صحيح.

وهذه الطائفة تسمى باللفظية المثبتة وليسوا بجهمية، وهم إنما أرادوا الرد على الجهمية، لكن هذا القول خطأ.

والحق في هذه المسألة أنه لا يقال في اللفظ بالقرآن: مخلوق، ولا غير مخلوق.

أما النافية فتقديم الرد عليها، وأما المثبتة فالأمرين:

الأول: لأنه لفظ لم يتكلم به السلف، فهو لفظ مبتدع.

الثاني: لأنه إطلاق موهم فيدخل فيه فعل العبد، وهذا من بدع الاتحادية.

وقال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (٢٧١/٢):

وقال قوم من أهل الحديث ممن زعم أن القرآن غير مخلوق: إن قراءته واللفظ به

غير مخلوقين، وأن اللفظية يجرون مجرى من قال بخلقه، وأكثر هؤلاء الواقعة التي لم

تقل: القرآن غير مخلوق، ومن شك في أنه غير مخلوق، والشاك في الشاك، وأكفروا من

قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال قائلون: قراءتي للقرآن لا يقال مخلوقة ولا غير

مخلوقة. اهـ.

وقال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٢٦١/١):

وكذلك ذكر الإمام محمد بن جرير الطبري في صريح السنة أنه سمع غير واحد

من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد أنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو

جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع.

(١) راجع موافقة المعقول لصريح المنقول لشيخ الإسلام (١٩٧/١).

راجع مجموع الفتاوى (١٢/٣٥٩-٣٦٤).

فائدة: قال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (١/٢٦٢):

وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، فصار طائفة منهم يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي، وطوائف غير هؤلاء. اهـ.

قال ابن قتيبة في رسالة الاختلاف في اللفظ:

وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفه، ولا مما يوجب الوحشة؛ لأنهم مجمعون على أصل واحد: وهو القرآن كلام الله غير مخلوق في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه، ولطف معناه. اهـ من عقائد السلف (ص ٢٤٥).

وهل قال البخاري رحمه الله: لفظي بالقرآن مخلوق؟

حاشا الإمام البخاري أن يكون قد قال ذلك، وهو إمام الصنعة حفظاً، وثباتاً، وفقهاً، وفهماً، واستنباطاً، إنما حسده بعض الناس، فسأله، فقال: القرآن كلام غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، فشغبوا بها، وقالوا: إنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق، ثم وشوا به عند محمد بن يحيى الذهلي وزيفوا الحقيقة، وحصل ما حصل بين الإمامين البخاري والذهلي عليهما رحمه الله.

راجع هدي الساري (ص ٦٨٤-٦٨٦).

ولقد صنف البخاري كتاباً سماه خلق أفعال العباد.

والحق مع البخاري في أن أفعال العباد مخلوقة، لا مع الذهلي إذ لم يقل البخاري لفظي بالقرآن مخلوق.

راجع سير أعلام النبلاء (١٢/٤٥٣-٤٦٦).

قوله: (وقد كلم الله موسى عليه السلام تكليماً منه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده، ولم يزل عز وجل متكلماً):

لا دليل على مناولته التوراة لا من كتاب ولا من سنة، وصفات الله لا تثبت إلا بآية، أو حديث ثابت، ولا يوجد شيء، ولا تثبت صفة المناولة، لكن الذي ثبت هو الكتابة، وقد تقدم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣):

وأما قوله: ناوله بيده إلى يده، فهذا مأثور عن طائفة من التابعين، وهو هكذا عند أهل الكتاب، لكن لا أعلم غير هذا اللفظ مأثوراً عن النبي ﷺ، فالتكلم به إن أراد ما يخالف ذلك فقد أخطأ والله أعلم. اهـ.

قلت: فهو من الإسرائيليات، وهذا الكلام منقول من الاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني المقدسي (ص ٥١)، وليس في الاقتصاد ذكر المناولة، فتنبه.

قوله: (والقرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلامه حروفه دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف).

واحتج أحمد بن حنبل بأن الله تعالى كلم موسى، فكان الكلام من الله والاستماع من موسى، وبقوله عز وجل: ﴿لَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣].

وروى الترمذي عن خباب بن الأرت أن النبي ﷺ قال: «إنكم لن تتقربوا إلى الله بأفضل مما خرج» يعني القرآن):

هذا الفصل من أوله منقول من «الاقتصاد في الاعتقاد» لعبد الغني المقدسي (ص ٤٦) فما بعد، إلا ذكر المناولة للتوراة.

حتى لفظ الحديث ليس في الترمذي بهذا اللفظ عن خباب إنما جاء من حديث أبي أمامة عند الترمذي وجاء مرسلًا.

أما حديث أبي أمامة فرواه أحمد (٢٦٨/٥)، والترمذي برقم (٢٩١١)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» برقم (١٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٥٧)، والخطيب في «التاريخ» (٨٨/٧) و(٢٢٠/١٢).

كلهم من طريق شيخ الإمام أحمد: هاشم بن القاسم أبي النضر حدثنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطاة عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليُدْرُ فوق رأس العبد ما دام في صلاته وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه»، يعني القرآن.

زاد الترمذي: قال أبو النضر يعني القرآن.

وقال عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك في آخر أمره. اهـ.

والحديث ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم، وبكر بن خنيس ضعيف جدًا، وزيد بن أرطاة ثقة، لكن حديثه مرسل عن أبي أمامة كما في الجرح والتعديل (٥٥٦/٣).

وقد اضطرب فيه على زيد بن أرطاة فتارة يرويه عن جبير بن نفير مرسلًا. رواه

أحمد في «الزهد» (ص ٣٥٠)، والترمذي برقم (٢٩١٢)، وأبوداود في «المراسيل»

برقم (٥٣٨)، و«السنة» لعبدالله بن أحمد برقم (١٠٩) عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه يعني القرآن». وعند أبي داود في المراسيل يعني كلامه تعالى.

وتارة يرويه عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر مرفوعاً به.

رواه الحاكم (٢/ ٤٤١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٥٠٢).

وتارة يرويه عن جبير بن نفير عن أبي ذر مرفوعاً به.

رواه الحاكم (١/ ٥٥٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٥٠٣).

والمرسل أصح، قال البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٩٩) ضمن «عقائد السلف»:

(مع أن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه). اهـ

ورواه الطبراني في الكبير برقم (١٦١٤) عن جبير بن نوفل نحوه مرسلًا.

وفي سنده ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف، ولعل ذكر جبير بن نوفل من أوهامه لأنه اختلط.

وأما حديث خباب بن الأرت فجاء موقوفًا. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»

(١٠/ ٥١٠-٥١١)، وأحمد في «الزهد» (ص ٣٥)، وعبدالله بن أحمد في «السنة»

برقم (٩٦ و ١١١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٧٩)، والحاكم في

«المستدرک» (٢/ ٤٤١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٥١٣ و ٥١٤)،

واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٥٥٨)، والآجري

في «الشریعة» برقم (١٥٧) من طريق منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف عن

فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال خباب بن الأرت وأقبلت معه من المسجد إلى منزله فقال لي: يا هناه إن استطعت أن تقرب إلى الله فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

هذا أثر حسن رجاله ثقات إلا فروة بن نوفل الأشجعي اختلف في صحبته والراجح عدمها، وهو صدوق فقد روى عنه جماعة، واعتمده مسلم في «صحيحه» من حديث لعائشة برقم (٢٧١٦) وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الذهبي في الكاشف: وثق.

كلام الله بحروف

قوله: (فصل. ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عز وجل):

هذه العبارة نقلها المصنف رحمه الله من كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» لعبد الغني المقدسي (ص ٥٣)، كما تقدم أنه ينقل منه، بل الفصل كله منقول من ذلك الكتاب بتصرف يسير.

لكن المصنف تصرف في عبارة المقدسي حتى قد يظن الظان أن المراد أن نفس مداد الحروف وصوت القارئ كلام الله، وهذا خطأ بل ضلال، ولم يردده المصنف، وإنما المراد أن الحروف المكتوبة وكذا الكلام نسمعه بصوت القارئ كلام الله، لا صوت الله، وعبارة عبد الغني المقدسي في كتابه «الاقتصاد» (ص ٥٣-٦٨):

والقرآن كلام الله عز وجل، ووحيه، وتنزيله، والمسموع من القارئ كلام الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وإنما سمعه من التالي.

وقال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، وهو محفوظ في الصدور، كما قال عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. اهـ كلامه.

وانظر «مجموع الفتاوى» (١٢/٢٤٣-٢٤٤) و(٢٦٣-٢٦٥) وغيرها من المواضع.

على أن المصنف لو أتى بصريح العبارة وتحاشى هذا اللفظ الموهم لكان أحسن، والله أعلم.

قوله: (قال تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢]):

قوله (لا ريب) أي لا شك، ومنه قول الشاعر:

تركنا الحي قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

وتأتي بمعنى التهمة، ومنه قول جميل بثينة:

بثينة قالت يا جميل أربتي فقلت كلانا يا بثين مريب

وتأتي بمعنى الحاجة، ومنه قول الشاعر كعب بن مالك:

قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أجمعنا السيوفا

قوله: (وقال: ﴿المص﴾ [الأعراف: ١].

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

﴿الم﴾ [آل عمران: ١].

﴿كهيعص﴾ [مريم: ١].

﴿حم * عسق﴾ [الشورى: ١-٢].

فمن لم يقل إن هذه الأحرف كلام الله عز وجل فقد مرق من الدين، وخرج من

جملة المسلمين، ومن أنكر أن تكون حرفاً، فقد كابر العيان، وأتى بالبهتان):

أراد المصنف بهذا الكلام الرد على الكلائية، وتقدم مذهبهم أنهم يقولون في القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة.

وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه.

وكذا الرد على الأشاعرة القائلين: أنه معنى واحد قائم بذات الرب وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والصواب الذي عليه سلف الأمة - كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد، وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم أتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلام لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسماً لمجرد المعنى ولا مجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا معاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح، ولا مجرد الجسد، بل مجموعهما، وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد؛ لا صوت القاريء ولا غيره، وأن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا تشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه يشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد أُلْحِدَ في أسماؤه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد أُلْحِدَ في أسماؤه وآياته.

انتهى من مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٣-٢٤٤).

وقوله: فقد مرق من الدين:

أي: خرج من الدين، والمروق هو سرعة الخروج من الشيء.

راجع لسان العرب (٨٥ / ١٣).

وأكداه بقوله وخرج عن جملة المسلمين أي أنه كافر، لكن الحقيقة أن الكلاية والأشعرية لا يكفرون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٤٨٨ / ١٧):

وأما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطنًا وظاهرًا فهؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب، وكذلك من هو خير منهم الكلاية والكرامية. اهـ

قلت: وأصل مذهب الأشاعرة أنهم أخذوه من ابن كلاب، فهم ليسوا بكفار، وليسوا من أهل السنة والجماعة، بل هم من الاثنتين والسبعين الفرقة الهالكة؛ وذلك لأن كثيرًا منهم قصد الخير واتباع السنة فأخطأ.

وفي عدم اتباع السنة ومخالفتها باجتهاد أو تأويل ضلال، ولا يكفرون، وحتى لو نزل هذا الحكم عليهم وهو التكفير فعند تطبيقه على المعين فلا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

قوله (فقد كابر العيان): أي عاند ما هو معلوم ملموس مشاهد لا يحتاج إلى كثرة استدلال عليه وسوق الأدلة.

قوله: وأتى بالبهتان):

أي جاء بالباطل الذي يُتَحَرَّرُ من بطلانه، كما في «لسان العرب» (٥١٣ / ١).

قوله: (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله

عز وجل فله عشر حسنات».

رواه الترمذي وصححه، ورواه غيره من الأئمة وفيه: «أما إني لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»:
 صحيح موقوفاً، رواه الترمذي برقم (٢٩١٠) عن محمد بن كعب القرظي قال:
 سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وقال الترمذي: ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود.
 ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود رفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود.

وذكره البخاري في ترجمة محمد بن كعب من «التاريخ الكبير» (٢١٦/١) وقال:
 لا أدري حفظه أم لا؟

ورواه الحاكم (٥٥٥/١) نحوه، وفيه زيادة من طريق مسلم بن إبراهيم عن أبي الأحوص عن عبد الله به وفي سنده إبراهيم بن مسلم الهجري قال الذهبي في التلخيص: ضعيف وهو كذلك، وزاد الحافظ في «التقريب» قوله: رفع موقوفات.
 ورواه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٩٣) وابن أبي شيبة برقم (٩٩٨٣) والطبراني في الكبير برقم (٨٦٤٧) من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود فذكره موقوفاً وهذا إسناد منقطع.

ورواه الدارمي برقم (٣٣٥١)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٦٤٦) و (٨٦٤٨) و (٨٦٤٩) من طريق أبي الأحوص عن عبد الله موقوفاً، وهو صحيح.

ورواه ابن أبي شيبة برقم (٩٩٨١) من طريق قيس بن سكين عن عبدالله موقوفاً، وسنده صحيح.

ورواه أيضاً برقم (٩٩٨٤) من طريق علقمة والأسود عن عبدالله به.

فالراجح الموقوف على عبدالله بن مسعود وهو صحيح عنه.

وأما المرفوع فله طريقان:

الأولى: عند الترمذي من طريق محمد بن كعب وقد أخطأ في رفعه وروايته عن الصحابة مرسله كما في «تهذيب التهذيب».

والثانية: عند الحاكم من طريق إبراهيم الهجري ضعيف يرفع الموقوفات.

والذين روه موقوفاً، أبو الأحوص، وقيس بن سكين، وعلقمة والأسود وروايتهم صحيحة به موقوفاً.

وجاء من حديث عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً عند ابن أبي شيبة برقم (٩٩٨٢) يرويه عنه محمد بن كعب، وقد علمت أن روايته مرسله، وأيضاً في سنده

موسى بن عبيدة وهو الربذي يرويه عن محمد بن كعب: وموسى ضعيف.

وفي هذا فضيلة ظاهرة، وثواب جليل لمن قرأ القرآن، وعلى هذا الحكم أدلة أخرى.

فأما كونه بكل حرف حسنة فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ

ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿يونس: ٦١﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

رواه البخاري برقم (٦٤٩١)، ومسلم برقم (١٣١).

فإذا كان هذا في الذي عزم على الفعل ولم يتمكن منه؛ له حسنة كاملة فالذي عملها من باب أولى.

وروى مسلم برقم (٨٠٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا جِرْيَلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَتَزَلَّ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بَنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاثِمَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ».

وأما كونه بعشر حسنات فلحديث ابن عباس هذا، ولقول الله جل في علاه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، وقال

تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، وَأَزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْنِييَ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ حَاطِيَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

رواه مسلم برقم (٢٦٨٧).

قوله: (وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كانت قراءة رسول الله ﷺ مفسراً حرف حرفاً».

رواه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه عن يعلى بن مملك):

الحديث ضعيف، رواه أبو داود برقم (١٤٦٦)، والنسائي (١٨١/٢) و(٢١٤/٣)، والترمذي في «سننه» برقم (٢٩٢٣)، وفي «الشائل» برقم (٢٩٧)، وابن المبارك في «الزهد» برقم (١١٦)، وأحمد في «المسند» (٢٩٤/٦ و٣٠٠)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ١٥٦)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٤٦) من «عقائد السلف»، والفريابي في «فضائل القرآن» برقم (١١٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» برقم (١١٥٨)، والطحاوي في «شرح مشكل

الآثار» برقم (٥٤٠٨)، والحاكم (٣١٠/١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣/٣)، وفي «شعب الإيمان» برقم (٢١٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (١٢١٦).

كلهم من طريق الليث بن سعد عن عبدالله بن أبي مليكة عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة فذكره.

وقال الترمذي عقب الحديث: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة.

وقد روى ابن جريج هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته. وحديث الليث أصح. اهـ.

فهو حديث ضعيف لأجل يعلى بن مملك مجهول. وإطلاق المصنف قوله في هذا الحديث وفي حديث ابن مسعود قبله: وصححه يعني الترمذي فيه نظر كما ترى، ففرق بين قوله حسن صحيح غريب وقوله صحيح، وحيث أن الترمذي لم يصحح الحديثين على ما رأينا عندنا من طبعات الترمذي.

قوله: (وعن سهل بن سعد الساعدي قال: بينما نحن نقرأ إذا خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «كتاب الله واحد، وفيكم الأحمر والأسود اقرؤا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقرؤن القرآن، يقيمون حروفه كما يقام السهم، لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه».

رواه الآجري وغيره من الأئمة):

الحديث صحيح، وقد جاء عن عدة من الصحابة:

١- حديث سهل بن سعيد، رواه الآجري في «أخلاق أهل القرآن» برقم (٢٩)، وابن المبارك في «الزهد» برقم (٨١٣) والطبراني في «الكبير» برقم (٦٠٢١) و(٦٠٢٢).

من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن عبيدة عن سهل بن سعد قال: بينا نحن نقترئ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأخيار وفيكم الأحمر والأسود..» فذكر مثله. وهو ضعيف به علتان:

الأولى: ضعف موسى بن عبيدة.

الثانية: عدم سماع عبد الله بن عبيدة من سهل بن سعد كما في «تهذيب التهذيب». ورواه أبو داود برقم (٨٣١)، وابن حبان بترتيب ابن بلبان برقم (٧٦٠)، والطبراني في «الكبير» برقم (٦٠٢٤) من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن بكر بن سواده عن وفاء بن شريح الصديقي عن سهل بن سعد نحوه، وفي سنده وفاء بن شريح مجهول الحال.

وعند أبي داود عمرو وابن لهيعة وعند ابن حبان قال: وذكر ابن سلم (شيخ ابن حبان) آخر معه.

ورواه أحمد في «المسند» (٣٣٨/٥) من طريق ابن لهيعة به.

ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥ و ١٢٦) من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سودة عن أبي حمزة الخولاني عن أنس به. وفي (٣/ ١٤٦) وجعل بدل أبي حمزة وفاء الخولاني.

وابن لهيعة ضعيف فلعل هذا الاضطراب منه، والراجح الرواية السابقة أنه من مسند سهل.

٢- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ: «اقرأوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه».

عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ، واختلف على محمد بن المنكدر. فرواه أحمد (٣/ ٣٩٧)، وأبوداود برقم (٨٣٠)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٢٦٤٢) من طريق حميد بن قيس الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً. وتابع حميداً أسامة بن زيد. رواه أبويعلى برقم (٢١٩٧)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٤٣) من طريق أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعاً. وهذا إسناد صحيح لكن اختلف على محمد بن المنكدر.

فرواه عبد الرزاق في المصنف برقم (٦٠٣٤)، عن ابن عينة، وابن أبي شيبه برقم (١٠٠٥٣)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٢٦٤١) من طريق سفيان الثوري كلاهما عن محمد بن المنكدر، فذكره مرسلًا وهو أصح؛ لأن السفيانيين أرجح من حميد وأسامة بن زيد بلا شك.

٣- حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «يكون خَلْفُ يقرأون القرآن لا يعدو تراقيهم، يقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر».

قال بشير: فقلت للوليد -راويان سيأتي ذكرهما-: (ما هؤلاء الثلاثة؟ فقال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به).

رواه أحمد (٣/٣٨-٣٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٢١٦) من «عقائد السلف»، والحاكم في «المستدرک» (٢/٣٧٤) و(٤/٥٤٧)، وابن حبان برقم (٧٥٥) بترتيب ابن بلبان، والبيهقي في «الشعب» (٢٩٢٦)، والأجري في «أخلاق أهل القرآن» برقم (٤٠).

كلهم من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن حيوة بن شريح أخبرني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد فذكره.

وقال الحاكم في الموضع الأول: صحيح رواه حجازيون وشاميون أثبات ولم يخرجاه.

وفي الموضع الثاني قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وهذا حديث رجاله ثقات غير الوليد بن قيس وهو التجيبي المصري، روى عنه جماعة، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات فمثله يحتمل التحسين.

وللحديث طريق أخرى عند أبي عبيد في فضائل القرآن (٢٠٥-٢٠٦).

والبيهقي في «الشعب» برقم (٢٦٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (١١٨٢)

من طريق ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به فذكره.

وابن لهيعة وهو عبد الله ضعيف.

فحديث أبي سعيد حسن في أقل درجاته.

٤- حديث عبد الرحمن بن شبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به».

رواه أحمد (٤٢٨/٣ و ٤٤٤) وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٥) من طريقين عن عبد الرحمن به وهو صحيح.

٥- حديث عمران بن حصين مرفوعاً، بلفظ: «اقرأوا القرآن واسألوا الله به، فإن بعدكم قومًا يقرءون القرآن يسألون الناس به».

رواه أحمد (٤٣٦-٤٣٧ و ٤٣٩)، والترمذي برقم (٢٩١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٢٨)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن» برقم (٤٢٤١) وغيرهم من طريق خيثة عن الحسن عن عمران بن حصين فذكره.

وخيثة هو ابن أبي خيثة أبو نصر البصري قال الحافظ في التريب: لين الحديث والحسن لم يسمع من عمران بن حصين كما في «تحفة التحصيل».

وجاء من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (١٥٣/٤) قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتدارس القرآن قال: «تعلموا القرآن واقتنوه...» وهو حسن.

وبالجملة فالحديث صحيح لشواهده، وإنما ذكرت هذه الشواهد لقوله: «يتعجلونه ولا يتأجلونه».

وأما قوله: «يقرءون القرآن يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم».

فثبت في «الصحيحين» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه يخرج من

ضئضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

رواه البخاري برقم (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) - ١٤٤ و ١٤٥.

وحديث علي رواه البخاري برقم (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) وسهل بن حنيف رواه البخاري برقم (٦٩٣٤)، ومسلم (١٠٦٨)، وأبي ذر عند مسلم (١٠٦٧) ومعنى قوله: «الأحمر والأسود»، قال في «عون المعبود» (٦٠/٣): معناه «فيكم العربي والعجمي». اهـ

وقال العيني في «شرح سنن أبي داود» (١٣/٤): المراد بالأحمر: العجم لأن الغالب على ألوانهم الحمرة، والمراد من الأبيض: أهل فارس لأن الغالب على ألوانهم البياض، والمراد من الأسود: العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة والسمرة، والمقصود أن فيكم طوائف مختلفة. اهـ

وقوله: (أقرؤوا القرآن):

أي كما تقرؤون فقراءتكم حسنة.

اهـ من عون المعبود (٦٠/٣).

وقوله: (قبل أن يأتي أقوام):

أي بعدكم.

قوله: (يقيمونه):

قال العيني في شرح سنن أبي داود (٨٤/٤):

أي يقيمون القرآن كما يقام القدح بكسر القاف وسكون الدال.

السهم: إذا قوم واستوى قبل أن ينصل ويراش، فإذا ركب في النصل والريش فهو السهم.

وقوله: (يتعجلونه):

يقال: أعجله وتعجله وعجله تعجلًا إذا استحثه، والمراد يتعجلون أجره في الدنيا، ويطلبون على قراءتهم أجره من الأعراض الدنيوية، ولا يصبرون إلى الأجر والثواب الذي يحصل لهم في دار الآخرة، وقد وقع مثل ما قال عليه السلام. اهـ كلامه.

وقوله: (لا يجاوز تراقيهم): فيه قولان:

الأول: معناه لا تفقهه قلوبهم، ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا حظ لهم سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطيع الحروف.

الثاني: معناه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل.

اهـ من شرح النووي على مسلم (٧/ ١٦٠) بتصرف نقلًا عن القاضي عياض. والتراقي: جمع ترقوة مثناه ترقوتان، وهما العظامان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق، كما في لسان العرب (٢/ ٣١).

قوله: (وروي عن أبي بكر وعمر قالاً: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه):

ذكره ابن قدامة بدون إسناد، في لمعة الاعتقاد (ص ٨٢) مع شرح العثيمين، وفي البرهان في بيان القرآن، (المطبوع ضمن مجلة البحوث الإسلامية) (١٩/ ٢٣٠).

والمراد معرفة معانيه أولى من حفظه، وإنما سمي الإعراب إعرابًا لتبيينه وإيضاحه، كما في لسان العرب (٩/ ١١٤).

قوله: (وروى أبو عبيدة في فضائل القرآن بإسناده، قال: سئل علي رضي الله عنه عن (الجنب) يقرأون القرآن؟ قال: لا، ولا حرفاً):
وأبو عبيدة هو القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤)، إمام مشهور له كتاب فضائل القرآن وكتاب الأموال وغيرهما.

أثر علي حسن، رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٩٧، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٠٢) وهذا لفظهما، وعبد الرزاق في المصنف برقم (١٣٠٦)، وأحمد في المسند (١/ ١١٠) بنحو روايتهما وفيه: «ولا آية»، وأبو يعلى (٣٦٥) بلفظ: «.. فأما الجنب فلا والله» من طريق عامر بن السمط عن أبي الغريف عن علي فذكره.
وهذا أثر حسن.

وعامر ثقة، وأبو الغريف: هو عبيد الله بن خليفة الهمداني المرادي قال يعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٣/ ٢٠٠): ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات».
وقال أبو حاتم: كان على شرطة علي وليس بالمشهور، قيل له: هو أحب إليك أو الحارث الأعور؟ قال: الحارث أشهر، هذا شيخ قد تكلموا فيه من نظراء أصبع بن نباة.

وقال ابن سعد: كان قليل الحديث. وذكره ابن البرقي فيمن احتملت روايته وقد تكلموا فيه، وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق رمي بالتشيع.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٦): رجاله موثقون. اهـ

أما مسألة قراءة الجنب والحائض للقرآن ومسه فجائز، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قَدِمْتُ مَكَّةَ وَأَنَا حَائِضٌ، وَلَمْ أَطْفِ بِالْبَيْتِ، وَلَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرْوَةِ،

قَالَتْ: فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهَرِي».

رواه البخاري برقم (١٦٥٠) ومسلم برقم (١٢١١).

ولا شك أنها ستقرأ القرآن، وتذكر الله.

وكذا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ.

رواه مسلم برقم (٣٧٣).

وبوب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الحيض باب: تقضي الحائض

المناسك كلها إلا الطواف بالبيت.

وعلق عن إبراهيم لا بأس أن تقرأ الآية، ولم يرى ابن عباس بالقراءة للجنب

بأساً.

وحديث عائشة السابق الذكر أن النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

وقالت أم عطية: كنا نؤمر أن نخرج الحيض فيكبرن بتكبيرهم ويدعون، وحديث

عائشة المتفق عليه السابق، وكلها ثابتة، وحديث أم عطية متفق عليه.

وهذا مذهب ابن عباس وعكرمة وإبراهيم وأم عطية وابن المسيب ومالك

وغيرهم، وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]. فالمراد الملائكة،

كما تقدم في موضعه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَأَنْسَلَ،

فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «أَبِنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ».

رواه البخاري برقم (٢٨٥) ومسلم برقم (٣٧١).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَهِ وَهُوَ جُنُبٌ فَحَادَّ عَنْهُ فَأَغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ».

رواه مسلم برقم (٣٧٢).

وقول النبي ﷺ لِعَائِشَةَ: «أَفْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي».

رواه البخاري برقم (٣٠٥) ومسلم برقم (١٢١١).

راجع فتح الباري (٤٨٦/١) ونيل الأوطار للشوكاني (٢٠٥-٢٠٦) وغيرهما، والمسألة مبسوبة في كتب الفروع.

قوله: (وروى بنحوه عن ابن المبارك وزاد: من قال: لا أو من بهذا الكلام فقد كفر):

ضعيف، رواه أبو عثمان الصابوني في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث» برقم (١٨) عن عبدالله بن المبارك قال: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر [يعني] بالقرآن، ومن قال: لا أو من بهذا الكلام فقد كفر.

وفي سنده محمد بن عبدالله الجراحي، ويحيى بن سوية، وعبدالكريم السكري، وعلي الباشاني لم أجد تراجم مستقلة لهم.

قوله: (وقال أيضًا: من حلف بسورة البقرة فعليه بكل حرف منها يمين):

ضعيف، رواه عبد الرزاق في «المصنف» برقم (١٥٩٥٠) عن ابن جريج قال: أخبرني عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول: وسورة البقرة يحلف بها، فقال: «أما إن عليه بكل حرف منها يمينا».

وهو ضعيف لجهالة شيخ ابن جريج.

ورواه عبد الرزاق برقم (١٥٩٤٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٣٧٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٤٣/١٠) من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن أبي كنف أن ابن مسعود مر برجل فذكره بلفظ: «بكل آية». وأبو كنف مجهول الحال ذكره ابن أبي حاتم (٤٣١/٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ورواه البيهقي في «الكبرى» (٤٣/١٠) خالد بن عبد الله من طريق أبي سنان الشيباني عن عبد الله بن أبي الهذيل عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: خرجت مع ابن مسعود فذكره.

وخالفه سفيان فجعل بدل حنظلة بن خويلد عبد الله بن حنظلة.

وفي السند الأول أبو نصر بن قتادة لم أجد له ترجمة، وفي السند الثاني سفيان بن محمد وهو الفزاري اتهم بسرقة الحديث.

وأبو سنان الشيباني سعيد بن سنان البرجمي حسن الحديث.

ولا يضر هذا الاختلاف؛ لأنه كيفما دار دار على ثقة لو صح. وعبد الله بن حنظلة له رؤية.

ورواه البيهقي عن الحسن مرسلًا وقال: هذا الحديث إنما روي من وجهين جميعًا مرسلًا، وروي عن ثابت بن الضحاك موصولًا مرفوعًا وإسناده ضعيف، وروي في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مع الحديث المرسل فيه دليل على أن الحلف بالقرآن يكون يمينًا في الجملة، ثم التغليظ في الكفارة متروك بالإجماع. اهـ
وقول المصنف: «وقال أيضًا» بعد ذكر أثر لابن المبارك يوهم أو يدل أن القائل ابن المبارك، وليس بصحيح، فهذا القول لابن مسعود، لا لابن المبارك، والعبارة منقولة بنصها من «الاقتصاد في الاعتقاد» لعبد الغني المقدسي (ص ٦٠) بل الفصل كله، والمقدسي عطف على كلام لابن مسعود فأصاب، وعطف المصنف على كلام لابن المبارك فأخطأ في العزو لابن المبارك.

قوله: (وقال طلحة بن مطرف: قرأ رجل على معاذ بن جبل القرآن فترك واؤًا، فقال: لقد تركت حرفًا أعظم من أحد).

وقال الحسن البصري: قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وما تدبر آياته إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى أن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله، فما اسقطت منه حرفًا، وقد اسقطه كله: ذكره ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٠١١) وعزاه لابن أبي حاتم بدون إسناد.

والحسن هو الحسن بن أبي الحسن (يسار) أبو سعيد البصري من أئمة التابعين مات سنة (١١١).

وسرد المصنف هذه الأدلة على أن القرآن حروف، قال ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠) في البرهان في بيان القرآن (ص ٢٣٥-٢٣٨) من (العدد ١٩) مجلة البحوث الإسلامية:

أجمع المسلمون على أن القرآن يقرأ ويسمع ويكتب ويحفظ، وهذه الصفات لا تؤهلها بما لم ينزل إلينا ما لا يدري ماهو، وأجمعوا على أن القرآن أنزل على محمد ﷺ، وأنه معجز للنبي الذي يتحدى الله به الخلق بالإتيان بمثله، وعجزوا عنه.

وأجمعوا على أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ولا يتعلق ذلك إلا بهذا النظم. وأجمعوا على أن القرآن الذي يشترط قراءته في الصلاة، ويمنع الجنب من قراءته^(١)، والمحدث من مسه، ويمنع من السفر به إلى أرض العدو هو هذا دون غيره. وأجمعوا على أن الوقوف الموقوفة على قراء القرآن وعلى كتبه، أو على حافظيه يصرف على من قرأ هذا أو كتبه وحفظه.

وأجمعوا على أن تفسير هذا الكتاب يسمى تفسير القرآن، وأن قارئه يسمى قارئ القرآن، وأن من يقرئه يسمى مقرئ القرآن، وأن سورة تسمى سور القرآن، وآياته تسمى آيات القرآن، وحروفه تسمى حروف القرآن.

ولو قال إنسان: سورة البقرة ماهي من القرآن لكان عند المسلمين جاحداً لبعض القرآن.

وما اختلف الصحابة في شيء من سور القرآن وفيما علمت إلا في المعوذتين، فإن بعضهم لم يكتبها في مصحفه، وأجمعوا على ما عداهما.

(١) تقدم قريباً أن الصواب جواز مسه للجنب وغيره وأن الصواب خلاف ما قرره ابن قدامة وليس في المسألة إجماع يثبت.

وأجمعوا على أن من جحد سورة من القرآن أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه، أنه كافر.

قال أبو نصر السجزي: هذا حجة قاطعة أنه حروف.

وأجمعوا فيما علمت على أن حالفاً لو حلف بالقرآن، أو ليكتبن القرآن، أو يحفظنه، أو لسيمعنه لحنث بترك كل قراءة هذا وكتابته وحفظه وسماعه، ولو حلف أنه لا يقرأ القرآن، أو لا يكتبه، أو لا يحفظه لحنث بقراءة هذا أو كتابته وحفظه وسماعه، ولو حلف أن لا يتكلم فقرأ القرآن في الصلاة لم يحنث، ولما اختلف أهل الحق والمتعزلة في القرآن هل هو مخلوق أو لا؟ ما اختلفوا إلا في هذا الكتاب.

فصل:

واتفق الجميع على أنه قرآن.

واختلفوا في قدمه وخلقه.

ومن صور الاختلاف: الاتفاق على محله.

فصل:

الإجماع من أمة محمد ﷺ على أن هذا الكتاب هو القرآن المنزل، وثبت بالأدلة القاطعة أن هذا قرآن، فلا يلتفت إلى من خالف ذلك، وإذا ثبت أنه قرآن فهو سور وآيات وكلمات وحروف بغير إشكال، وإنكار ذلك جحد للعيان، ونوع من السفسطة والهديان!

ومن العجب أن الله تعالى سمى هذا الكتاب قرآناً، وسماه نبيه قرآناً، وسمته أمته قرآناً، وسمته الجن قرآناً فقال تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وسمته

المعتزلة قرأتاً، فجاءت هذه الطائفة^(١) بمخالفة رب العالمين وخلقه أجمعين، وقالت: ماهذا بقرآن قصداً للرد على المعتزلة قولهم: القرآن مخلوق، فجاءت بطامة إذ من لوزمها كون القرآن مخلوقاً، فإن المعتزلة لم يعنوا بالقرآن المخلوق سوى هذا الكتاب، وهذه الطائفة تقول: هو ليس بقرآن، فليتها صرحت بقول المعتزلة ووقفت عليه^(٢) ولم تفرد هذه الزيادة التي لم يقلها قبلها أحد.... الخ كلامه رحمه الله.

وهو كتاب نفيس في هذا الصدد جزى الله مؤلفه خير الجزاء.

(١) الكلائية والأشاعرة وقد تقدم قولهم.

(٢) وهذا لا يعني التهوين من مذهب المعتزلة إنها قول هؤلاء أشد شناعة.

كلام الله بصوت

قوله: (فصل. وأما الصوت فقد ورد في رواية عبد الله بن أنيس مرفوعاً في حديث الحشر: «فيناديهم سبحانه وتعالى بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب». الحديث).

رواه أحمد وجماعة من الأئمة واستشهد به البخاري:

الحديث ضعيف، رواه أحمد في المسند (٤٩٥/٣) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠) وعلقه في الجامع (٢٠٨/١) من «الفتح» بصيغة الجزم، وكذا في «خلق أفعال العباد» ص «١٣١» من «عقائد السلف»، وفي «الجامع» (٤٦١/١٣) من «الفتح» بصيغة التمریض، وكذا في «التاريخ» (١٦٩-١٧٠/٧) والحرث بن أسامة برقم (٣٩) من زوائده، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٥١٤)، وفي «الآحاد والمثاني» برقم (٢٠٣٤)، والحاكم في «المستدرک» (٤٣٨-٤٣٤/٢) و(٤٧٥-٥٧٤/٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (١٣١ و ٦٠٠) مختصراً، والخطيب البغدادي في «الرحلة» برقم (٣١ و ٣٢)، و«الجامع» برقم (١٦٨٦)، والطبراني في «الأوسط» برقم (٨٥٨٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (٥٦٥ و ٥٦٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة القاسم بن عبد الواحد (٢٣/٢٩٣-٢٩٤)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/٣٥٥-٣٥٦). من طريق القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت

بعيراً، ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله ابن أنيس فقال للبواب: قل له: جابر على الباب فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يظاً ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد- عراة غرلاً بهما» قال: قلنا: وما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة». قال: قلنا: كيف؟ وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهما؟ قال: «بالحسنة والسيئة».

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢١٠): إن الإسناد حسن وقد اعتضد.

وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٤٧): وعبد الله بن محمد ضعيف.

والقاسم بن عبد الواحد المكي روى عنه جماعة ولم يوثقه معتبر. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. وذكره ابن حبان في «الثقات»، كما في «تهذيب التهذيب». وعبد الله ابن محمد بن عقيل اختلف أهل العلم في الاحتجاج بحديثه، وهو ضعيف.

و للحديث شاهد عند الطبراني في مسند الشاميين برقم (١٥٦) وتمام في فوائده برقم (١٧٤٦) من الروض البسام بترتيب وتخريج فوائده تمام.

من طريق عثمان بن سعيد الصيدائوي ثنا السليم بن صالح عن ابن ثوبان عن الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره.

وتصحف عند الطبراني من سليم إلى سليمان وهو خطأ.

وقال الحافظ في «الفتح» (٢٠٩ / ١): إسناده صالح.

قلت: وسليمان بن صالح قال الذهبي «الميزان» (٢٣٢ / ٢): لا يعرف. وأقره الحافظ في «اللسان» (١٢٩ / ٣).

وله شاهد عند الخطيب في «الرحلة» برقم (٣٣) وفي سنده عمر بن صبح التميمي العدوي كذاب.

فهاتان الطريقان لا تصلحان في الشواهد وعُدنا للطريق الأولى.

فالحديث ضعيف.

لكن قال العلامة ابن القيم رحمه الله كما في مختصر الصواعق (٢٨٠ / ٢):

هذا حديث حسن جليل، وعبد الله بن محمد بن عقيل صدوق حسن الحديث، وقد احتج به غير واحد من الأئمة، وتكلم فيه من قبل حفظه، وهذا الضرب ينتقى من حديثهم ما خالفوا فيه الثقات، ورووا ما يخالف روايات الحفاظ وشذوا عنهم، وأما إذا روى أحدهم ما شواهد أكثر من أن تحصر مثل هذا الحديث فلا ريب في قبول حديثه.

أما القاسم بن عبد الواحد بن أيمن المكي فحسن الحديث أيضًا، وقد احتج به النسائي مع تشدده في الرجال، وإن له شرطاً أشد من شرط مسلم، وحسن الترمذي من حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات، ورى هذا الحديث الإمام أحمد محتجاً به على من رده، ورى البخاري أوله في صحيحه مستشهداً به تعليقاً... الخ كلامه.

وقد حسنه الإمام الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم وفي صحيح الأدب المفرد.

قوله: (وعن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي، سمع صوته أهل السماء، كسلسلة على صفوان، فيخرون سجداً»... الحديث):
 صحيح بشواهده. رواه أبو داود برقم (٤٧٣٨) قال: حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي وعلي بن الحسين بن إبراهيم وعلي بن مسلم، وابن خزيمة برقم (٢٠٧) حدثنا علي بن الحسين بن إبراهيم. والآجري في «الشرعة» (٦٦٩) من طريق علي ابن الحسين بن إبراهيم، وابن حبان برقم (٣٧)، والخطيب في «التاريخ» (١١/٣٩٢-٣٩٣)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/٣٥٤) من طريق علي بن الحسين بن إشكاب، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٥٤٧-٥٤٨) من طريق علي بن الحسين بن إشكاب والحسن بن محمد بن الصباح، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٤٣٣ و٤٣٤) من طريق علي بن الحسين بن إشكاب، وعلي بن الحسين بن إبراهيم، وعلي بن مسلم كلهم عن أبي معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم - وهو ابن صبيح أبو الضحى - عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة

على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق».

ورواه جماعة آخرون فخالقوا أبا معاوية في الطريق الأولى، فرووه عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبدالله موقوفاً وهم:

١- أبو حمزة حفص بن غياث عند البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٩٣) من «عقائد السلف».

٢- شعبة بن الحجاج عند ابن خزيمة برقم (٢٠٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٧٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٥٤٩).

٣- ابن نمير عند ابن خزيمة برقم (٢١٠)، و«السنة» لعبدالله بن أحمد برقم (٥٣٧).

٤- وكيع عند ابن خزيمة برقم (٢١١) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة برقم (٢١٧).

٥- سيفيان الثوري عند أبي الشيخ في كتاب «العظمة» برقم (١٤٤).

٦- جرير بن عبد الحميد في «السنة» لعبد الله بن أحمد برقم (٥٣٧).

٧- عبد الرحمن بن محمد المحاربي في «السنة» لعبد الله بن أحمد برقم (٥٣٦).

٨- أبو معاوية نفسه رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٥٣٧) وابن خزيمة

برقم (٢٠٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٤٣٢).

فالذين خالفوا أبا معاوية الضرير فرووه موقوفاً أرجح بلا شك، فالراجح في حديث ابن مسعود الوقف، وعلقه البخاري في جامعه (١٣/ ٤٦٠) موقوفاً، وقال الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٣٩٣): هكذا رواه ابن إشكاب عن أبي معاوية مرفوعاً، وتابعه على رفعه أحمد بن أبي سريح الرازي، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، وعلي بن مسلم الطوسي جميعاً عن أبي معاوية وهو غريب، ورواه أصحاب أبي معاوية عنه موقوفاً وهو المحفوظ من حديثه. اهـ.

وذكره الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٤٢-٢٤٣) وقال:
والموقوف هو المحفوظ اهـ.

وللحديث شاهد صحيح، بل في صحيح البخاري برقم (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاءاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير».

قال الحافظ: (٨/ ٦٨٣-٦٨٤) عقب الحديث:

قوله: «كأنه»: أي القول المسموع «سلسلة على صفوان» هو مثل قوله بدء الوحي «صلصلة كصلصلة الجرس»^(١)، وهو صوت الملك بالوحي، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: «إذا تكلم الله بالوحي يسمع أهل السماء صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة» وقرأ: ﴿حَتَّى

(١) حديث عائشة رواه البخاري برقم (٢)، ومسلم (٢٣٣٣)، وقد تقدم.

إِذَا فُزَّعَ ﴿[سبأ: ٢٣] الآية، وأصله عند أبي داود وغيره وعلقه المصنف موقوفاً، ويأتي في كتاب التوحيد^(١) إن شاء الله تعالى.

قال الخطابي: «الصلصلة صوت الحديد إذا تحرك وتداخل، وكأن الرواية وقعت له بالصاد وأراد أن التشبيه في الموضعين بمعنى واحد، فالذي في بدء الوحي هذا، والذي هنا جر السلسلة من الحديد على الصفوان الذي هو الحجر الأملس يكون الصوت الناشئ عنهما سواء». اهـ

وفي «صحيح البخاري» برقم (٤٧٤١ و ٧٤٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

والحديث في «صحيح مسلم» برقم (٢٢٢) بدون ذكر لفظه الصوت.

فالأدلة دالة أن الله متكلم، ويقول قال تعالى: والله يقول الحق:

وفي صحيح البخاري برقم (٢٣٤٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ».

والأدلة كثيرة وفي هذا إثبات صفة القول لله تعالى.

والنداء قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[الشعراء: ١٠]

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠].

قال أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١٦٦):

والنداء عند العرب صوت لا غير، ولم يرد عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ أنه من الله غير صوت.

ولا خلاف بيننا في أن موسى مكلم بغير واسطة، فسقط قول من زعم أن العرب تقول: نادى الأمير من ينادي.

وحد الصوت هو ما يتحقق سماعه، فكل متحقق سماعه صوت، وكل ما لا يتأتى سماعه البتة ليس بصوت. اهـ.

والنداء هو رفع الكلام بالصوت.

قوله: (وقول القائل إن الحروف لا تكون إلا من مخارج باطل ومحال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]):

وهذا على الحقيقة أن الله تعالى يقول لجهنم هل امتلأت، لا أنه يخفى عليه شيء، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وهذا السؤال من الله إما توبيخاً لمن ادعى ذلك بعده، وإما تعريفه أن قومه غيروا بعده. كما قاله القرطبي (٦/ ٣٧٥).

وهذا السؤال من الله توبيخاً للكافرين وإيذاناً لما سبق من وعده للنار أن يملأها، وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتنبيه لجميع عباده. انتهى من تفسير القرطبي (١٧/ ١٨) بتصرف.

وجواب جهنم على الحقيقة أيضًا، وتقول هل من مزيد أي زدني، وتكلم، وعلى ذلك أدلة أخرى، فمنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تحتاج الجنة والنار، فقالت النار: لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا ضعفاء القوم وسقطهم».

الحديث رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِ».

رواه البخاري برقم (٣٢٦٠) ومسلم برقم (٦١٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخْرُجُ عُقُقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ بِكَلٍّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكَلٍّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ، وَبِالْمَصُورِينَ».

رواه الترمذي برقم (٢٥٧٤) وهو حديث صحيح.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ إلى

قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

قوله: (وكذا قوله إخبارًا عن السماء والأرض أنها قالتا: ﴿أَتَيْنَا

طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١].

وهذا حق على حقيقته أنها تكلمتا ونطقتا بقولهما: أتينَا طائعين.

قوله: (فجعل القول لا من مخرج ولا أدوات):

قال أبو نصر عبيد الله بن سعيد السحزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١٥٨-١٦١):

وأما الصوت: فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء بين جرمين، ولذلك لا يجوز وجوده في ذات الله تعالى.

والذي قالوا باطل من وجوه:

ألا ترى أن النبي ﷺ ذكر سلام الحجر عليه^(١)، وعلم تسبيح الحصى في يده^(٢)، وتسبيح الطعام بين يديه^(٣)، وحنين الجذع عن مفارقتة إياه^(٤)، وما جاء لشي من ذلك هواء منخرق بين جرمين.

وقد أقر الأشعري: أن السماوات والأرض قالتا: أتينا طائعين.

حقيقة لا مجازاً، ولا خلاف بين العقلاء في أن الله سبحانه قادر على أن ينطق الحجر الأصم على ما هو به.

وقال الأشعري: بعد أن يجعل فيه روحاً، والناس كلهم مخالفون له فيما قال.

وإذا وصف بقدرة على أنطق الحجر الأصم على ما هو به، بطل قول من زعم

أن وجود الصوت غير جائز إلا من منخرق بين جرمين.

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ، كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

(٢) رواه ابن أبي عاصم برقم (١١٤٦) والبخاري برقم (٢٤١٣-٢٤١٤)

وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم (٣٣) وغيره من حديث أبي ذر وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٥٧٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري برقم (٣٥٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وجاء عن غيره.

ثم لو كان الأمر على ما زعموا لم يجب أن لا يوصف الله سبحانه بها بخالف
الشاهد الأ ترى أن الله سبحانه بالاتفاق واحد حي قادر عالم سميع بصير قوي مرید
فاعل، وليس بجسم ولا في معناه.

وفي الشاهد لا يجوز وجود حي قادر سميع بصير إلا جسمًا.
وإذا صح ما ذكرناه لم يضرنا قول من زعم: أن الصوت في الشاهد لا يوجد إلا
من هواء منخرق بين جرمين، وقد بينا بطلان دعواه قبل هذا. اهـ.

قوله: (وروى عن النبي ﷺ أنه كلمته الذراع المسمومة):
صحيح، رواه الدارمي برقم (٦٩)، وأبوداود برقم (٤٥١٠)، ومن طريقه
البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٦٢/٤) من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري
قال: كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث: أن يهودية من أهل خيبر سمت
شاة مصلية، ثم أهدتها إلى النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ الذراع فأكل منها وأكل
الرهط من أصحابه معه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «ارفعوا أيديكم..» وأرسل النبي
ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟» فقالت: نعم، من
أخبرك؟ فقال النبي ﷺ: «أخبرتني هذه في يدي للذراع، فقالت: نعم».

وهذا إسناد منقطع بين الزهري وجابر فإنه لم يسمع منه قاله سفيان بن عيينة كما في
«تحفة التحصيل» (ص ٢٨٧).

واختلف على الزهري فيه فرواه البيهقي في الدلائل (٢٦٠-٢٦١) من طريق
معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مرسلًا.

وقال البيهقي (٢٦٢/٤): هذا مرسل، ويحتمل أن يكون عبدالرحمن حملة عن جابر بن عبدالله.

وله طريق عند الطبراني في «الكبير» (١٩/٧٠ برقم ١٣٧) من طريق ابن أبي ذئب عن الزهري عن عبدالرحمن ابن كعب عن أبيه فذكره.

لكن في سندها أحمد بن بكر البالي ضعيف.

وله طريق أخرى عند البيهقي (٢٦٣/٤) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري مرسلًا من قوله.

ورواية شعيب بن أبي حمزة أرجح؛ لأنه من أثبت الناس في الزهري (أي رواية حديث جابر) لاسيما وقد تابع شعيبًا يونس عن الزهري مثله.

رواه البيهقي في «السنن» (٤٦/٨).

وله طريق أخرى عن جابر موصولة عند البيهقي في «الدلائل» (٢٦٠/٤) من طريق عثمان بن جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر فذكره.

وفي سندها خلف بن عبد العزيز بن عثمان مجهول الحال.

ومحمد بن رزام المروزي لم أجد له ترجمة.

وعند البيهقي عثمان بن أبي جبلة وهو خطأ، والصواب عثمان بن جبلة كما في التهذيب.

واختلف على عبد الملك فرواه البزار كما في كشف الأستار برقم (٢٤٢٤) من طريق أبي عتاب سهل بن حماد عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد

فذكره.

وقال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي سعيد إلا من هذا الوجه.
وتصحف عند البزار من أبي عتاب إلى أبي غياث والصواب أبو عتاب كما في التهذيب.

وعثمان بن جبلة أرجح من أبي عتاب سهل بن حماد، فعثمان ثقة، وسهل صدوق، لكن طريق عثمان ضعيفة كما تقدم، فالراجح طريق سهل أنه من حديث أبي سعيد وهو حسن لذاته.

وجاء أيضًا من حديث أنس رواه البزار كما في كشف الأستار برقم (٢٤٢٣) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره، ومبارك يدلّس ويسوى مع كونه حسن الحديث.

وجاء مرسلًا من مراسيل أبي سلمة بن عبد الرحمن رواه الدارمي برقم (٦٨)، وأبوداود برقم (٤٥١١).

فالحديث صحيح والحمد لله.

على أن أصل قصة السم في البخاري برقم (٢٦١٧) ومسلم برقم (٢١٩٠) عن أنس.

وعند البخاري عن أبي هريرة برقم (٥٧٧٧) وليس فيها قصة تكلم الذراع.

قوله: (وأنه سلم عليه الحجر):

رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

قوله: (وسلمت عليه الشجرة):

ضعيف جدًا، رواه الترمذي برقم (٣٦٢٦) من حديث علي وقال: غريب.
وفي سنده عباد بن أبي يزيد الكوفي مجهول عين، والوليد بن عبد الله بن أبي ثور
الهمداني المرهبي الكوفي ضعيف جدًا، وقال ابن نمير: كذاب، فالحديث ضعيف
جدًا.

قوله: (وبالجملة فالقرآن العظيم):

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

قوله: (هو كتاب الله المبين):

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١]، وقال الله سبحانه
وتعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

قوله: (وحبله المتين):

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومعنى حبله المتين أي السبب القوي الشديد الموصل إليه سبحانه وتعالى.

قوله: (أنزله على سيد المرسلين):

تقدمت أدلة إنزاله.

وكون رسول الله ﷺ سيد المرسلين، له فصل مستقل سيأتي إن شاء الله في بعض

خصائص رسول الله ﷺ.

قوله: (بلسان عربي مبين، وهو سور):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ

أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ

يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

و السور: جمع سورة وهي القطعة المشتملة على بعض الآيات القرآنية.

قوله: (وآيات، وأصوات، وحروف، وكلمات، له أول وآخر، متلو بالأسنة):

أي مقروء بالأسنة الناس.

قوله: (محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف، مسموع بالآذان قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]:
قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: قل يا محمد لو كان البحر مدادًا للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه، وآياته الدالة عليه لنفذ قبل أن يفرغ كتابة ذلك.

﴿ولوجدنا بمثله﴾ أي مثل البحر آخر، ثم آخر وهلم جرا، بحور تمدده ويكتب بها لما نفذت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. اهـ.
وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨].

والكريم اسم جامع لما يحمده، وذلك أن فيه البيان والهدى والحكمة وهو مُعْظَم عند الله عز وجل.

ومعنى قوله: ﴿في كتاب مكنون﴾: أي في اللوح المحفوظ مستور عن الخلق ومصان.

كما في زاد المسير (٧/ ٣٣٧).

قوله: (والقرآن هو كتاب الله العربي):

قال الله جل في علاه: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ

تُرْجَمُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال جل وعلا: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قوله: (الذي قال فيه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سباء: ٣١]):

فحتى الكفار يعرفون أن القرآن هو هذا الكتاب.

قوله: (وقال بعضهم فيه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥])، فتوعد الله بإصلائه سقر):

قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَعَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١-٢٦].

قال الأصفهاني في مفردات القرآن (ص ٤٩٠):

أصل الصلي الإيقاد بالنار، ويقال صُلي بالنار، وكذا إذا بلي بها واصطلى بها، وصليت الشاة شيوتها. اهـ.

وسقر: اسم من أسماء النار أعادنا الله منها، وتوعده الله بسقر لأنه جعله من كلام البشر وهو كلام الله تعالى.

قوله: (وقال بعضهم هو شعر، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]):

وهذا كسابقه قول بعض الكافرين فقالوا هنا: إن رسول الله ﷺ شاعر فرده الله، ولم يكن النبي ﷺ يقول الشعر.

وأما ما قد يورده مورد أن رسول الله ﷺ قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فإنه وقع اتفاقاً من غير قصد، ومثله ما في البخاري برقم (٢٨٠٢) ومسلم برقم (١٧٩٦) من حديث جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال:

هل أنت إلا أصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت

فإنه ﷺ لم يعلم الشعر، ولا يحسنه، ولا يجيده بل ذم الإكثار منه في البخاري برقم (٦١٥٥) ومسلم برقم (٢٢٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا».

وأيضاً لا يقال لصاحب البيت والبيتين شاعر.

راجع بقية البحث في تفسير ابن كثير عن الآية السابقة.

قوله: (فلما نفى سبحانه الشعر، وأثبت قرآنًا، لم تبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي علم أوله وآخره، فمن زعم أن القرآن اسم لغيره دونه بان جهله وحمقه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]):

فتحدى الله عز وجل - ولا يزال التحدي - من كان في شك أن هذا القرآن ليس بكلام الله، فليأتي بسورة ولو مثل أصغر سورة من القرآن!
ثم قال تعالى تلو هذه الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].
أي لو كان بعضهم لبعض معينا ومسانداً ومساعدًا، ولو تعاونوا كلهم ما استطاعوا أن يأتوا بمثله، ولا بمثل سورة، ولا بمثل آية منه.

قوله: (ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو، ولا يعقل معناه):
قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].
وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].
وتحداهم الله تعالى أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

أقسام التوحيد الثلاثة

قوله: (فصل. والله سبحانه خالق لجميع المخلوقات):

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وفي قوله: (جميع المخلوقات) قيد مهم فيخرج بذلك ما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، فليست بمخلوقة، وفي الآية الأخيرة دليل لذلك، ففرق سبحانه بين خلق الله وأمره، فالأمر ليس بمخلوق.

والخلق هو: إيجاد الشيء وإبداعه على غير مثال سابق، وهذا خاص بالله تعالى كما قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، ولا يستعمل الخلق في كافة الناس إلا على أحد وجهين:

الأول: التقدير: كقول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبع
خص القوم يخلق ثم لا يفري

الثاني: في الكذب نحو قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ٣٧].

راجع مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢٩٦).

قوله: (عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكلديات):

قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الجن: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقد تقدم أن من أسمائه تعالى العليم ومن صفاته صفة العلم.

قوله: (قادر على جميع الممكنات، وعلى أن يخلق مثلهم):

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ

لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠]، وقال

تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩].

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ١١٧-١١٨):

وقد حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، فقالوا: إنه قادر على كل ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال

العباد فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا هل يقدر على مثلها أم لا؟! ولو كان المعنى على ما قالوا لكان هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه، وخالق لكل ما يخلقه، ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها، فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شيء.

وأما أهل السنة فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته مثل كون الشيء الواحد موجودًا معدومًا في حال واحدة فلا حقيقة له، ولا يُتصور وجوده، ولا يسمى شيئًا باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خَلَقَ مثل نفسه، وإعدام نفسه، وأمثال ذلك من المحال.

وهو هذا الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة؛ فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء ولا يؤمن بتهام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير.

وإنما تنازعوا في المعدوم الممكن هل هو الشيء أم لا؟ والتحقيق أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به. اهـ.

وعلى هذا فالأدلة ترد قول المصنف قادر على جميع الممكنات، وكذا كلام ابن أبي العز رحمة الله المذكور.

فالصواب قادر على كل شيء.

وقد تقدم أنه من أسمائه القادر، ومن صفاته صفة القدرة، وكذلك اسم الخالق وصفة الخلق.

قوله: (هو الخلاق العليم):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجرات: ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وفي هذا إثبات اسم الخلاق لله تعالى، وصفة الخلق وقد تقدمت. واسم العليم وصفة العلم وقد تقدم.

قوله: (مريد لجميع الكائنات):

المريد لم يثبت أنه اسم الله تعالى، ولكن صفة الإرادة ثابتة لله تعالى وهي قسمان: الأولى: شرعية، ولا تكون إلا فيما يحبه الله، وهي ترادف المحبة.

الثانية: كونية، وتكون فيما يحبه الله وما لا يحبه، وهي ترادف المشيئة، وقد تقدم هذا والكلام عليه.

فكل شيء كائن بإرادة الله تعالى.

قوله: (سميع بصير، لا شبيه له، ولا مثل، ولا ضد ولا ند):

تقدم الكلام على هذا.

قوله: (ولا شريك له في وجوب الوجود):

تقدم معنى الشريك.

أي أن الله ليس له شريك في كونه قائم بنفسه، وموجد بنفسه بخلاف غيره تعالى، فقائم بغيره وموجود بنفسه.

أما مسألة واجب الوجود فهي من المسائل التي أثارها أهل البدع، فالسلامة الإعراض عنها.

راجع مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٤-٢٩٧)، منهاج السنة النبوية (٢/ ١٣١-١٣٢).
قوله: (ولافي اسحتقاق العبادة):

قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وأما سببها الذي تستحق به فهو الاتصاف بصفات الكمال والتنزه عن النقص، فالله هو الخالق لجميع الخلق، والمسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة. وكلهم مفتقرون إليه يرغبون نعمته وفضله، فالحاجة والرغبة في نعمته وفضله يبعثان على الانقياد لله والخضوع له.

ربه يعلم أن العبادة لا تستحق إلا بغاية الإنعام.

وقال ابن كثير: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده لا يشرك به غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فلما كان هو المالك المتصرف في الأمور كيف شاء كان له سبحانه أن يأمر بما يشاء وينهى، وأنه سبحانه قد أمر بعبادته وحده لا شريك له، ونهى عن عبادة غيره
أه من منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة (١/ ٧١).

وقال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰٓأَيُّهَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجرات: ٩٩].

والعبادة قال شيخ الإسلام (رحمه الله):

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة.

ورى البخاري برقم (٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠): عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ».

ومن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد أشرك، كالذبح، والتوكل، والنذر، والخوف، والرغبة، والدعاء، والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والعبادة تكون من أعمال القلب، وتكون من أعمال الجوارح، وتكون من أقوال اللسان.

فالأول كالإقرار والتصديق بالله، والثاني كالصلاة، والثالث كالذكر. والدين كله داخل في العبادة.

وقد تقدم مزيد كلام على العبادة.

قوله: (ولا في الخلق والأمر والتدبير):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال الألوسي في روح المعاني (٥/ ٢٠٥):

أي أنه تعالى هو الذي خلق الأشياء، ويدخل في ذلك السماوات والأرض دخولاً أولياً، وهو الذي دبرها وصرفها على حسب إرادته، ويدخل في ذلك ما أشير إليه بقوله سبحانه: ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ولا أحد غيره كما يؤذن به تقديم الظرف. وفسر بعضهم الأمر هنا بالإرادة أيضاً، وفسر آخرون الأمر بما هو مقابل النهي، والخلق بالمخلوق أي له تعالى المخلوقون؛ لأنه خلقهم، وله أن يأمرهم بما أراد، واستخرج سفيان بن عيينة من هذا، أن كلام الله تعالى شأنه ليس مخلوق فقال: إن الله تعالى فرق بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر^(١) - يعني من جعل الأمر الذي هو كلامه سبحانه من جملة ما خلقه فقد كفر؛ لأن المخلوق لا يقوم إلا بمخلوق مثله، كذا في تفسير الخازن - وليس بشيء كما لا يخفى^(٢).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذُوا تَوْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

(١) صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في السنة رقم (١٩٦) وخلق أفعال العباد رقم (٢٨-٢٩-٣١) والأجري في الشريعة برقم (١٧١).
(٢) بل هو الصواب؛ وهو المنقول عن السلف، والألوسي فيه تصوف.

وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [الزمر: ٦٢].

ولا يفهم من هذه الآية أن أحداً غير الله يخلق إذ الخلق هو الإيجاد من العدم، وهذا خاص بالله تعالى.

وأما ما جاء في مثل هذه الآية، وكذا في حديث أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً».

رواه البخاري برقم (٥٩٥٣) ومسلم برقم (٢١١١).

فالمراد التحويل فقط.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وقال: ﴿وَمَنْ يَرْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبا: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وأما تدبير الإنسان فقاصر محدود، خاضع لتدبير الله تعالى، إذن فالله المتفرد وحده بالخلق والأمر والتدبير.

قوله: (ولا يشفي مريضًا ولا يرزق مرزوقًا ولا يكشف ضراً إلا هو):

قال الله عن إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٢-٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

ومعنى لا كاشف: أي لا مزيل ولا رافع.

والضر كل ما يصيب الإنسان مما يضر به.

قال ابن كثير (٤/ ١٧٧٥): بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله

تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك

له. اهـ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ١٢١].

والرزق في اللغة: العطاء، وقد تقدم.

وقد تقدم إثبات صفة الرزق لله، واسم الرزاق.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٤١٩) ومسلم (٩٩٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ اللَّهُ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ».

وهذا كله من توحيد الربوبية، وهو أفراد الله تعالى في أفعاله، وهو أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، وهو الذي ينفع ويضر، ويشفي ويمرض، ويعطي ويمنع لا أحد معه، ولا دونه في ذلك.

قوله: (ولا حل في غيره، ولا يحل غيره فيه، ولا يتحد غيره به):

هذا الكلام رد على الحلولية والاتحادية، وقد تقدم، بما يغني عن إعادة شيء منها دفعا للإطالة والملل.

قوله: (ولا يقوم حادث بذاته، ولا في ذاته حدوث، وإنما الحدوث تتعلق في تعلق الصفات بمتعلقاتها):

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٩٧):

وحلول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام المذموم لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال، فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية؛ من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى، ولا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول، والاستواء، والإتيان، كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل.

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيُسَلَّم السني للمتكلم ذلك على ظن أنه نفي عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية، وصفات الفعل، وهو لازم له، وإنما أي السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلوا استفسر وأستفصل لم ينقطع معه. اهـ
راجع مجموع الفتاوى (٩٧-٩٠/٦).

قوله: (بريء من التجدد والحدوث من جميع الوجوه):

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (٩٧-٩٦/١):

أي أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدتها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده.

ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية، ونحوها: كالخلق والتصوير، والإحياء، والإماتة، والقبض. والبسط، وإن كانت هذه الأحوال تحدث

في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»^(١)؛ لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد إن لم يكن.

ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس، لا يقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة الصغر، أو الخرس ثم تكلم يقال: حدث له الكلام. اهـ.

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية (ص ٤٣):

كما أنه موصوف بصفاته أزلياً يعني لا بداية لذلك، كذا صفاته تلازمه سبحانه في المستقبل، فهو بصفاته أبدي لا نهاية له «أنت الآخر فليس بعدك شيء»^(٢) باسمك وصفاتك، ولا يقال: إن هذه الصفات تنقطع عنه في المستقبل، بل هي ملازمة له سبحانه وتعالى. اهـ.

قال الطحاوي رحمه الله:

وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً. اهـ.

قوله: (ولا يصح عليه الجهل):

(١) رواه البخاري برقم (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم، وسيأتي بطوله.

(٢) رواه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ

الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد تقدم تفسير وشرح الآيتين.

فالجهل مذمة في المخلوق، وهو الأصل فيه، والله عز وجل له المثل الأعلى

والأسماء الحسنى، ومن اسمائه العليم والخير وهو عالم الغيب.

قوله: (ولا الكذب):

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، فهو أصدق القائلين.

قوله: (وهو فوق العرش كما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله):

تقدم الكلام على هذا مستوفى في موضعه.

قوله: (ولا يحتاج إلى شيء في ذاته وصفاته):

قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

وقال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

وروى مسلم (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْحَوَّلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِيَّ فَتَضُرُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي شَيْئًا إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ

أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

قوله: (ولا حاكم عليه ولا حكم إلا له):

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ

الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ

الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ

الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

قوله: (ولا يجب عليه شيء بإيجاب غيره):

روى البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠) عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى جَهَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ هَلْ تَذَرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَكْفُرُوا».

قال الحافظ في الفتح: (٤١٢/١١ - ٤١٣):

قال القرطبي: حق العباد على الله ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجوب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر إذ لا أمر فوقه، ولا حكم للعقل؛ لأنه كاشف لا موجب انتهى.

وتمسك بعض المعتزلة بظاهره، ولا متمسك لهم فيه مع قيام الاحتمال، وقد تقدم في العلم عدة أجوبة غير هذه، منها:

أن المراد بالحق المتحقق الثابت، أو الجدير لأن إحسان الرب لمن لم يتخذ رباً سواه جدير في الحكمة أن لا يعذبه.

أو المراد أنه كالواجب في تحقيقه وتأكده، أو ذكر على سبيل المقابلة. اهـ.

قال شيخ الإسلام:

كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك، ووعد صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقاً زائداً على هذا

كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وأهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدَّعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه الجبرية والقدرية واتباع جهم والقدرية النفاة.

اهـ من فتح المجيد (ص ٤١).

قوله: (وهو لا يخلف الميعاد):

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

والميعاد معناه من الوعد، قاله القرطبي (٤ / ٢١).

قوله: (وجميع أفعاله تتضمن الحكمة):

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

فجميع أفعال الله تعالى بحكمة فعلها، ولكن منها ما نعلم الحكمة منه مثل خلق الإنس والجن، والحكمة من خلقهم هي عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وغيره كثيرة.

ومنها ما لا نعلم الحكمة منه ككون صلاة الفجر ركعتين والعشاء أربعاً، وغيره كثير، فما علمنا الحكمة فالحمد لله، وما لم نعلمها فالواجب التسليم وترك البحث والتنقيب عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وجُلُّ الجزء الأول من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم في بيان حكمة الله تعالى، وكذلك في غير كتبه كشفاء العليل، والصواعق المرسلة.

وفي صحيح مسلم برقم (٧٧١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاعْفُ رِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَنَحْيِي وَعَظْمِي وَعَصْبِي، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ»، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّسْهِدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

وفي قوله: والشر ليس إليك خمسة أقوال:

أحدها: لا يتقرب به إليك، قاله الخليل بن أحمد والنضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين وغيرهم.

ثانيها: لا يضاف إليك على انفراده، قاله المزني وغيره أي لا يقال: يا خالق القردة، والخنازير، ويا رب الشر ونحوه، ولكن يقال: خالق كل شيء ورب كل شيء.

ثالثها: لا يصعد الشر إليك.

رابعها: ليس شرًّا بالنسبة إليك، فإنك خلقتة بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

خامسها: أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداؤه فيهم، أو صنفوه فيهم قاله الخطابي.

اهـ من كلام النووي (٦/ ٣٠١) بتصرف.

وتعقبه ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٢٠-٢١) فقال:

ولا يُلتَفَت إلى تفسير من فسر به بقوله: والشر لا يتقرب به إليك، أو لا يصعد إليك؛ فإن المعنى أجل من ذلك وأكبر وأعظم قدرًا، فإن من أسمائه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل، مستحيل دخول الشر في أسمائه أو صفاته، أو أفعاله، أو أقواله.

فطابق بين هذا المعنى وبين قوله: إن ربي على صراط مستقيم، وتأمل كيف ذكر عقب قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٦]، أي هو ربي فلا يسلمني ولا يضعيني، وهو ربكم فلا يسلطكم علي ولا يمكنكم مني، فإن نواصيكم بيده، ولا تفعلون شيئًا بدون مشيئته، فإن ناصية كل دابة بيده لا يمكنها أن تتحرك إلا بإذنه، فهو المتصرف فيها، ومع هذا فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها ونفوذ قضائه وقدره فيها على صراط مستقيم، لا يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة، ولو سلطكم علي فله من الحكمة في ذلك ماله من الحمد عليه؛ لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم لا يظلم ولا يفعل عبثًا بغير حكمة. اهـ.

ومن أسماء الله الحميد، ومن صفاته صفة الحمد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فأفعاله سبحانه وتعالى كلها محمود جملة ليس فيها قبيح ولا سيئ.

ومن أسماؤه تعالى، وصفاته القدوس، والسلام، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وفيهما نفي لكل عيب ونقص عن الله مع إثبات الكمال المطلق لله تعالى.
قوله: (ولا ينسب في فعله جور وظلم):

قال الله جل في علاه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال الله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال الله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

وقال الله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقال الله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

وتقدم حديث أبي ذر عند مسلم (٢٥٧٧) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...» الحديث.

ومعنى قوله بظلام في الآية، يمكن أن يحمل على أوجه:

الأول: أن الصيغة للنسب من قبيل (بزاز) و (عطار) لا للمبالغة، والمعنى لا ينسب إلى الظلم.

الثاني: أن (فعالاً) قد جاء لا يراد به الكثرة كقول طرفه:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد
لا يريد هاهنا أنه قد يحل التلاع قليلاً؛ لأن ذلك يدفعه قوله: متى يسترفد القوم
أرفد، وهذا يدل على نفي البخل في كل حال؛ ولأن تمام المدح لا يحصل بإرادة
الكثرة.

الثالث: أن المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم: فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده
فالصيغة للمبالغة كمّا لا كيفاً.

الرابع: أنه إذا نفى الظلم الكثير انتفى الظلم القليل ضرورة؛ لأن الذي يظلم إنما
يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز
عليه النفع والضرر، كان للظلم القليل المنفعة أترك.

الخامس: أن المبالغة لتأكيد معنى بديع، وذلك لأن جملة: وأن الله ليس بظلام للعبيد
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها، أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده
بغير ذنب من قبلهم، والتعبير عن ذلك بنفي الظلم لبيان كمال نزاهته تعالى عن
ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم، كما يعبر عن
ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها، وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما
ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم.

انتهى من تفسير القاسمي (٣٠٩/٤ - ٣١٠).

التحسين والتقبيح:

قوله: (وليس للعقل حكم في حسن الأشياء وقبحها):

العقل لغة: مصدر عقل يعقل عقلاً فهو معقول وعاقل.

وأصل العقل المنع والحبس، ومنه العاقل وهو الذي يحبس نفسه ويردها عن

هواها.

أخذ من قولهم اعتقل لسانه إذا حبس ومنعه الكلام، وعقل الدواء بطنه إذا

أمسكه.

راجع لسان العرب (٣٢٦/٩).

قال الخليل بن أحمد في العين (ص ٦٦٤):

والمعقول من تعقله في فؤادك ويقال: هو ما يفهم من العقل، وهو العقل واحد،

كما تقول: عدمت معقولاً أي ما يفهم منك من ذهن، أو عقل. اهـ.

وفي الاصطلاح: العقل في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وكلام

الصحابة، والتابعين، وسائر المسلمين، هو: أمر يقوم بالعاقل سواء سمي عرضاً، أو

صفة ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء سمي جوهر أو جسماً أو غير ذلك.

وإنما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه

في كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس، ويدعون ثبوت

عقول عشرة، كما يذكر ذلك من يذكره من أتباع أرسطو، أو غيره من المتفلسفة المشائين، ومن تلقى ذلك عنهم من المتسبين إلى الملل.

انتهى من مجموع الفتاوى (٢٧١ / ٩).

والعقل نوعان:

الأول: غريزي: وهو ما يكون مع المولود كعقله الارتضاع، وأكل الطعام، وضحكه مما يسره، وبكائه مما لا يهواه.

الثاني: اكتسابي: وهو ما يكتسبه الطفل زيادة في العقل على مرور الأيام إلى أن يبلغ أربعين سنة، فحينئذ يكمل عقله، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]، أي بلغ كمال عقله، وبلغ أربعين سنة، ثم بعد ذلك يأخذ عقله في النقصان إلى أن يخرف، وتلك الزيادة عقل اكتسابي.

راجع الحجة في بيان المحجة (٥٠٢ / ٢ - ٥٠٣).

وقوله: حُسن الأشياء:

الحُسن: بضم الحاء المهملة وسكون السين المهملة هو لغة: الجمال وجمعه محاسن على غير القياس.

والحُسن: بفتح الحاء والسين المهملتين - هو ما حسن من كل شيء.

والحسن على ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهدى، ومستحسن من جهة الحسن.

والحسن أكثر ما يقال في تعاريف العامة في المستحسن بالبصر، وأكثر ما جاء في القرآن الكريم في المستحسن من جهة البصيرة.

والحسن في الاصطلاح: ما مدح فاعله. اهـ.

راجع أراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً لعلي بن سعد الفويحي (ص ١٦٤).

والقبح بضم القاف وسكون الباء الموحدة ضد الحسن.

والقبح: ما قبح من كل شيء، ومن معاني القبح: التنحية: يقال قبحه الله أي

نحاه عن الخير.

والقبح في الاصطلاح عرفه ابن الخطاب بقوله: والقبح ما ذم على فعله.

اهـ من كما في المصدر السابق.

والحسن والقبح العقليان يطلقهما علماء الأصول والكلام على ثلاثة معان:

الأول: صفة الكمال والنقص، وذلك كحسن العلم وقبح الجهل.

الثاني: ملامة الطبع ومنافرته، وذلك كحسن الحلو وقبح المر، وهذا لا تنازع أن

مأخذهما العقل.

الثالث وهو محل النزاع: تعلق المدح والذم عاجلاً، والثواب والعقاب آجلاً،

وذلك كحسن الطاعة وقبح المعصية.

المصدر السابق (ص ١٥٦).

وينحصر النزاع في أمرين متغايرين غير متلازمين وهما:

الأمر الأول: هل العقل نفسه مشتمل على صفة اقتضت حسنه، وقبيحه،

بحيث ينشأ الحسن والقبيح منه، فيكون منشأ لهما أم لا؟

الأمر الثاني: أن الثواب المرتب على حسن الفعل والعقاب على قبحه ثابت بل

واقع بالفعل، أم لا يقع إلا بالشرع؟

راجع مدرج السالكين (١/ ٢٣١).

الراجع في المسألة:

أن الأفعال في نفسها حسنة، وقيحة، والعقل يدرك فيها ذلك، وإلا لما كان
لتمييز الإنسان على الحيوان بالعقل أدنى فائدة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
فَعَلُوا فَاِحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * قَرِيبًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ
عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * يَا
بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ
تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨-
٣٣].

فأخبر سبحانه أن فعلهم فاحشة قبل نهي عنه، وأمر باجتنابه بأخذ الزينة،
والفاحشة هاهنا هي طوافهم بالبيت عراة- الرجال والنساء - غير قريش، ثم قال
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

أي لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفطر، ولو كان إنما علم كونه فاحشة بأن
ينهى، وأنه لا معنى لكونه فاحشة إلا تعليق النهي به لصار معنى الكلام: إن الله لا

يأمر بما ينهى عنه، وهذا يسان عن التكلم به أحد العقلاء فضلاً عن كلام العزيز الحكيم!

وأي فائدة في قوله: إن الله لا يأمر بما ينهى عنه!

فإنه ليس لمعنى كونه (فاحشة) عندهم فلا أنه منهي عنه لا أن العقول تستفحشه...

فيا عجباً! أي فائدة تبقى في تلك الأمثال والحجج والبراهين الدالة على قبحه في صريح العقول والفطر؟ وأنه يعني الشرك - أقبح القبيح، وأظلم الظلم - وأي شيء يصح في العقل إذا لم يكن فيه علم بقبح الشرك الذاتي؟ وأن العلم بقبحه بديهي معلوم بضرورة العقل، وأن الرسل نبهوا الأمم على ما في عقولهم وفطرهم من قبحه انتهى من مدارج السالكين (١/٢٣٣-٢٣٩).

ولكن الإدراك لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب؛ لأن الله تعالى لا يعاقب إلا بعد بعثة الرسل، فالسجود للأصنام والزنا والكذب والظلم والفواحش ونحوها كلها قبيحة لذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَّأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

وقال: ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٧-٨].

وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وهذا قول الجمهور وهو الحق.

وقالت المعتزلة: إن قبح الظلم والشرك والكذب والفواحش معلوم بالعقل، ويستحق عليها العذاب في الآخرة، وإن لم يأت رسول، ونشأ غلطهم أنهم قالوا بتلازم الأصلين.

وقالت الكرامية بقول المعتزلة.

وقالت الأشاعرة: لا حسن ولا قبيح ولا شر قبل مجيء الرسول، وإنما الحسن ما قيل فيه أفعَل، والقبيح ما قيل فيه لا تفعل.

ومنشأ غلطهم أنهم جبرية في باب القدر؛ عندهم أن العبد مجبور على فعله، فلا يكون شيء في أفعال العباد قبيحاً.

راجع مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣١-٤٣٦)، ومدارج السالكين (١/ ٢٣٣-٢٣٩)، وأراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً لعلي بن سعد الضويحي (ص ١٦٤-١٩٧)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (ص ٣/ ١٣١٩-١٣٢٢).

ثمرة الخلاف:

تتركز ثمرته في ترتيب العقاب، والذم، على مجرد قبح العقل قبل بعثة الرسل؛ فقالت المعتزلة: بثبوت العقاب لمن ارتكب أفعالا قبيحة قبل إرسال الرسل بمجرد القبح العقلي.

وأما أهل السنة والجماعة فيرون القبح ثابت للفعل في نفسه، وأنه لا يعذب الله تعالى عليه إلا بعد إقامة الحجة ببيان الدليل.

وأما الأشاعرة فلا يرون شيئا من أفعال العباد قبيحا قبل الشرع، فكيف يعاقب عليه؟.

قوله: (وله الأساء الحسنى، والمثل الأعلى، ولا حاكم سواه، ولا معبود إلا إياه): قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى في شرح الطحاوية (١٣٨-١٤٠):

وقد وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى؛ فقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، فجعل سبحانه مثل السوء - المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال - لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى - المتضمن لإثبات الكمال كله - لله وحده.

فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمر الوجودية،

والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه؛ بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنها إن تكافأ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير.

واختلفت عبارات المفسرين في (المثل الأعلى)، وَوَقَّعَ بين أقوالهم بعض من وفقه الله وهداه، فقال: (المثل الأعلى) يتضمن: الصفة العليا، وعِلْمُ العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكره.

فها هنا أمور أربعة: الأول ثبوت الصفات العليا لله سبحانه وتعالى، سواء علمها العباد أو لا، وهذا معنى قول من فسرها بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه ما في قلوب عابديه وذاكره، من معرفته وذكره، ومحبه وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه، وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشركه فيه غيره أصلاً، بل يختص به في قلوبهم، كما اختص به في ذاته. وهذا معنى قول من قال من المفسرين: إن معناه أهل السموات يعظمونه ويحبونه ويعبدونه، وأهل الأرض كذلك، وإن أشرك به من أشرك، وعصاه من عصاه، وجحد صفاته من جحدها، فأهل الأرض معظّمون له، مجلّون، خاضعون لعظمته،

مستكينون لعزته وجبروته، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهاها من العيوب والنقائص والتمثيل.
الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده، والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه.

وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى.
فعبارات السلف كلها تدور على هذه المعاني الأربعة، فمن أضل ممن يعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية وهو قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، حتى أفضى هذا الضلال ببعضهم، وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي، إلى أن أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، حرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير! كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]! فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة بمنه وكرمه.

وفي إعراب قوله: «كمثله» - وجوه: أحدها: أن الكاف صلة زيدت للتأكيد، قال أوس بن حَجَر:

ليس كمثـل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

وقال آخر:

ما إن كمثلهم في الناس من بشر.

وقال آخر:

قتلى كمثل جذوع النخيل

فيكون (مثله) خبر (ليس) واسمها (شيء) وهذا وجه قوي حسن، تعرف العرب معناه في لغتها، ولا يخفى عنها إذا خوطبت به، وقد جاء عن العرب أيضًا زيادة الكاف للتأكيد في قول بعضهم:

وصاليات ككها يؤثفين

وقول الآخر:

فأصبحت مثل كعصف مأكول

الوجه الثاني: أن الزائد (مثل) أي ليس كهو شيء، وهذا القول بعيد؛ لأن (مثل) اسم والقول بزيادة الحرف للتأكيد أولى من القول بزيادة الاسم.

الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلاً، بل هذا من باب قولهم: مثلك لا يفعل كذا، أي أنت لا تفعله، وأتى بـ (مثل) للمبالغة، وقالوا في معنى المبالغة هنا: أي ليس لمثله مثل لو فرض المثل، فكيف ولا مثل له؟ وقيل غير ذلك، والأول أظهر. وقد تقدم الكلام على بقية هذه الفقرات.

الإيمان

قوله: (فصل. والإيمان):

الإيمان في اللغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن كما في تهذيب اللغة للأزهري (٥١٣/١٥)، ومعناه الإقرار بالشيء عن تصديق به.

ويغلط من يعرفه بالتصديق؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديتها، والتصديق يتعدى بنفسه، فنقول صدقت محمداً، والإيمان لا يتعدى بنفسه فلا تقول آمنت محمداً، فلا تتعدى إلا بحرف الجر فتقول آمنت بمحمد.

قال شيخ الإسلام في الصارم المسلول (ص ٥١٩):

الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة؛ وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق الخبر، والأمر يستوجب الانقياد والاستسلام، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والاقرار.

فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. اهـ.

وراجع كتاب الإيذان لشيخ الإسلام (ص ١٧٨-١٩١)، وشرح الواسطية للعثيمين (ص ٥٧٣-٥٧٤).

قوله: (وقول القلب):

هذا تعريف الإيذان في الاصطلاح.

وقول القلب هو اعتقاده، وتصديقه، وإيقانه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

والاعتقاد كاعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

أهـ من التنبيهات السنية (ص ٢٦٢).

قوله: (واللسان):

أي قول اللسان وهو النطق كالشهادتين مع الإقرار بما يلزم منه، وكذا تبليغ ما أمر الله به وعفوه، قال تعالى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وعند البخاري برقم (٢٥)، ومسلم (٢٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

ورواه البخاري برقم (١٣٩٩ و ١٤٠٠) ومسلم برقم (٢٠) عن عمر.

ورواه البخاري برقم (٢٩٤٦) ومسلم برقم (٢١) عن أبي هريرة.

قوله: (وعمل القلب):

قال عبد العزيز الرشيد رحمه الله في التنبهات السنية (ص ٢٩٢):

وهو نيته وإخلاصه والتوكل والإنابة والمحبة والانقياد، والخوف منه سبحانه،

والرجاء، وإخلاص الدين له، والصبر ونحو ذلك من أعمال البر. اهـ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

قال العثيمين رحمه الله (ص ٥٧٤):

وأما عمله - يعني القلب - فهو عبارة عن تحركه وإرادته مثل إخلاصه. اهـ.

قوله: (واللسان):

أي عمل اللسان.

وهو غير النطق، قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الواسطية (ص

: ٥٧)

وأما عمله فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من

الخرس. اهـ.

وعمله كالتمسيح وتلاوة القرآن والدعاء وسائر الأعمال لا تؤدي إلا باللسان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

قوله: (والجوارح):

أي: وعمل الجوارح مثل: القيام، والركوع، والسجود، والجهاد، والصيام، والحج.

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

تنوع عبارات السلف في تعريف الإيمان:

وقد تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان، وهي:

الأول: قول وعمل، ويعنون به قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

الثاني: قول وعمل ونية ويعنون قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، واعتقاد القلب، وزادوا النية؛ لأنهم قالوا: العمل لا يفهم منه النية.

الثالث: قول وعمل ونية واتباع السنة، فزادوا اتباع السنة؛ لأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة.

الرابع: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

الخامس: العبارة التي ذكرها المصنف.

وكل هذا صحيح وجميعها يدور حول عبارة المصنف.

راجع كتاب الإيمان لشيخ الإسلام (ص ١٦٢-١٦٣).

قوله: (مطابقاً للكتاب، والسنة، والنية، لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا

لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»):

الحديث رواه البخاري برقم (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا

نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ

هَاجَرَتْهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

ولفظ «النية» هو المتفق عليه كما ترى، ولفظ «النيات» رواه البخاري برقم (١)،

والشاهد من الحديث النية حيث أنها من عمل القلب.

وقوله: إنها الأعمال: أي صحة وفساداً.

وقوله: النيات: أي بصلاح النيات يكون صلاح الأعمال الشرعية، أما العادات

كالأكل والشرب واللبس، ورد الأمانات، والودائع، والغصوب، ونحوها فلا

تحتاج إلى نية.

جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٦٤).

والنية لغة: القصد وعزم القلب، وهي بتشديد الياء وهذه هي اللغة المشهورة،

ويقال بتخفيفها.

راجع المجموع (٣٠٩/١).

والمرجّح أن إيجادها ذكرًا في أول العمل ركن، واستصحابها حكمًا؛ بمعنى أن لا يأتي بمناف شرعًا شرط.. كما في الفتح (١٥/١).

قوله: (والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]):

وسبب زيادة إيمان المؤمنين عملهم الصالح، وهو تصديق خبر الله ورسوله ﷺ قال القاسمي في محاسن التأويل (٨/٣٦٢):

فمنهم أي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه -أي السورة- إيمانًا؟ إنكارًا واستهزاءً بالمؤمنين، واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي، والعمل به، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]؛ لأنها أزيد لليقين والثبات، وأثلج للمصدر؛ لكثرة الدلائل، ورفع الشبه. اهـ.

قال ابن كثير (٤/١٧٢٨) عند الآية:

وهذا الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكي الإجماع على ذلك غير واحد. اهـ.

قوله: (وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق»:

الحديث رواه مسلم برقم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه على الشك بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة بزيادة: والحياء شعبة الإيمان.

وقد روى البخاري برقم (٩) ومسلم (٣٥) هذه القطعة المشكوك فيها بغير شك بلفظ بضع وستون شعبة.

ورجح هذا ابن الصلاح والبيهقي والحافظ كما في الفتح (٧٣/١)، وهو ما رجحه شيخنا الوادعي رحمه الله.

على أن العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٦٩) رجح رواية مسلم، ونقله عن الحلبي وكذا عياض.

وأما رواية الترمذي أربع وستون فهي ضعيفة، فشذ بها عمارة بن غزية خالف عبد الله بن دينار، وعبد الله أرجح وروايته في الصحيح، وقد أعلها الحافظ، وجنح إلى إعلاله الألباني.

والبضع: هو القطعة من الشيء الفرقه منه واستعملت العرب البضع فيما بين الثلاث إلى العشرة.

والشعبة: أيضاً القطعة من الشيء الفرقه منه، ومنه شعب الإيمان، وشعب القبائل. راجع شرح القاضي عياض (٢٧/١).

والمراد الخصلة أو الجزء. الفتح (٧٣/١).

وقال القاضي عياض (٢٧٢/١):

وبقي بين هذين الطرفين من أعداد أبواب الإيمان مالمو تكلف حصرها بطريق الاجتهاد وتعينها بغلبة الظن إلى حصر عدته لأمكن، وقد أشار إلى نحو هذا

بعض^(١) من تقدم، وعليه بنى الفقيه إسحاق بن إبراهيم القرطبي كتابه المسمى بالنصائح، ولكن القطع أن تعيين ما نقحه الاجتهاد، وترتيبه على تلك الأبواب هو مراد النبي عليه السلام يصعب، ولن يعدم من يرتب ترتيباً آخر، ويدخل بعض الأبواب في بعض، ويفصل بعض الأقسام عن بعض، والله عز وجل أعلم، لكنه قد جاء في الأحاديث النص على بعض تلك الشعب. اهـ.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح (١/٧٣-٧٤):

وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه الشعب تنفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة:

الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته، وصفاته، وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع،

(١) في الأصل «بعد»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال: التلطف بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها:

ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة:

التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلًا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضًا ونفلًا، والحج والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة، أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامّة وهي سبع عشرة خصلة:

القيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المراقبة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع

المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإمالة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم. اهـ.

قال القاضي (١/ ٢٧٢):

وقوله: الحياء شعبة من الإيمان، قال الإمام: إنما كان الحياء، وهو في الأكثر غريزة من الإيمان والذي هو اكتساب، لأن الحياء يمنع من المعصية كما يمنع الإيمان منها. اهـ.

فجعل القول والعمل جميعًا من الإيمان.

والقول هو قول لا إله إلا الله: وهي أفضل شعب الإيمان.

والفعل هو إمالة الأذى عن الطريق، وهو أدنى هذه الشعب، وبقية شعب الإيمان بين هاتين الشعبتين، والخصلتين.

وهي أي: الأعمال والأقوال الصالحة تقوي الإيمان، وتزيده، وعكسها يضعفه وينقصه.

مسألة: هل الإسلام يزيد وينقص؟

أما الإسلام الواجب فلا يزيد ولا ينقص.

والإسلام الواجب هو الكلمة، أما ما عدها فيزيد وينقص.

راجع مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٣-٤١٥).

قوله: (ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلق المعاصي، والكبائر كما قالت الخوارج):

تقدم التعريف بالخوارج، وتقدم قولهم في الإيمان.

وبناء على ذلك وهو أن الإيمان عندهم كله واحد، لا يتجزأ؛ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض، فلذلك قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، ولذلك فارتكاب الكبائر عندهم مخرج من الملة كلياً وكفروا مرتكب الكبيرة.

ومثلهم المعتزلة إلا أنهم قالوا هو لا كافر ولا مسلم، بل هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، أما في الآخرة فاتفق الخوارج والمعتزلة أنه مخلص في النار.

قال ابن أبي العزرحم الله في شرح الطحاوية (٣٢١-٣٢٢):

أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتدّاً يقتل على كل حال، ولا يُقبل عفو وليّ القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقه وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً؛ إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الدين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]،
إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار».

أخرجاه في الصحيحين^(١).

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه.

وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تعدون المفلس فيكم؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، قال: «المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

رواه مسلم^(٢).

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩) ولم يروه مسلم.

(١) رواه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، دل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته.

وهذا مبسوط في موضعه.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة، تبين لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى. اهـ
وراجع الفتاوى (٧/ ٤٠٣-٤٠٤) و(٢٠/ ٩٢-٩٣).

قوله: (بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي كما قال تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]):
قال القاسمي في محاسن التأويل (٣/ ١٧٨):

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾: من القتالين ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: أي دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾: بأن ترك وليه القود منه، ونزل عن طلب الدم إلى الدية، وفي ذكر الأخوة تعطف داع إلى العفو، وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان، ﴿فَاتَّبَاعُ﴾: أي فعل العافي اتباع

القاتل، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، بأن يطالبه بالدية بلا عنف، ﴿وَوَ﴾: على القاتل، ﴿أَدَاءً﴾: للدية، ﴿إِلَيْهِ﴾: أي العافي، وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾: بلا مطل ولا بخس. اهـ.
قوله: (وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا النَّبِيَّ تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]):

وقوله: بغت: أي اعتدت.

وقوله: تفيء: أي ترجع.

قال ابن كثير رحمه الله (٣٢٦٧/٧):

يقول تعالى آمراً بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾، فساهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدلل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيثار بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. اهـ.

قوله: (ولا يسلب من الفاسق اسم الإيثار المطلق بالكلية):

الفاسق هو الخارج عن الطاعة، قال تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي خرج عن طاعته، وقيد بها شيخ الإسلام في الواسطية بقوله: الفاسق الملي، وهي ستأتي بعدها، والإيثار المطلق هو الإيثار الكامل.

والصحيح أن الفاسق الملي لا يكون مؤمناً كاملاً بالإيثار، وإنما يكون مؤمناً ناقص الإيثار، وهو الذي يدل عليه سياق كلام المصنف.

لكن عبارته هذه الإيمان المطلق خطأ، ولعله أراد مطلق الإيمان أي أصله وهذا الصحيح، وهذا رد على مذهب الخوارج ومن تبعهم.

قوله: (ولا يخلد في النار كما قالت المعتزلة):

تقدم الكلام على المعتزلة.

قوله: (بل للفاسق الملى اسم الإيمان):

قال عبد العزيز الرشيد رحمه الله في التنبيهات السنية (ص ٢٨٥):

قوله (الملى) أي: الذي على ملة الإسلام، ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره، فأهل السنة والجماعة متفقون كلهم على أن يرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقله عن الملة بالكلية، وعلى أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ويدخل في الكفر، ومتفقون على أنه لا يستحق الخلود مع الكافرين، وأن من مات على التوحيد فلا بد له من دخول الجنة خلافاً للخوارج والمعتزلة. اهـ.

فيكون الفاسق مؤمناً ناقص الإيمان.

قوله: (كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢])، وقد لا يدخل في

اسم الإيمان المطلق):

أي كافر.

قوله: (كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]):

أي إنها المؤمنون الإيمان المطلق (الكاملو الإيمان).

ومعنى وجلت: خافت.

قوله: (وقوله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخُمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»):

الحديث رواه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٣):

هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر^(١) وغيره: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى، وإن شرب الخمر، وإن سرق»، وحديث عبادة^(٢) والصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ: «على أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يعصوه..» إلى آخر الحديث، ثم قال لهم ﷺ: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه». فهذان الحديثان مع نظائرها في الصحيح مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من

(١) رواه البخاري برقم (١٢٣٧) ومسلم برقم (٩٤).

(٢) رواه البخاري برقم (١٨) ومسلم برقم (١٧٠٩).

أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصوا إيمان...
اهـ.

قوله: (ونحو ذلك فهو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بالإيمان، فاسق بالكبيرة،
فلا يعطى الاسم المطلق):

أي الإيمان المطلق (وهو الكامل).

(ولا يسلب مطلق الاسم):

أي مطلق الإيمان (وهو أصل الإيمان).

قوله: (فلا يشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنوب عمله، ولا لكبيرة
أتاها، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون ذلك في حديث كما جاء، وكما
روي):

أي لا يخرج من الإسلام بمعصية عملها، ولا كبيرة فعلها إلا أن يرد من الشرع
ما يدل على كفر فاعل هذا الفعل سواء في حديث ثابت أو في الآية.

قوله: (فيصدقه ويقبله، ويعلم أنه كما روي، نحو ترك الصلاة):

وذلك لحديث جابر عند مسلم (٨٢) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ
الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ، وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

ولحديث بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ
الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

رواه أحمد (٣٤٦/٥)، والترمذي برقم (٢٦٢١)، وابن ماجه برقم (١٠٧٩)

من طريق الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به.

والحسين صدوق فالحديث حسن.

ومن الأدلة على كفر تارك الصلاة قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ﴾ [المدر: ٣٨-٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١-٣٢].

وأما السنة النبوية فالدليلان السابقان، وأيضًا حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ». رواه البخاري برقم (٣٩١).

وعند البخاري برقم (٣٩٢) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلُّوا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرَمْتُ عَلَيْنَا دِمَائِهِمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْيَّاسَ بْنِ خَلْفٍ».

رواه أحمد (١٦٩/٢) وهو حديث حسن.

وغيرها من الأدلة المتكاثرة وعلى هذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

قال الإمام الترمذي برقم (٢٦٢٢): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنْ الْأَعْمَالِ تَرَكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ.

هذا أثر صحيح.

وقد رواه الحاكم برقم (١٢) فقال: أخبرنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى حدثنا قيس بن أبي مريم حدثنا قتيبة به، إلا أنه زاد عن أبي هريرة بعد عبد الله بن شقيق، وذكر أبي هريرة شاذ.

وهذا هو الحكم الصحيح في المسألة أن تارك الصلاة كافر بنص الحديث، وهذا في المتهاون، ولو لم يكن كافراً لما نُص على هذا في الصلاة وحدها، أما الجاحد ففي أي شيء من العبادات إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع يكفر.

فقوله في الصلاة: (فقد كفر) نص على أنه كافر ولو لم يكن جاحداً.

تنبيه: تكفير الجاحد محل اتفاق.

وقد استدلل المانعون من تكفير تارك الصلاة المتهاون بأدلة منها:

حديث ابن محيريز أن رجلاً من بني كنانة يدعى المخدجي سمع رجلاً بالشام يدعى أبا محمد يقول: إن الوتر واجب، قال المخدجي: فرحت إلى عبادة بن الصامت، فأخبرته، فقال عبادة: كذب أبو محمد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

رواه أحمد (٣١٥٠/٥) وغيره وهو حديث ضعيف المخدجي مجهول. وزعم محقق مسند أحمد أن شاهده حديث عبد الله الصنابحي عن عبادة وفيه: «من أحسن وضوئهن، وضلاهن لوقتتهن، فأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند الله عهداً أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهداً إن شاء غفر له وإن شاء عذبه».

وليس بشاهد له، والفرق بين اللفظين ظاهر، بل إن اللفظ الثاني رد على المانعين من تكفير تارك الصلاة.

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَأَكْمَلُوا بِهَا مَا صَبَّحَ مِنْ فَرِيضَةٍ...» الحديث. رواه أحمد (٤٢٥/٢)، وأبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣).

هذا حديث صحيح.

ونحوه حديث تميم الداري عند أحمد (١٠٣/٤).

وحديث أنس عند الطبراني في الأوسط، وهو في السلسلة الصحيحة برقم

(١٣٥٨).

والمراد من إتمامها هو أداؤها تامة وصحيحة، وإن لم يتمها أي أخل بشيء من واجباتها وأركانها أدرك بعضها، أو صفتها، وعدم استيفاء أذكارها.

كما في عون المعبود (٨٢/٣)، ونيل الأوطار (١/٢٩٥).

واستدل من لم يُكفّر تارك الصلاة بحديث رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامُهُ وَلَا صَلَاةُهُ، وَلَا نُسُكُهُ، وَلَا صَدَقَتُهُ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَذَرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا».

فَقَالَ لَهُ صَلَتهُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَذْرُونَ مَا صَلَتهُ، وَلَا صِيَامُهُ، وَلَا نُسُكُهُ، وَلَا صَدَقَتُهُ؟

فَاعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَتهُ تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا.

رواه ابن ماجه برقم (٤٠٤٩) وهو صحيح.

وهذا محمول على أنهم جهلوا المسألة، ولم يعرفوها، والجهل مانع من التكفير:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

واستدلوا بعمومات الباب كحديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى

عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

رواه البخاري برقم (٣٤٣٥) ومسلم برقم (٢٨).

وحديث أنس: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

صحيح البخاري برقم (١٢٨) ومسلم برقم (٣٢).

وغيرها من الأحاديث العامة.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله ورضي عنه في نيل الأوطار (١/٢٩٦-٢٩٧):

وأقول قد أطبق أئمة المسلمين من السلف، والخلف، والأشعرية، والمعتزلة، وغيرهم، أن الأحاديث الواردة بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة مقيدة بعدم الإخلال بما أوجب الله من سائر الفرائض، وعدم فعل كبيرة من الكبائر التي لم يتب فاعلها منها، وأن مجرد الشهادة لا يكون موجباً لدخول الجنة، فلا يكون حجة على المطلوب اهـ.

قوله: (وشرب الخمر):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وروى البخاري برقم (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الرَّأْيِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وعن أنس بن مالك قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخُمْرِ عَشْرَةَ عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمُحْمُولَةَ، إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَرِهَا، وَالْمُشْتَرِي لَهَا، وَالْمُشْتَرَاةُ لَهَا».

رواه الترمذي برقم (١٢٩٥) وهو في الصحيح المسند لشيخنا مقبل (٥٧/١) - (٥٨) وحسنه.

والأدلة كثيرة في تحريم الخمر، وكونها من كبائر الذنوب والآثام، وهي أم الخبائث، أما كون شربها كفرًا كما يفهم من صنيع المصنف، فليس بصحيح ما لم يستحل.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٢٣٠ / ١) في حديث أبي هريرة السابق: فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفى الشيء ويراد نفى كماله، ومختاره، كما يقال لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة... مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق، والقاتل، وغيرهم من أصحاب الكبائر - غير الشرك - لا يكفرون، بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة. اهـ

وتكفير مذهب الخوارج والمعتزلة الضلال وهو مصادم للأدلة، وكذا القول بخلوده في النار إذا كان موحدًا بل هو تحت المشيئة في مذهب أهل الحق.

قوله: (وما أشبه ذلك):

أي من المكفرات التي يكفر من ارتكبتها.

والكفر يكون بالقول والفعل والاعتقاد.

فبالقول: كَسَبِ الله، أو أحد رسله، أو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وبالفعل كالسجود لغير الله، وعمل السحر.

وبالاعتقاد كاعتقاد أن أحدًا ينفع مع الله، أو يضر.

وبالشك كالشك في وجود الله أو قدرته.

قوله: (أو يتدع بدعة):

أصل البدعة في اللغة من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق، ولا

مثال احتذِي، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]. أي

خالقها وموجدتها ابتداءً من غير مثال سابق.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحاف: ٩]، أي لم أكن أول رسول

على أهل الأرض.

راجع كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص ٨٦)،

والاعتصام للشاطبي (١/ ٤١).

وفي الاصطلاح قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ٤٣):

البدعة: طريقة في الدين مخترعة الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد

بالطريقة الشرعية. اهـ.

قوله: (ينسب صاحبها إلى الكفر):

كبدعة الجهمية والكرامية، وبدعة القول بخلق القرآن وما أشبهه.

قوله: (والخروج من الإسلام):

وهو الردة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٦-٨٨].

وروى البخاري برقم (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثِّبْتُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ». فالخروج عن الإسلام كفر، وكيف يسمى مسلماً وقد ترك الإسلام وارتد، وخرج عنه.

قوله: (فيتبع ذلك ولا يجاوزه):

أي فما ورد فيه تكفير بنص كفرناه بشروطه وموانعه، وما لم يرد فيه دليل يدل على كفره فلا نكفره، وننزل منزله التي أنزل الله سبحانه وتعالى في كتابه، أو رسوله ﷺ في صحيح سنته من فسق، أو بدعه، وما أشبه ذلك.

الفرق بين الإسلام والإيمان

قوله: (فصل. والإيمان هو الإسلام قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»:

ورواه البخاري برقم (٨)، ومسلم (١٦) - ٢٢ وهذا لفظ مسلم في رواية له، واللفظ المتفق عليه في حديث ابن عمر فيه تقديم الحج على الصوم.

قوله: (فهذه حقيقة الإسلام):

أي الانقياد والاستسلام.

وهذه الآية استدلت بها من فرق بين الإيمان والإسلام، وهي دليل لمن فرق بينهما لا لمن قال معناهما واحد.

وانظر تفسير القاسمي (١٥/١٣٩).

وكذا أيضًا حديث ابن عمر الذي استدلت به المصنف، بل جميع أدلة المصنف هي دليل لمن فرق بينهما.

قوله: (وأما الإيمان فعن عمر بن الخطاب أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «ما الإيمان قال أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر وتؤمن

بالقدر خيره وشره من الله»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «نعم»:

أخرجه مسلم برقم (٨)، وأبو داود برقم (٤٦٥٩).

قوله: (وغيرهما):

رواه أحمد في المسند (١/٥١-٥٢)، والترمذي برقم (٢٦١٠)، والنسائي (٨/٩٧)، وابن ماجه برقم (٥١)، وغيرهم أيضًا، وليس عندهم قوله: «من الله، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: نعم».

وهي عند ابن منده في كتاب الإيمان برقم (١٣ و١٤)، وليس عنده قوله: «من الله».

قوله: (وفيه من الأدلة لو استقصينا لأدى إلى الإملال، وفي حديث سعد بن أبي وقاص إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلمًا»، فذكر ثلاثة، وأجابه بمثل ذلك):

رواه البخاري برقم (٢٧)، ومسلم (١٥٠) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدُ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ! فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا؟»

فَسَكَتُ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ؛ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا؟»

ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأَعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ خَشْيَةً أَنْ يَكْبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ».

قوله: (قال الزهري: فزي الإسلام الكلمة، والإيمان العمل الصالح):

رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٥١ برقم ٧٥٢) قال:

حدثني أبي نا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: نرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل.

وسنده صحيح.

قوله: (قلت: فعل هذا يخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر بالله - تعالى وتبارك - أعاذنا الله منه):

قلت: هذا كما تقدم أن هذه الأدلة التي ذكرها المصنف دليل من قال بالتفريق بين مسمى الإسلام والإيمان، وأن الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان بالأصول الخمسة، ومن أدلة هذا القول حديث جبريل المشهور.

وهذا قول ابن عباس، والحسن البصري، وابن سيرين، والزهري، وابن مهدي، وابن أبي ذئب، ومالك، وحامد بن زيد، والإمام أحمد، وشيخ الإسلام، وابن كثير والقاضي أبي يعلى في مسائل الإيمان وغيرهم.

القول الثاني: أن معنى الإسلام والإيمان واحد، ومن أدلتهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦].

وهذا قول الإمام البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن إسحاق بن منده، وابن عبد البر، وجمهور الشافعية، والمالكية.

وَيُجَابَ عَلَى الاستدلال بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤]. وحديث

سعد بجوابين:

أحدهما: أنه إسلام ليثابون عليه، ويخرجهم من الكفر والنفاق، وهذا يروى عن الحسن، وابن سيرين وغيرهما.

ثانيهما: أن هذا الإسلام هو استسلام خوف السبي والقتل مثل إسلام المنافقين، قالوا: وهؤلاء كفار، فإن الإيمان لم يدخل في قلوبهم، ومن لم يدخل الإيمان في قلبه فهو كافر، وهذا اختيار البخاري، ومحمد ناصر المروزي.

قال شيخ الإسلام: والسلف مختلفون في الشك في ذلك، وحقيقة الأمر أن من لم يكن من المؤمنين يقال له فيه أنه مسلم ومعه إيمان يمنعه من الخلود في النار، وهذا متفق عليه بين أهل السنة، لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه: فيقال أنه مسلم، ولا يقال: مؤمن، وقيل: يقال مؤمن.

قال: والتحقيق أنه يقال: مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

قال: وعلى هذا فالخطاب بالإيمان يدخل فيه ثلاث طوائف:

١- المؤمن حقًا.

٢- والمنافق في أحكامه الظاهرة، وإن كان في الآخرة في الدرك الأسفل من

النار، وهو في الباطن ينفى عنه الإسلام والإيمان، وفي الظاهر يثبتان له ظاهرًا.

٣- ويدخل فيه الذين أسلموا، ولم يدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم، لكن معهم

جزء منه وإسلام يثابون عليه. اهـ من لوامع الأنوار (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

القول الثالث: بأنهما إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا:

قال الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في جامع العلوم والحكم (١/١٠٥):

فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فكهذا اسم الإسلام والإيمان، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده. فإذا قورن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي.

وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة؛ قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل:

قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل، ما فرض الله على الإنسان أن يفعله، إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى آخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل، وعمهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضًا الخطابي في كتابه معالم السنن^(١) وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

إلى أن قال: وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذٍ، وإن قرن بين الإسمين كان بينهما فرق.

والتحقيق في الفرق بينهما: أن الإيمان هو تصديق القلب بإقراره ومعرفته.

والإسلام: استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمي الله تعالى في كتاب الإسلام دينًا. اهـ.

وهذا هو الحق الذي لا يعول على سواه، وبه يكون الجمع بين الأدلة والعمل بها جميعًا.

راجع مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧٤ - ٤٨٠)، والتمهيد (٣/ ٢٢٦).

ثمرة الخلاف في التفريق بين الإسلام والإيمان:

ثمرة هذا الخلاف هو مسألة الاستثناء في الإيمان، هو: هل يجوز للرجل أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟

وذلك من حيث دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

انقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام بين واجب ومحرم ومنهم من يمنعه باعتبار ويحيزه باعتبار:

(١) معالم السنن (٤/ ٣١٣).

القسم الأول: من يوجبه، وأشهر من ذهب لهذا القول الكلائية، والأشاعرة، وطائفة من أهل الحديث كأبي يعلى الحنبلي، ولهم في ذلك مأخذان:

أحدهما: أن الإيمان ما مات عليه صحابه وإلا فلا عبرة به.

ثانيهما: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، وإذا قال الإنسان: أنا مؤمن بدون ذكر استثناء يكون زكى نفسه.

القسم الثاني: من يجرمه، وهم الماتريدية، والأحناف، والمرجئة، قالوا: من استثنى في إيمانه فهو شاك، ومن شك في إيمانه كفر، ويسمون من يستثنى في إيمانه الشكاكة.

القسم الثالث: وهو الحق وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو أن الاستثناء في الإيمان جائز لا على الشك كما يقول المرجئة، ولا على تركية نفس، كما تقول الأشاعرة، ولكن باعتبار حسن الخاتمة أنه يختم له إيمانه، وأيضًا طلبًا لكمال الإيمان. راجع شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٤-٤٩٨)، وزيادة الإيمان ونقصه، وحكم الاستثناء فيه (ص ٤٦٣-٥٣٧).

الإيمان بالقدر

قوله: (فصل. يجب الإيمان بالقدر):

تقدم معنى الإيمان.

ومعنى القدر في اللغة، قال ابن فارس:

القاف الدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدْر مبلغ كل شيء يقال قَدْرُه كذا أي مبلغه كَذَا من القدر، وقَدَرْتُ الشيء أَقْدَرُه من التقدير، اهـ. معجم مقاييس اللغة.

والقدرة محركة: القضاء والحكم، وهو ما يقدر الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

راجع معجم المقاييس في اللغة (ص ٨٧٦-٨٧٧).

ومعنى القدر اصطلاحاً قال في الفتح (١/ ١١٨):

والمراد أن الله علم مقادير أشياء، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته اهـ.

قوله: (وخيره وشره):

هذه قطعة من حديث عمر عند مسلم برقم (٨).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٥٤):

أما وصفه القدر بالخير فالأمر فيه ظاهر، وأما وصف القدر بالشر فالمراد به شر المقدور، لاشر القدر الذي هو فعل الله عز وجل ليس فيه شر، كل أفعاله خير

وحكمة، ولكن الشر في مفعولاته ومقدوراته، فالشر هما باعتبار المقدور والمفعول أما باعتبار الفعل فلا.... إلخ.

وتقدم حديث علي وفيه: «والشر ليس إليك»، والكلام على ذلك تقدم.
قوله: (حلوله ومره):

وهذه الزيادة في حديث عمر عند ابن حبان برقم (١٦٨) وغيره، وهي تعتبر موضحة ومبينه من قوله: «خيرهُ وشرهُ».

قوله: (قليله وكثيره أنه من الله تعالى ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر شيء إلا عن تديره وقضائه):

القضاء في اللغة: الحكم قال تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

قال العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٥٣٩):

ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتماعا، ومترادفان إن تفرقا على حد قول العلماء.

قوله: (ولا محيد لأحد عن القدر والمقدور):

أي لا مهرب ولا مناص لأي أحد كان عما قدره الله أن يقع به.

قوله: (ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المحفوظ لا خير ولا شر إلا بمشيئته):

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

وفي حديث ابن عباس: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ
يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا
بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

رواه الترمذي برقم (٢٥١٦) وأحمد (٢٩٣/١)، وهو حديث صحيح
بمجموع طرقه.

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي (٧/ ٢٢٠):

أي كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات، ولا يكتب بعد الفراغ منه
شيء آخر، فعبّر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم، وجفاف الصحيفة تشبيهاً
بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته. اهـ.

قوله: (خلق من شاء للسعادة، واستعمله بها فضلاً، وخلق من أراد للشقاوة
واستعمله بها عدلاً، فهو سر استأثر الله به وحجبه عن خلقه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»:

رواه البخاري برقم (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي رضي الله عنه.

قوله: (خلق الله الخلائق وأفعالهم):

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق كل صانع صنيعته».

رواه ابن أبي عاصم برقم (٣٥٧-٣٨٥) وغيره، وهو صحيح.

وأما لفظه صانع فشاذا.

قال شيخنا الوادعي رحمه الله في كتاب الجامع الصحيح في القدر (ص ١٢٥-١٢٧): شذ بها أبو خالد الأحمر.

قوله: (وقدر أرزاقهم وآجالهم):

في صحيح البخاري برقم (٦٥٩٤) ومسلم برقم (٢٦٤٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عُلِقَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ بَرَزِقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٍّ، أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا».

ونحوه عن أنس عند البخاري برقم (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَيِّ أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».

قَالَ: وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرْدَةُ، وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ».

وقد تقدم الكلام على معنى الرزق.

قوله: (يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَغْلُصْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]:

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية (١/ ١٣٧-١٣٨):

هذا رد على المعتزلة في قولهم: بوجوب فعل الأصلاح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال، قالت المعتزلة: الهدى من الله بيان طريق الصواب، والإضلال تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه.

وهذا مبني على أصلهم الفاسد أن أفعال العباد مخلوقة لهم، والدليل على ما قلناه، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه ﷺ لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]، ولو كان الهدى من الله البيان وهو عام في كل نفس لما صح التقييد بالمشيئة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصفات: ٥٧]، وقوله: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، اهـ.

قوله: (ولا يجوز أن يجعل قدر الله تعالى وقضاؤه حجة بعد الرسل، ونعلم أن الله الحجة علينا بإنزال الكتب، وبعثه الرسل):

أي فيحرم أن يتخذ أن القدر والإيمان به مانعا من الإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح بحجة أن الله قدر المعصية وكتبها، فيتمادى فيها، والله قد أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وبين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فالواجب اتباع الحق، وفعل الصالحات، وترك المنكرات والباطل، وترك عمل ما لا يرضي الله تعالى ولا رسوله ﷺ، ومن لم يتبع الحق بعد هذا، أو فعل المعاصي، فليس له عذر أبداً بعد إقامة البراهين القاطعة عليه قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال عز وجل: ﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَبِهِدَايَنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

جواب شبهة الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي:

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «اِخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا حَيِّتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتْلُوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» ثلاثاً.

رواه البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

ويزيده وضوحاً رواية أحمد (٢/٢٦٨): «فحجه آدم».

والاتفاق على الرفع في آدم أنه فاعل كما في الفتح (١١/٦٢٠).

والجواب من وجوه:

الأول: أن آدم إنما احتج بالقدر على المعصية لا المخالفة.

الثاني: قال ابن عبد البر هذا عندى مخصوص بآدم؛ لأن المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعاً كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، فحسن منه أن ينكر على موسى لومه؛ لأنه قد كتب عليه.

الثالث: إنما توجهت الحجة لآدم عليه السلام؛ لأن موسى لاه بعد أن مات واللوم إنما يتجه على المكلف ما دام في دار التكليف.

الرابع: إنما وقعت الغلبة لآدم على موسى على معنى خاص من أحد وجهين: أحدها: أنه ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقاً في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن الله، فيكون الشارع هو اللائم.

ثانيها: أن فعل آدم اجتمع فيه القدر والكسب، والتوبة تمحو أثر الكسب، وكان الله قد تاب عليه، فلم يبق إلا القدر والقدر لا يتوجه عليه اللوم. اهـ من الفتح (١١/٦٢١-٦٢٣).

وقال الحافظ في الفتح (١١/٥٠٩-٥١١): قال الخطابي في معالم السنن^(١): يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد، ويتوهم أن غلبة آدم كانت من هذا الوجه وليس كذلك، وإنما معناه الإخبار عن إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه، فإن القدر اسم لما صدر عن فعل القادر، وإذا كان كذلك فقد نفى عنهم من وراء علم الله أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور عن قصد وتعمد واختيار.

فالحجة إنما نلزمهم بها، واللائمة إنما تتوجه عليها، وجماع القول في ذلك أنها أمران، لا يبدل أحدهما عن الآخر:
 أحدهما: بمنزلة الأساس.
 والآخر: بمنزلة البناء، ونقضه.

وإنما جهة حجة آدم أن الله علم منه أنه يتناول من الشجرة، فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه، وإنما خلق للأرض، وأنه لا يترك في الجنة، بل ينقل منها إلى الأرض، فكان تناوله من الشجرة سبباً لإهباطه واستخلافه في الأرض كما قال تعالى قبل خلقه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قال: فلما لامه موسى عن نفسه، قال له: أتلومني على أمر قدره الله علي؟

فاللوم عليه من قبلك ساقط عني؛ إذ ليس لأحد أن يعير أحداً بذنب كان منه؛ لأن الخلق كلهم تحت العبودية سواء، وإنما يتجه اللوم من قبل الله سبحانه وتعالى إذ كان نهاه فباشر ما نهاه عنه.

قال: وقول موسى وإن كان في النفس منه شبهة، وفي ظاهره تعلق لاحتجاجه بالسبب، لكن تعلق آدم بالقدر أرجح، فلهذا غلبه، والغلبة تقع مع المعارضة كما تقع مع البرهان. اهـ. ملخصاً.

وقال في أعلام الحديث نحوه ملخصاً، وزاد:

ومعنى قوله: فحج آدم موسى، دفع حجته التي ألزمه اللوم بها، قال: ولم يقع من آدم إنكار لما صدر منه، بل عارضه بأمر دفع به عنه اللوم.

قلت: ولم يتلخص من كلامه مع تطويله في الموضوعين دفع للشبهة إلا في دعواه أنه ليس للآدمي أن يلوم آخر مثله على فعل ما قدره الله عليه، وإنما يكون ذلك لله تعالى؛ لأنه هو الذي أمره ونهاه، وللمعترض أن يقول وما المانع إذا كان ذلك لله أن يباشره من تلقي عن الله من رسوله، ومن تلقى عن رسله ممن أمر بالتبليغ عنهم.

وقال القرطبي إنما غلبه بالحجة؛ لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه، فكان لومه له على ذلك نوع جفاء، كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء؛ ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً اهـ.

وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين، وهو المعتمد وقد أنكروا القدرية هذا الحديث؛ لأنه صريح في اثبات القدر السابق، وتقرير النبي ﷺ لأدم على الاحتجاج به، وشهادته بأنه غلب موسى، فقالوا لا يصح؛ لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه، وقد قتل هو نفساً لم يؤمر بقتلها، ثم قال: رب اغفر لي فغفر له، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له ثانيها لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد لا يصح هذا لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق.

ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود، ولحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية، فدل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له.... إلخ.

قوله: (وما أمر الله تعالى ونهى إلا لمستطيع الفعل والترك، ولم يجبر أحدًا على معصية، ولا اضطره على ترك الطاعة.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

فدل على أن للعبد كسبًا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى:

ومن الأدلة أن الله لم يأمر ولم ينهى إلا المستطيع قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وروى البخاري برقم (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

وفي صحيح البخاري برقم (١١١٧) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».

وَعَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ: أَقُمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي، فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ، أَوْ مِنَ الْوَفْدِ؟» قَالُوا: رِبِيعَةُ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَضْلٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِيَّةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَمَنَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ، بِاللَّهِ وَخَدَهُ قَالَ: «اتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدُهُ؟»

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ»، وَمَنَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الْحَتَمِ، وَالذَّبَاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقْتَرِ، وَقَالَ: «احْفَظُوهُمْ، وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ».

رواه البخاري برقم (٥٣)، ومسلم برقم (١٧).

وفي الجامع الصحيح باب القدر لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله فصل حشد فيه أدلة كثيرة في الاستطاعة (ص ٢٨٦-٢٩٦)، وقال رحمه الله في الحاشية:

اعلم أننا أردنا بهذا الفصل الرد على الجبرية وعلى القدرية.

فالأدلة التي تثبت الاستطاعة ترد على الجبرية، والأدلة التي تنفيها ترد على القدرية، والجمع بين الأدلة: أن للعبد استطاعة ولكنها خاضعة لقدرة الله وإرادته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. اهـ.

وتجدر هنا إعادة ما تقدم عن الجبرية والقدرية.

الجبرية قسمان:

الأولى: الجبرية الخالصة وهم:

الجبرية الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان.

ومن أقوالهم: القول بالجبر، ولذا نسبوا إليه.

ومعنى الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة

إلا الله وحده، وليس لهم فيها أي اختيار، وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز.

وقالوا: إن الله يريد الشر ويفعله؛ قالوا لأن الشر موجود فلا بد له من خالق

ولا خالق إلا الله.

وأما ما نسب إلى الخلق من أفعالهم فذلك كحركة الأشجار عند هبوب الريح

وزوال الشمس، وإنما فعل بالأشجار والشمس ذلك هو الله سبحانه.

الثانية الجبرية المتوسطة:

وهم الأشاعرة، وهم يشبتون للعبد قدرة غير مؤثرة، وهو ما يعبرون عنه

بالكسب.

قال ابن القيم في شفاء العليل (١/٣١٣):

وكسب الجبرية لا معنى له، ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه،

وضربوا له الأمثال، وأطالوا في المقال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في النبوات (ص ١٦٦) في الأشعري:

ولا يقول إن العبد فاعل في الحقيقة بل كاسب.

ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقاً معقولاً، بل حقيقة قولهم قول جهم: إن

العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (١/٤٥٩):

وقالوا عجائب الكلام ثلاثة:

طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري وأنشد في ذلك:

ومما يُقال ولا حقيقة تحته
معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال
عند البهشمي وطفرة النظام
أما فهذا هو الكسب عند الأشعري.

راجع شفاء العليل (٣٠٩/١ - ٣١٣ و ٢/٢٥٥)، ووسطية أهل السنة بين
الفرق (ص ٣٧١-٣٧٢)، وكتاب القضاء والقدر للبيهقي تحقيق محمد بن عبد الله آل
عامر (ص ٧٨-٨٠).

القدرية:

والقدرية المعتزلة: وهم الذين يقولون: إن العباد هم الفاعلون لأفعالهم دون الله
عز وجل، وأنهم هم الخالقون لأفعالهم، وهم طائفتان:
الأولى: القدرية الغلاة: تنكر أن علم الله سبق الأشياء قبل وجودها، وأن الأمر
أنف؛ أي مستأنف العلم إنما يعلمها الله سبحانه وتعالى بعد وقوعها.

قال النووي في شرح مسلم (١/١٠٩):

وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبقَ أحد من أهل
القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون
الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم. اهـ

وقول شيخ الإسلام في الواسطية: ومنكروه اليوم قليل، مقدم على كلام
النووي، لا سيما والنووي متقدم وشيخ الإسلام متأخر عليهما رحمة الله.

أو أن يكون كل منهما ذكر ما علمه، وإما أن تكون القدرية الغلاة انقضت كطائفة وفرقة تدعوا وتناظر من أجل قولها، وبقي أفراد منهم قليل لا أثر لهم، وشيخ الإسلام أوسع اطلاعاً وأعلم، والله أعلم.

الثانية: القدرية غير الغلاة:

يقولون بتقديم علم الله على الأشياء، ولكنهم ينكرون عموم مشيئة الله، وأن الله قدر الخير ولم يقدر الشر.

وفي صحيح مسلم برقم (٨) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبُصْرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِيِّ. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِّينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ، فَوَقَّ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ. فَاکْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكُلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَتَتْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفُ. قَالَ: فَإِذَا لَقَيْتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَتَتْهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي. وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ.

قال الثوري رحمه الله: معناه أول من قال بنفي القدر، فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق.

قال الأوزاعي رحمه الله: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن) وكان نصرانياً، فأسلم، ثم تنصر، ثم أخذ عنه معبد الجهنني، وأخذ غيلان عن معبد.

رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٥٥)، واللالكائي برقم (١٣٩٨) وسنده صحيح.

وعن أنس بن عياض قال: أرسل إلي عبد الله بن يزيد بن هرمز فقال: لقد أدركت وما بالمدينة أحد يتهم بالقدر إلا رجل من جهينة يقال له معبد الجهني، فعليكم بدين العواتق اللائي لا يعرفن إلا الله تعالى.

رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٥٦) وهو صحيح إلي عبد الله بن يزيد بن هرمز، وهو أحد فقهاء المدينة كما في الجرح والتعديل (١٩٩/٥).

وعن ابن عون يقول: أول ما تكلم الناس في القدر بالبصرة معبد الجهني وأبو يونس الأسواري.

رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٥٧) وهو صحيح.

ويجمع بين الروایتين أن أول من قال بالقدر مطلقاً هو سوسن النصراني، وأول من قال به بعده معبد الجهني، وكان بالبصرة، وعن معبد أخذ غيلان الدمشقي.

والطائفة الأولى وهم القدرية الغلاة كفار، كفرهم ابن عمر كما تقدم.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (١/١١١):

هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنه ظاهر تكفير القدرية.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات.

قال: القائل بهذا كافر بلا خلاف. اهـ.

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم (١/٢٠٢): وإنما الخلاف في القدرية

الآن. اهـ.

قلت: أي من الطائفة الثانية.

والمعتزلة أكثرهم قدرية كما في الفرق بين الفرق (ص ٩٣).

والمهم أن أهل السنة والجماعة وسط بين قول الجبرية القائلين: بأن العبد مجبور على أفعاله، وبين قول القدرية القائلين: أن أفعال الباد لا تدخل نحن قضاء الله وقدره، ومشيتته.

فقال أهل السنة: إن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة، وهي أفعال العباد على الحقيقة، وهم قادرون على أفعالهم بقدره حقيقية مؤثرة في وقوع الفعل منهم، والله الذي أقدرهم على أفعالهم على ذلك.

راجع وسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٣٧٩).

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٤٣٦-٤٤٤):

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية، فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محضه!

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى. واختلفوا فيما بينهم أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟!

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً، كما غلت المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا.

والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا «مجوس هذه الأمة»، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتوا خالقين، وهم أثبتوا خالقين! وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضمنت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضاً.

ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر.

ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كل من الفريقين، ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل:

فمما استدلت به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

فنفي الله عن نبيه الرمي، وأثبتته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد. قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(١).

ومما استدل به القدريّة، قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]. ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، فهو دليل عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رمياً، بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداءً وانتهاءً: فابتداؤه

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري برقم (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

ومسلم برقم (٢٨١٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ، -والله تعالى أعلم-: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب. وإلا فطرّد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنت إذ زنت! وما سرت إذ سرت! وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتّب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة. فإن (الباء) التي في النفي غير (الباء) التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله»، باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله.

و(الباء) التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمعنى الآية: أحسن المصوّرين المقدّرين.

و«الخلق» يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، أي: الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم «كل». وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم «كل»، الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم «كل»!

وهل يدخل في عموم «كل» إلا ما هو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلية في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. ولا نقول: إن «ما» مصدرية، أي: خلقكم وعملكم، إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير.

وذكر أبو الحسين البصري إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري.

وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده ويمتنع عند عدمه ضروري، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة، غير مُسَلَّم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلظه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله، وكون هذا الإحداث واجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمقتية.

وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[الشمس: ٩-١٠]، إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقتهم، بل مَرَّتْهم كل مَرَّةٍ، وهي: أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروقا في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم والتعليل، وسدَّتْ باب السؤال.

وطائفة أثبتت كسبا لا يُعقل! جعلت الثواب والعقاب عليه. وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين، ومفعول بين فاعلين! وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرُونَ عليه! وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف. والجواب الصحيح عنه أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن كانت خلقا الله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضا.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟ يقال: هو عقوبة أيضا على عدم فعل ما خلق له وفُطر عليه؛ فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

فلما لم يفعل ما خلق له وفُطر عليه، من محبة الله وعبوديته والإنابة إليه، عوقب على ذلك بأن زَيَّنَ له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلبا خاليا قابلا للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]،

وقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤١-٤٢].

والإخلاص: خلوص القلب من تأله ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان.

وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل. فإن قلت: فذلك العدم مَنْ خَلَقَهُ فيه؟ قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه، لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ في حديث «الاستفتاح»: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»^(١).

وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول الله له: «يا محمد، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»^(٢).

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه، عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم،

(١) رواه مسلم برقم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) صحيح موقوفاً، رواه النسائي في «الكبرى» برقم (١١٢٩٤)، والطيالسي كما في مسنده

(٤١٤)، وابن منده في الإبان برقم (٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١)، عن حذيفة موقوفاً.

قال ابن منده: وهذا إسناد مجمع على صحته وقبول روايته. اهـ.

وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلّو القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلّوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟

قيل: ليس هنا ترك هو كفّ النفس ومنعها عما تريده وتجه، فهذا قد يقال: إنه أمر وجودي، وإنما هنا عدم وخلوّ من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلّوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسول، فلله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحسّ بألمها ومضرتها، لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده، من غير أن يخلق ذلك في قلوبهم ويجعلهم مخلصين له منيين له محبين له؟ أم ذلك محض جعله في قلوبهم وإلقائه فيها؟

قيل: لا، بل هو محض مِنته وفضله، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه، ولا يتقي من الشر إلا ما وَقَّاه.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفقوا له، ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم، عاد السؤال، وكان منعهم منه ظلماً، ولزمكم القول: بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرَّمه الربُّ على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومِنته عليه، لم يكن ظالماً بمنعه، فمَنع الحق ظلم، ومَنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسن المَنَّان بعطائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق إحساناً ورحمة، فهلاً كان العمل له والغلبة، كما أن رحمته تغلب غضبه.

قيل: المقصود في هذا المقام بيان أن هذه العقوبة المترتبة على هذا المنع، والمنع المستلزم للعقوبة، ليس بظلم، بل هو محض العدل.

وهذا سؤالٌ عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال، وهلاً سوى بين العباد في الفضل، وهذا السؤال حاصله: لم تَفْضَلْ على هذا ولم تفضل على الآخر؟ وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقوله: ﴿لَيْتَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

ولمَّا سألَهُ اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأَجَرَيْن وإعطائهم أَجْرًا أَجْرًا، قال: «هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «فذلك فضلي أوتيه من أشاء»^(١).

وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد، حتى أبصر طرقاً يسيراً من حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال محال ذلك، استدلل بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص قالوا: ﴿أَهْؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣]؟ قال تعالى مجيباً لهم: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

فتأمل هذا الجواب، تر في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غُرسَتْ فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فإن قيل: إذا حكمتكم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذا لا فعل للعبد أصلاً؟ قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، وأمثال ذلك.

وإذا ثبت كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:

(١) رواه البخاري (٥٥٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفةً له ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفةً وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدرُ على ذلك وحده لا شريك له، ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولايةٌ إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجها مكرهة. والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار؛ لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد قادرٌ على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع «الجُبُل» دون «الجبر»، كما قال عليه السلام لأشجَّ عبد القيس: «إن فيك لُحْلُتَيْنِ يحبهما الله: الحلمُ والأناة»، فقال: «أُخْلِقِينَ تَخْلَقْتُ بهما؟ أم خُلِقِينَ جُبِلْتُ عليهما؟» فقال: «بل خُلِقَانِ جُبِلَتْ عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خُلُقَيْنِ يحبهما الله تعالى^(١). والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري، والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

وإذا قيل: خُلِقَ الفعل^(٢) مع العقوبة عليه ظلم! كان بمنزلة أن يقال: خُلِقَ أكل السمِّ ثم حصول الموت به ظلم! فكما أن هذا سببٌ للموت، فهذا سببٌ للعقوبة، ولا ظلم فيها.

(١) رواه مسلم برقم (١٧ و ١٨) عن ابن عباس وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٢) انظر «منهاج السنة» (٣/ ٢٨).

فالحاصل: أن فعلَ العبد فعلٌ له حقيقةٌ، ولكنه مخلوقٌ لله تعالى، ومفعول لله، تعالى ليس هو نفس فعل الله، ففرقٌ بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

معاني الاستطاعة:

والاستطاعة والقدرة والقوة الوسع والطاقة كلها متقاربة المعنى، وقد وقع الخلاف فيها على أقوال:

الأول: قول الجهمية وهو أنه ليس للعبد أي استطاعة لا قبل الفعل ولا معه، بل له قدرة شكلية غير مؤثرة، وتسمى فعلاً تجوزاً.

الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم وهو أن الله تعالى قد مكّن الإنسان من الاستطاعة، وهذا الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة عليه وعلى ضده وهي مصاحبه للفعل.

الثالث: قول الأشاعرة ومن افقهم وهو أن الاستطاعة مع الفعل، ولا يجوز أن تتقدمه ولا أن تتأخر عنه، بل هي مقارنة له، وهي من الله تعالى، وما يفعله الإنسان بها فهو كسب له.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة وهو الذي عليه محققو المتكلمين وأهل الفقه وغيرهم وهو التفصيل.

النوع الأول: استطاعة للعبد بمعنى الصحة الوسع والتمكن وسلامة الآلات، وهي التي تكون مناط الأمر والنهي، وهي المصاحبة للفعل، فهذه لا يجب أن تقارن الفعل، بل تكون قلبه متقدمة عليه، وهذه الاستطاعة المتقدمة صالحة للضربين

وأماها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فهذه الاستطاعة قبل الفعل ولو لم تكن إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما خص أحد بترك الحج، وهذه الاستطاعة هي مناط التكليف.

النوع الثاني: استطاعة يجب معها وجود الفعل، وهي المقارنة للفعل الموجبة له ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فالمراد بهذه الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته، وهذه الاستطاعة الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

راجع موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٣١-١٣٣٢).

الكسب:

وأما الكسب فأصله في اللغة الجمع وهو طلب الرزق، يقال: كسبت شيئاً واكتسبه بمعنى الكوااسب الجوارح، وتكسب تكلف الكسب، وقد وقع الكسب في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: عقد القلب، وعزمه، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، أي بما عزمتم عليه وقصدتموه فتعقيد الإيمان هو كسب القلب.

الثاني: من الكسب كسب المال من التجارة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. فالأول والثاني في هذه الآية للزراع.

الثالث: من الكسب السعي والعمل، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ [الأنعام: ٧].

والكسب والاكتساب معناهما واحد على الصحيح.

والكسب تطلقه القدرية على معنى، والجبرية على معنى، وأهل السنة والجماعة على معنى.

فأما القدرية فيقولون: وهو وقوع بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاءه وأوجده.

وأما الجبرية فعندهم لفظ لا معنى له ولا حاصل تحته وقد اختلفت عباراتهم فيه وضرب أدلة الأمثال وأطالوا فيه المقال.

وأما أهل السنة والجماعة فعندهم العبد فاعل لفعله وهو بمشيئة الله تعالى وإرادته، قال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِذِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِذْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

راجع شفاء العليل (١/ ٣٠٩-٣١٣).

وأهل السنة والجماعة وسط بين قول الجبرية القائلين: بأن العبد مجبور على أفعاله، وبين قول القدرية القائلين: أن أفعال العباد لا تدخل تحت قضاء الله وقدره، ومشيئته.

فقال أهل السنة: إن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة، وهي أفعال العباد على الحقيقة، وهم قادرون على أفعالهم بقدره حقيقية مؤثرة في وقوع الفعل منهم، والله الذي أقدرهم على أفعالهم على ذلك.

راجع وسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٣٧٩).

مراتب الإيمان بالقدر:

قوله: (الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

الأول: الإيمان بأن الله عليم بما يعمل الخلق بعلمه القديم الذي هو موصوف به، وقد علم جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق والآجال: هذا الشيء الأول من الدرجة وهو علم الله القديم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٥٤٤):

القديم في اصطلاحهم هو الذي لا أول لا بدائته، أي أنه لم يزل فيما مضى من الأزمنة التي لا نهاية لها، عالمًا بما يعمل الخلق، بخلاف القديم في اللغة فقد يراد به ما كان قديمًا نسبيًا كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ومعلوم أن عرجون النخلة ليس بقديم أزلي، بل قديم بالنسبة لما بعده.

فالله تعالى موصوف بأنه عالم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الأزلي الذي لا نهاية لأوله عالم جل وعلا بأن هذا الإنسان سيعمل كذا في يوم كذا في مكان كذا بعلمه القديم الأولي فيجب أن تؤمن بذلك. اهـ.

والقديم ليس اسماً لله تعالى، ولكن يخبر عن الله سبحانه وتعالى بصفة القديم
قال ابن القيم الجوزية رحمه الله في البدائع (١/١٦٢):

ما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم. اهـ
وقد فسرهما شيخ الإسلام في الواسطية، والمصنف ينقل عنه، قال شيخ الإسلام
رحمه الله:

بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً. اهـ فعبارة شيخ الإسلام أدق.
فالله علم بكل شيء قبل وقوعه بعلمه الأزلي قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا
يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٠].

وقد تقدم الكلام على صفة العلم وبقية الفقرة.
قوله: (ثم كتب اللوح المحفوظ مقادير الخلق):
اللوح المحفوظ لا ندري مم هو، وسمى محفوظاً لأنه مصان عن أيدي الخلق اهـ مختصراً من
كلام العنيمين.

وهذا هو الشيء الثاني من الدرجة الأولى وهو الكتابة.
قوله: («وأول ما خلق الله القلم، وقال له: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»):
صحيح، وقد جاء عن جماعة من الصحابة.
الأول: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

رواه أحمد (٣١٧/٥) من طريقين، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١٤/١٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧)، وأبوداود الطيالسي كما في مسنده برقم (٥٧٧)، والترمذي برقم (٣٣١٩ و ٢١٥٥)، والفريابي في «القدر» (٧٥)، والآجري في «الشريعة» برقم (١٨٠ و ٣٤٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» برقم (١٩٤٩) من طريق الوليد بن عباد بن الصامت عن أبيه عن النبي ﷺ وعلى آله وسلم فذكره. وهذا صحيح.

ورواه الشاشي في مسنده برقم (١١٩٢) بلفظ: «من أول ما خلق الله القلم» ولفظة «من» منكرة، زادها عبد الواحد بن سليم السلمي وهو ضعيف وتارة، يذكرها وتارة لا يذكرها.

ورواه أبوداود برقم (٤٧٠٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩)، وأبونعيم في «الحلية» (٢٤٨/٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٤/١٠)، وفي «الاعتقاد» (ص ١٤٩-١٥٠) من طريق يحيى بن حسان عن رباح بن الوليد عن إبراهيم بن أبي عتبة عن أبي حفصة عن عباد أنه قال لابنه فذكره.

وتصحف أبو حفصة عند أبي نعيم إلى أبي حفص.

وقد رواه ابن أبي عاصم برقم (١٠٢) فخالف مروان بن محمد يحيى بن حسان فجعل بدل أبي حفصة أبا عبد العزيز الأردني.

وقد قال العلامة الألباني: لم أعرفه. اهـ وأنا لم أجده له ترجمة.

وكذا خالفه - أي يحيى بن حسان - مروان نفسه عند الطبراني في مسند الشاميين برقم (٥٨) فجعل بدل أبي حفصة، أبا يزيد الأزدي وهو غيلان بن جرير: ثقة، ترجمته في «السير» (٢٣٩/٥).

ورواه الآجري في «الشرعة» برقم (١٨١) من طريق محمد بن عباد عن أبيه. ومحمد بن عباد مجهول حال. لكن الحديث صحيح كما تقدم.

الثاني حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٠٦)، والآجري في «الشرعة» برقم (٣٣٩) من طريق أبي توبة الربيع بن نافع عن بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر عن مجاهد بن جبر عن ابن عمر مرفوعاً فذكره.

فحديث ابن عمر ضعيف؛ لأن بقية بن الوليد، يدلّس تدليس التسوية، ولم يصرح في شيخ شيخه، وهو في نفسه حسن الحديث.

ولكن قال الآجري برقم (٣٤٠): حدثنا الفريابي حدثنا أبو أنس مالك بن سليمان الحمصي حدثنا بقية عن أرطاة (بالعننة وزاد عن مجاهد أنه بلغه عن ابن عمر) فذكره، وأبو أنس مالك بن سليمان ضعيف ضعفه ابن أبي حفصة كما في تاريخ بغداد (١٥٩/١٣) فلا تضر هذه العلة.

الثالث: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» برقم (٢٣٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٠٨)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٨٥٩-٨٦٠)، وابن جرير في

«التفسير» (٢٩/١٦ و ١٧) و«التاريخ» (١٩/١)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٨٥٤)، والطبراني في «الكبير» برقم (١٢٥٠٠)، وأبونعيم في «الحلية» (٨/١٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٩)، و«الأسماء والصفات» برقم (٨٠٣) كلهم من طريق عبدالله بن المبارك أخبرنا رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره أن يكتب كل شيء».

وهذا إسناد صحيح، وقد تصحف (رباح) عند البيهقي في الأسماء والصفات إلى (رباح)، وعند الطبري في «التاريخ» إلى (رباح بن يزيد).

وقال أبو نعيم: لم يروه عن سعيد إلا القاسم ولا عنه إلا عمر تفرد به رباح ورواه عن ابن عباس جماعة منهم أبو ظبيان وأبو إسحاق، ومقسم، ومجاهد. منهم من رفعه ومنهم من وقفه. اهـ

قلت: ورواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٨٩٨) حدثني أبي نا يحيى بن سعيد عن هشام - يعني الدستوائي - حدثني القاسم بن أبي بزة حدثني عروة بن عامر عن ابن عباس فذكره موقوفاً.

وهذا أرجح فهشام الدستوائي ثقة ثبت.

وعمر بن حبيب وهو المكي ثقة حافظ لا سيما وقد أعل أبو نعيم المرفوع بتفرد رباح بن زيد.

وللموقوف شواهد أيضًا عند عبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٨٧١)، وابن جرير في «التفسير» (١٥ / ٢٩)، و«التاريخ» (٢٠ / ١) من طريق جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس فذكره موقوفًا.

وعطاء مختلط، وتابع جريرًا محمد بن فضيل عند الآجري في الشريعة (١٨٢) وجرير ومحمد بن فضيل كلاهما سمع من عطاء بعد الاختلاط، زد على ذلك أن في طريق الآجري أبو هشام الرفاعي ضعيف.

وخالفهما حماد بن زيد فرفعه. رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن عطاء فذكره مرفوعًا، وقال الطبراني عقبه: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.

قلت: ومؤمل ضعيف.

ورواه ابن جرير في «التفسير» (١٤ / ٢٩)، و«التاريخ» (٢٠ / ١)، والآجري في «الشريعة» (١٨٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤٩٨ / ٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٨٠٤) من طريق الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس موقوفًا وهو صحيح.

ومن طريق لابن جرير في «التاريخ» عن أبي ظبيان أو مجاهد.

ورواه ابن جرير في «التفسير» (١٥ / ٢٩)، و«التاريخ» (٢٠ / ١) من طريق معمر عن الأعمش أن ابن عباس، فذكر نحوه موقوفًا وهو معضل.

ورواه ابن بطة في «الإبانة» برقم (٢١٦-٢١٩) من طريق الحكم عن أبي ظبيان عن ابن عباس موقوفًا.

ورواه الآجري في «الشریعة» برقم (١٨٤)، والدولابي في «الكنى» (٢٢/٢) من طريق أبي عصمة عن عطاء عن مقسم عن ابن عباس به موقوفاً.

فالراجح من حديث ابن عباس الوقف. وهو صحيح.

الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه الآجري في «الشریعة» برقم (١٧٩ و ٣٤٥) وفي سنده الحسن بن يحيى الخشنى ضعيف.

وله طريق أخرى عند ابن عدي في «الكامل» (٢٦٩/٦) وفي سندها محمد بن وهب الدمشقي ذكر الحديث ابن عدي في ترجمته وقال له غير حديث منكر. وقال ابن عساكر: ذاهب الحديث، ووثقه الدارقطني، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. فحديث أبي هريرة حديث ضعيف.

فالخاص أن الحديث جاء عن عبادة صحيح، وعن ابن عمر حسن، وعن ابن عباس صحيح موقوفاً، وعن أبي هريرة ضعيف. فالحديث صحيح والحمد لله.

وقد استدلل بهذا الحديث ابن جرير وابن الجوزي كما في البداية والنهاية (٨/١)، والشيخ الألباني من المعاصرين في الصحيحة برقم (١٣٣) على أن أول المخلوقات هو القلم.

وخالفهم الجمهور بما فيهم شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٨-١٣)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٥٣-٢٥٤)، وابن كثير في البداية (٩/١): فقالوا: إن أول المخلوقات العرش، واستدلوا بما رواه البخاري برقم

(٧٤١٨) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَرْتَنَا، فَأَعْطَيْنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ» قَالُوا: قَبِلْنَا جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ. قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ» ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ أَذْرِكُ نَافَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَأَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

رواه مسلم (٢٦٥٣).

قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩/١):

قالوا فهذا التقدير، وهو كتابة بالقلم بالمقادير، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش، فثبت تقديم العرش على القلم أنه أول المخلوقات من هذا العالم. اهـ.

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (ص ٢٦٥) عقب ذكر حديث عبد الله بن عمرو:

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم بحديث عبادة هذا، ولا يخلو قوله: أول ما خلق الله القلم... إلخ، إما أن يكون

جملة، أو جملتين، فإن كان جملة وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب كما في اللفظ «أول ما خلق الله القلم قال له اكتب»، بنصب «أول» و «القلم»، وإن كان جملتين وهو مروي برفع «أول» و «القلم» فيتعين حملة على أنه أول المخلوقات من هذا العالم فيتفق الحديثان اهـ.

ومذهب الجمهور هو الحق والذي تدل عليه الأدلة.

قوله: (وهذا التقدير تابع لعلمه سبحانه، يكون في مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات: فيقال: «اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد»):
 في صحيح البخاري برقم (٦٥٩٤) ومسلم برقم (٢٦٤٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عُلِقَ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ بَرَزِقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٍّ، أَوْ سَعِيدٍ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا».

ونحوه عن أنس عند البخاري برقم (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

وقد تقدم قريباً.

قوله: (ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكره اليوم قليل):

فهذا القدر (الدرجة الأولى) التي هي العلم والكتابة ينكرها غلاة القدرية، فيقولون: إن الله لم يعلم بأفعال العباد إلا بعد وقوعها، وذلك أن القدرية قسمان: أولاً: الغلاة: وهم الذين كفرهم ابن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح مسلم برقم (٨).

والأئمة مالك، والشافعي كما في التنبيهات السنية (ص ١٥٤).

وقال الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة (ص ٣٠٥-٣٠٦):

إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقر بعلم الله فقل له الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿فَالَمْ يَسْتَحْيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ نَمْرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧]، فيقال له: تقر بعلم الله هذا الذي وقفتك عليه بالأعلام والدلالات أم لا؟

فإن قال: ليس له علم كفر.

وإن قال: لله علم محدث كفر حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علماً فعلم.

فإن قال: لله علم وليس مخلوقاً ولا محدثاً، رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل

السنة. اهـ

وقال الإمام مالك والشافعي: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا بها خوصموا، وإن أنكروا كفروا.

كما في مجموع الفتاوى (٣٤٩ / ٢٣).

ثانيًا: الذين يقولون أن الله قدر الخير ولم يقدر الشر، وهذا مذهب رديء جدًا وسخيف وباطل، لكنه ليس في الخطورة كسابقه؛ إذ بذلك الكفر، وبهذا لا يكفر على الإطلاق.

وفي شأن الكتابة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وفي صحيح مسلم (٢٠٤٦ / ٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

قوله: (وأما الثانية فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه):

هذا الشيء الأول من الدرجة الثانية، وهي المشيئة قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿يَمْنَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

قوله: (لا يكون في ملكه إلا ما يريد):

أي لا يكون إلا ما يريد الله كونًا، وقدّرًا، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وهذه الإرادة المرادفة للمشيئة هي التي تكون فيها يحبه الله وما لا يحبه، وهذا الذي يدل على السياق.

أما الإرادة التي بمعنى المحبة فلا تكون إلا فيما يحبه الله.

النجاة في القدر بالتسليم لله تعالى:

إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الحكيم؛ خلق كل شيء بحكمة، والاعتراض على شرعه كفر، فلم يبقَ إلا التسليم له تعالى، قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته:

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام.
قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (٢٠١-٢٠٣):

هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء؛ أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال:
من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم^(١).
وهذا كلام جامع نافع.

وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن العالم أن يصير نبياً رسولاً، فإذا عرف العامي المقلد عالماً، فدل عليه عامياً آخر.

ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي، دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي، لأني أنا الأصل في علمك بأنه مفتٍ، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفتٍ، فلزم القدح في فرعه! فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفتٍ، ودللت عليه، شهدت له بوجوب تقليده دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين، لا تستلزم موافقتك في كل

(١) صحيح، ذكره البخاري (٥٠٣/١٣) تعليقا.
ورواه الحميدي في النوادر كما في فتح الباري، وأبونعيم في «الحلية» (٣/٣٦٩).

مسألة، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفتٍ، هذا مع علمه أن ذلك المفتي قد يخطيء.

والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى، لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره، وقد علمنا بالاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول: هذا القرآن الذي تلقيه علينا، والحكمة التي جئتنا بها، قد تضمن كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا، فلو قبلنا جميع ما تقوله - مع أن عقولنا تناقض ذلك - لكان قدحاً في ما علمنا به صدقك، فنحن نعتقد موجب الأقوال الناقضة لما ظهر من كلامك، وكلامك معرض عنه، لا نتلقى منه هدياً ولا علماً، لم يكن مثل هذا الرجل مؤمناً بما جاء به الرسول، ولم يرضَ منه الرسول بهذا، بل يعلم أن هذا لو ساغ لأمكن كل أحد ألا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول، إذ العقول متفاوتة، والشبهات كثيرة، والشياطين لا تزال تلقي الوسوس في النفوس، فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به!

وقد قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

وقال: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿حَمْدُ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١-٢]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ٢]، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ

شَيْءٍ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

ونظائر ذلك كثيرة في القرآن، فأمر الإيمان بالله واليوم الآخر: إما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا؟ الثاني باطل، وإن كان قد تكلم بما يدل على الحق بألفاظ مجملة محتملة، فما بلغ البلاغ المبين، وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين، فقد افترى عليه ﷺ.

قوله: (وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات):

أما الموجودات فيعدمها أو يغيرها، أو يفعل بها ما شاء، وأما المعدومات فيوجدتها.

قوله: (فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، ولا خالق غيره ولا رب سواه):

هذا هو الشيء الثاني من الدرجة الثانية وهو الخلق وتقدم الكلام عليه.

ومع ذلك فتلخص أن مراتب الإيمان بالقدر أربع:

الأولى: العلم.

الثانية: الخلق.

الثالثة: المشيئة.

الرابعة: الكتابة.

قوله: (ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصيته ومعصية رسوله).

وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين، والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم):

وفي هذا رد على القدرية النفاة الذين يقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد، وفي هذه رد على الجبرية الذين يقولون: إن العبد لا أثر له.

قوله: (والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم):

فينسب العبد إلى فعله إن صالحًا فصالح، وإن طالحًا فطالح، ولولم يكن العبد فاعلاً لفعله على الحقيقة لما وصف بما ليس من فعله حقيقة.

وهذه الفقرة رد على الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور على فعله.

قوله: (وللعباد قدرة على أفعالهم، ولهم إرادة):

وهذا رد على الجبرية، وفي صحيح مسلم برقم (١٦٥٩) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدَيَّ فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ».

قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

قوله: (والله خالقهم، وخالق قدرتهم، وإرادتهم، وهذه الدرجة من القدر):

أي الدرجة الثانية التي تشمل المشيئة والخلق.

وفي هذا رد على القدرية.

قوله: (يكذب بها عامة القدرية الذين سباهم النبي ﷺ: «مجوس هذه الأمة»):

الحديث صحيح بمجموع طرقه، وقد جاء هذا الحديث عن جماعة من الصحابة:

الأول: حديث حذيفة بن اليمان:

رواه أحمد في «مسنده» (٤٠٦/٥-٤٠٧)، وأبوداود برقم (٤٦٩٢)، وابن أبي

عاصم في «السنة» برقم (٣٢٩)، وأبوداود الطيالسي كما في «مسنده» برقم (٤٣٤)،

وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٩٥٩)،

من طريق عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ

قال: «إن لكل أمة مجوسًا ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، فمن مرض

منهم فلا تعودوه، ومن مات منهم فلا تشهدوه وهم شيعة الدجال حقا على الله عز

وجل أن يلحقهم به».

وفيه ثلاث علل، وهي:

١- عمر، وهو ابن عبدالله المدني أبو حفص مولى غفرة: ضعيف، وكان كثير

الإرسال.

٢- اضطرب عمر في الحديث، كما سيأتي في الحديث التالي.

٣- جهالة الراوي عن حذيفة (لم يسم).

ورواه البزار في «مسنده» برقم (٢٩٣٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٢٣٨)

من طريق أبي معشر عن عمر مولى غفرة عن عطاء بن يسار عن حذيفة.. فذكره.
وقال البزار عقبه: وهذا الكلام قد روي عن حذيفة من غير هذا الوجه، ولا نعلم
أحدًا وصله وسمى الرجل الذي بين عمر بن عبدالله مولى غفرة وبين حذيفة إلا
أبومعشر عن رجل عن حذيفة. اهـ
وأبومعشر، وهو نجيح بن عبدالرحمن السندي: ضعيف. فحديث حذيفة ضعيف
جدًا.

وليس قوله: «هم شيعة الدجال... إلخ»، إلا في حديث حذيفة وحده.
الثاني: حديث ابن عمر: وله عنه أربع طرق:
الأولى: رواها أحمد في «مسنده» (٨٦/٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم
(٢٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٣٩)

من طريق عمر بن عبدالله مولى غفرة عن عبدالله بن عمر مرفوعًا.. فذكره.
وعمر بن عبدالله مولى غفرة: ضعيف، وقد اضطرب في الحديث، فقد رواه عن
رجل عن حذيفة، كما تقدم.

رواه عمر عن عمر بن محمد بن زيد عن نافع عن ابن عمر.. فذكره. رواه
اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١١٥٣). وهذا من
اضطرابه.

وقال ابن معين: لم يسمع من أحد من الصحابة، كما في «تهذيب التهذيب».

الثانية: رواه أبوداود برقم (٤٦٩١)، ومن طريقه الحاكم (٨٥ / ١)، ومن طريق الحاكم البيهقي في «الكبرى» (٢٠٣ / ١٠)، وفي «الاعتقاد» ص (١٥٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٣٨)

من طريق عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر.. فذكره.

وقال الحاكم عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر، ولم يخرجاه. اهـ

وأبو حازم، وهو سلمة بن دينار الأعرج، لم يسمع من ابن عمر. قاله المزي في «تهذيب الكمال» (٢٧٣ / ١١).

الثالثة: رواه الآجري في «الشرعية» برقم (٣٨١ و ٣٨٢)، والطبراني في «الأوسط» برقم (٢٥١٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١١٥٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٢٢٥) من طريق زكريا بن منظور عن أبي حازم عن نافع عن ابن عمر.. فذكره.

وقال الطبراني عقبه: ولم يرو هذا الحديث عن أبي حازم إلا زكريا. اهـ

وقال ابن الجوزي عقبه: هذا حديث لا يصح، قال يحيى: زكريا بن منظور ليس بشيء، وقال ابن حبان: يروي زكريا عن أبي حازم ما لا أصل له. اهـ
وزكريا متروك. قاله الدارقطني.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٤٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٦٠ / ١)، وابن عدي في «الكامل» (٦٢٥ / ٢)، والآجري في «الشرعية» برقم

(٣٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢٠٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» برقم (٢٢٦)

من طريق الحكم بن سعيد وهو الأموي من ولد سعيد بن العاص عن الجعيد بن عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر.. فذكره.

وعند ابن أبي عاصم: عن ابن عمر أو عن أبيه.

والحكم بن سعيد: منكر الحديث، وقد ذكر الحديث من مناكيره.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٤١) من طريق إسماعيل بن داود عن سليمان بن بلال عن أبي حسين عن نافع عن ابن عمر.. فذكره.

وإسماعيل بن داود وهو: ابن مخراق، منكر الحديث. كما في «لسان الميزان» (١/٧٢٠).

وأبو حسين ذكره ابن منده في «فتح الباب في الكنى والألقاب» (ص ٢٤٣) وقال: أبو حسين حدث عن الحكم بن عبدالله الأيلي، روى عنه سليمان بن بلال، وكناه. اهـ فهو مجهول عين.

الرابعة: عند ابن بطة برقم (١٥١٢) من طريق أبي حازم عن نافع عن ابن عمر فذكره

ورجاله ثقات لولا أن ابن بطة ضعيف.

فحديث ابن عمر حسن وحده، بطرقه.

الثالث: حديث جابر بن عبدالله:

رواه ابن ماجه في «مقدمة سننه» برقم (٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٢٨)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١ / ٢٢١)، والآجري في «الشرعة» برقم (٣٨٤) من طريق محمد بن مصفى عن بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله.. فذكره.

وبقية بن الوليد يدلّس تدليس التسوية كما في «تهذيب الكمال» وابن جريج وأبو الزبير مدلسان وقد عنعنا، فحديث جابر ضعيف لهذه الثلاث العنعنات. وتصحّف «ابن مصفى» عند الطبراني إلى «ابن الصفار»، وهو خطأ. ورواه ابن عدي في «الكامل» (١ / ١٩٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٢٤٤)

من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن بقية به. ثم عقبه ابن عدي بقوله: وهذا حديث ابن مصفى سرقه منه جحدر هذا. الرابع: حديث أبي هريرة:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٤٢)، والآجري في «الشرعة» برقم (٣٨٥) و(٣٨٦)، وابن عدي في «الكامل» (٢ / ٥٦١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢٧٥)

من طريق مكحول عن أبي هريرة.. فذكره. ومكحول، وهو الشامي لم يلق أباهريرة. قاله الدارقطني كما في «تحفة التحصيل» (ص ٣١٤).

وهو يرسل.

وله طريق أخرى، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٧٥): وقد رواه غسان بن ناقد عن أبي الأشهب النخعي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكر نحوه.

وله طريق ثالثة، ذكرها ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٧٥)، وقال بعدها: هذا حديث لا يصح، وفيه مجاهيل. قال أبو عبد الرحمن النسائي: هذا الحديث باطل كذب. اهـ

الخامس: حديث أنس بن مالك:

رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٤١٧) قال: حدثنا علي بن عبد الله الفرغاني قال: حدثنا هارون بن موسى الفروي، عن أبي حمزة أنس بن عياض عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم».

وقال عقبه: تفرد به هارون بن موسى الفروي. اهـ

لكن هارون بن موسى يعتبر شاذًا، فقد رواه الإمام أحمد (٢/ ٨٦)، فقال:

حدثنا أنس بن عياض.

وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٣٩) فقال: ثنا يعقوب بن حميد كلاهما عن أنس بن عياض عن عمر بن عبد الله مولى غفرة عن ابن عمر، كما تقدمت هذه الطريق، وهي أرجح، وهي ضعيفة، وتقدمت علتها. وقد أشار الطبراني إلى هذا.

وعلي بن عبدالله الفرغاني (شيخ الطبراني) ثقة، كما في «تاريخ بغداد» (٤/١٢).
 وهارون بن موسى، قال مسلمة: ثقة، وكذا وثقه الدارقطني، وقال النسائي: لا
 بأس به، وقال أبو حاتم: شيخ. كما في «تهذيب التهذيب». فهو صدوق.
 وأبو حمزة أنس بن عياض: ثقة.

وله طريق أخرى لا تثبت عند العقيلي في «الضعفاء» (٩٨/٣) من طريق
 عبدالوارث بن أبي غالب العنبري عن ثابت عن أنس.. فذكره.
 وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به.
 وقال الذهبي في «الميزان»: لا يعرف، والخبر منكر.
 السادس: حديث سهل بن سعد:

رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٩٢١٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد
 أهل السنة والجماعة» برقم (١١٥٢) من طريق يحيى بن سابق عن أبي حازم عن
 سهل بن سعد.. فذكره.

ويحيى بن سابق، قال أبو حاتم: ليس بقوي. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات
 عن الثقات. وقال الدارقطني: متروك. وقد ذكروا الحديث في ترجمته مما أنكر عليه.
 راجع «لسان الميزان» (٣٣٦/٦).

السابع: حديث عائشة:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣٣١) قال: حدثنا علي بن ميمون، ثنا
 عبدالله بن خالد - وهو عبدون القرقيساني -، ثنا عبدالله بن يزيد عن الحسن عن
 عائشة أم المؤمنين.. فذكره.

وهو حديث ضعيف، وبه ثلاث علل:

- ١- الانقطاع بين عائشة والحسن، فالحسن وهو البصري لم يسمع من عائشة.
- ٢- عبدالله بن يزيد، ويقال له: ابن أبي يزيد، أبو عبدالرحمن المازني القارئ البصري، فيما يبدو لي، وهو يروي عن الحسن وموسى بن أنس، وروى عنه يزيد بن الحباب وعبدالصمد، وذكره ابن حبان في «الثقات»، كما في «تهذيب التهذيب» فهو مجهول حال.

- أما عبدالله بن يزيد بن آدم فهو أرفع من هذا، وقد أتهم.
 - ٣- عبدالله بن خالد بن عبدون القرقيساني، لم أجد له ترجمة.
- فالحديث صحيح بمجموع طرقه.

قوله: (ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات):
وهم الجبرية.

قوله: (حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه،
وحكمها ومصالحها):

قال الشيخ عبد العزيز الرشيد في التنبیہات السنية (ص ٢٦١):

أي أن هؤلاء الجهمية يزعمون أن الله تعالى لا يفعل لعله ولا حكمة، وإنما هو محض مشيئته، وصرف إرادته مجردة عن الحكمة والرحمة، وكان شيخهم الجهم بن صفوان يقف على الجذماء فيقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ إنكاراً للرحمة والحكمة، وأدلة الكتاب والسنة تبطل هذا المذهب.

قال ابن القيم رحمه الله: ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة فاسدة، ذكرها من تسعين وجهًا. اهـ.

والذي عليه أهل السنة والجماعة هو إثبات العلة والحكمة في أفعاله سبحانه، وشرعه وقدره، فما خلق شيئاً ولا قضاه ولا شرعه إلا لحكمة بالغة، وإن تقاصرت عنها عقول البشر، والأدلة في إثبات ذلك كثيرة جداً، فإنه سبحانه حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة، فما خلق عبثاً، ولا خلقه سدى كما قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨]. اهـ كلامه.

قوله: (فالقدر ظاهره وباطنه):

أي ما وضح منه وما خفي.

قوله: (ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه):

هذا بمعنى خيره وشره.

قوله: (وقله وكثره، وأوله وآخره، من الله عز وجل).

قضاء قضاءه على عباده، وقدر قدره عليهم، ولا يعدو واحد منهم مشيئة الله، ولا يجاوز قضاءه، بل كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم، وهو عدل منه جل ربنا وعز):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وفي صحيح الإمام مسلم برقم (٢٦٤٨) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ ابْنِ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِفْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَيْمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ؟ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِسْنِيءٍ لَمْ أَفْهَمُهُ، فَسَأَلْتُ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ». حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْمَعْنَى وَفِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيسَّرٍ لِعَمَلِهِ».

وعند مسلم أيضًا برقم (٢٦٥٥) عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ».

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته:

يهدي من يشاء، ويهم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء، ويخذل من يشاء ويبتلي عدلًا.

قوله: (والزنا، والسرقة، وشرب، الخمر، وقتل النفس، وأكل الحرام، والشرك، والكفر، والبدعة، والمعاصي، والكبائر، والصغائر، كلها بقضاء الله وقدر منه، من غير أن يكون لأحد من الخلق حجة على الله.

وَعِلْمُ اللَّهِ عز وجل ماضٍ في خلقه بمشيئة منه، وقد علم من إبليس وغيره ممن عصاه من لدن عصي إلى أن تقوم الساعة المعصية وخلقهم لها):

بعدله قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

قوله: (وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها):

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (١/ ٣٢٨-٣٣٠):

فاعلم أن المراد نوعان:

مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته، وما فيه من الخير فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً للمراد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، ومراده له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجمع فيه الأمران بغضه وإرادته ولا يتنافيان لاختلاف متعلقها، وهذا كالدواء الكريه إذا علم لمتناوله له فيه شفاء، وقطع العضوا المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده، ومحبوه بل العقل يكتفي في إثارة هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية، فهو سبحانه يكره الشيء ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوقه، من ذلك أنه خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان، والأعمال، والاعتقادات، والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه؛ ومع هذا فهو

وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها، منها:

أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذا الذات التي هي أخبث الذوات، وشرها وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبرائيل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها، وأزكاها، وهي مادة كل خير فتبارك خالق هذا.

وهذا كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة والموت، والحسن والقيبح، والخير والشر، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته، وعزته، وملكه، وسلطانه؛ فإنه خلق هذه المتضادات وقابلها بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته، وكمال تصرفه، وتدبير ملكه.

ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمتقم^(١)، والعدن، والضار^(٢)، والشديد العقاب، والسريع العقاب، وذو البطش الشديد، والخافض، والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

(١) المتقم لم يثبت من أسماء الله تعالى، كما تقدم بيان ذلك.

(٢) ليس هنالك دليل مرفوع نعلمه يدل على هذين الاسمين لله تعالى، وكذا الخافض، والمذل، وهذه صفات ثابتة لله تعالى.

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه، وعفوه، ومغفرته، وستره، وتجاوزه عن حقه، وعتقه لمن شاء من عبیده، فلولاً خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»^(١).

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة، والخبرة؛ فإنه الحكيم الخبير؛ الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه، وحكمته، وخبرته؛ فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها:

(١) رواه مسلم برقم (١٧٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من الموالاة لله سبحانه وتعالى، والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر، ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة، والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه، ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها. اهـ كلامه.

وأما استدلال الجبرية بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، قالوا: نفى الله عن نبيه الرمي، وأثبتته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد.

قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل».

رواه البخاري برقم (٥٦٧٣) ومسلم برقم (٢٨١٦) عن أبي هريرة.

قوله: (أن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم):

روى الإمام أحمد (٤٤١/٦) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ».

وهو حسن.

قوله: (ومن زعم أن الله سبحانه شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية، فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله، وأي افتراء على الله أكبر من هذا):

وهذا رد على القدرية.

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (١/٣٢٣):

روى عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوس،

فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوس: حتى يريد الله.

فقال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد، فقال المجوسي: أراد الله

وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطان قوي!

وفي رواية: فأنا مع أقواهما!

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد فقال: ياهؤلاء إن ناقتي سرقت،

فادعوا الله أن يردها عليّ.

فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقتي، فسرقت فاردها عليه.

فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟

قال: أخاف كما أراد أن لا تسرق فسرقت أن يريد ردها فلا ترد. اهـ.

وعلى هذا القول لوازم باطلة كثيرة تؤدي للكفر بالله نسأل الله العافية

والسلامة.

قوله: (ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قليل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا،

وجاءت بولد، هل شاء الله تعالى عز وجل أن يخلق هذا الولد؟

وهل مضى في سابق علمه؟

فإن قال لا، فقد زعم أن مع الله خالقاً آخر، وهذا هو الشرك صراحاً):

أي الشرك المحض الخالص؛ وذلك لأن فيه إثبات خالقين، وهو عين الشرك بالله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وسبب ضلال القدرية والجبرية هو التسوية بين المشيئة والإرادة.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (١/ ٣٢٤):

ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضى، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا.

فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مرضية، فهي خارجة من مشيئته وخلقه.

وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة.

وراجع مجموع الفتاوى (٨/ ٤٧٥-٤٨٠).

قوله: (ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل مال الحرام، ليس بقضاء وقدر، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية):

الثنوية من المجوس يقولون: إن للعالم صانعين، النور والظلمة، وأن النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر.

(بل أكل رزقه الذي قضى الله له أن يأكله من الوجه الذي أكله):

أي أن قولهم هذا فاسد، فهو لا يأكل رزق غيره، وإنما يأكل رزق نفسه الذي قدره الله، إما من حرام، أو من حلال قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].
وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس: إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، فلا تستبطنوا الرزق، واتقوا الله أيها الناس وأجلوا في الطلب؛ خذوا ما حل ودعوا ما حرم».

رواه الحاكم (٢/٣-٤) وصححه شيخنا مقبل رحمه الله في كتاب الجامع الصحيح في القدر (ص ٢٨٩ برقم ٢٣٣).

قوله: (ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر الله، فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأي كفر أوضح من هذا؟):

هذا رد على المعتزلة القائلين: إن المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكان على هذا له أجلان، وهذا باطل وافتراء، بل إن المقتول ميت بأجله ووقته المقدر له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

قال القرطبي رحمه الله (١/٢٠٢):

وأما كثير من المعتزلة إلا من شذ منهم قالوا: إن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له، وأنه لو لم يقتل لحيي، وهذا غلط؛ لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له بل من أجل ما فعله الله من إزهاق نفسه عند لضرب له، فإن قيل: فإن مات بأجله فلم يقتلوا ضاربه وتقصون به؟

قيل له: نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه، لا لموت وخروج الروح إذ ليس ذلك من فعله، ولو ترك الناس والتعدي من غير قصاص لأدى ذلك إلى الفساد، ودمار العباد، وهذا واضح. اهـ.
قوله: (بل ذلك بقضاء الله عز وجل).

أو ذلك عدل منه في خلقه، وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم، وهو العدل الحق الذي يفعل ما يشاء):

قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قوله: (ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشئنة على الصغر والقما):

القما: الذليل الصغير، كما في لسان العرب (٢٩٦/١١).

وذلك أنه إذا أقر أن الله سبحانه وتعالى علم هذه الأشياء قبل وقوعها لزمه أحد أمرين:

الأول: أن الله قدرها وشاءها كونها، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه.

الثاني: أنها وقعت بمغالبة الله، ولم يستطع الله منعها، وقهر بوقوعها، وهذا لا قائل به وهو كفر.

فإذا أقر العلم لزمه أن يقر ببقية مراتب القدر الثلاث الكتابة والمشيئة والخلق، وإلا لكان إقراره بالعلم ناقص وغير وافٍ.

قوله: (فالأشياء كلها تكون بمشيئة الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]).

وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وقالوا: إن أحد لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، فلا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا في الوقت الذي قدر الله أن يفعله):

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. وقد تقدم الكلام على الاستطاعة مع الفعل أو قبله بما أغنى عن إعادته هنا؛ والله الحمد.

قوله: (أو يكون أحد يقدر أن يخرج على علمه تعالى، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله).

وأقروا أنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد خلقها الله، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين، ولطف للمؤمنين، ونظر لهم، وأصلحهم، وهداهم، ولم يلطف للكافرين، ولا أصلحهم، ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين.

وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ هَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم، وأصلحهم، وطبع على قلوبهم، وختم على سمعهم وعلى أبصارهم

غشاوة، ويؤمنون أنهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، إلا ما شاء الله، كما قال، ويلجئون أمرهم إلى الله، ويشتون الحاجة إليه سبحانه في كل وقت، والفقر إليه في كل حال:

كلام جميل واضح بين مع إسهاب، وتكرار في بعضه قليلاً؛ لكون الكتاب متناً وقد سماه قطف الثمر.

بعض خصائص النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قوله: (فصل ونعتقد أن محمدًا المصطفى):

روى مسلم في صحيحه برقم (٢٢٧٦) عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وفي مسند الإمام أحمد (٢٥ / ٦) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدِ هُمْ، فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَرُونِي اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ»، قَالَ فَأَسْكَتُوا، مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ؟ ثُمَّ تَلَّكَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «أَبَيْتُمْ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ».

ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَأَقْبَلْ، فَقَالَ: ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيُّ رَجُلٍ تَعْلَمُونَ فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ، وَلَا مِنْ أَيْكَ قَبْلَكَ، وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَيْكَ.

قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَحِدُّونَهُ فِي التَّوْرَةِ، قَالُوا: كَذَبْتَ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتُمْ لَن يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ أَمَّا أَنفَا فَنُتْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَتَيْتُمْ، وَلَمَّا آمَنَ كَذَبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ، فَلَن يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ»، قَالَ فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

هذا حديث صحيح.

قوله: (وأحمد المجتبى ﷺ):

قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

والمصطفى والمجتبى بمعنى واحد وهو الاختيار والانتقاء.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

وإن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى.

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (١٤٩-١٥٨):

الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى.

واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال

تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه ﷺ باسم (العبد) في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: «اذهبوا إلى محمد، عبد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(١)، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقدروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك.

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوة النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

(١) متفق عليه، وهو من حديث الشفاعة الطويل، وسيأتي إن شاء الله ذكره بطوله في ذكر الشفاعة.

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديته تأتيك بالخير

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشيطان عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة. والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمراً:

أحدهما صادق والآخر كاذب، لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عن الله كذاباً»^(١).

ولهذا قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَىٰ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٦]، فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من المغيبات - ويكون صدقاً - فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك، وليسوا بأنبياء، ولهذا لما قال النبي

(١) رواه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

عَلَيْهِ السَّلَامُ لابن صياد: «قد خبأت لك خبأ» فقال: هو الدُّخُّ، قال له النبي ﷺ: «اخشأ، فلن تعدو قدرك» يعني: إنما أنت كاهن، وقد قال للنبي ﷺ: يأتييني صادق وكاذب^(١)، وقال: أرى عرشاً على الماء^(٢)، وذلك هو عرش الشيطان، وبين أن الشعراء يتبعهم الغاؤون، والغاوي الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقَه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، أو علم النحو والطب والفقه وغير ذلك، والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشبه الصادق فيها بالكاذب؟ ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وجهه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَماهُمْ﴾ [محمد: ٣٠] ثم قال: ﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] وقد قيل: ما أسرَّ أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

(١) رواه البخاري برقم (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٢٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فإذا كان صدق المخبر وكذبه يُعلم بما يقتزن من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله، كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟ وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟

ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: «إني قد خشيت على نفسي»، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق^(١).

فهو لم يَخَفْ مِنْ تَعَمُّدِ الكذب، فهو يعلم من نفسه ﷺ أنه لم يكذب، وإنما خاف أن يكون قد عرض له عارض سوء، وهو المقام الثاني، فذكرت خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولا عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وقد علم من سنة الله أن من جبله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه.

وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرأوا عليه: إن هذا والذي جاء به موسى^(٢) عليه السلام ليخرج من مسكاة واحدة^(٣) وكذلك ورقة بن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، وكان ورقة قد تنصّر، وكان يكتب

(١) رواه البخاري برقم (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) كذا، وصوابه عيسى عليه السلام.

(٣) حسن، رواه أحمد (١/ ٢٠١-٢٠٣) من حديث أم سلمة.

الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى، فقال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى^(١).

وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتابًا يدعو فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبوسفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أباسفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه فصاروا بسكوتهم موافقين له في الإخبار، سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟

فقالوا: لا، قال: هل قال هذا انقول أحد قبله؟

فقالوا: لا، وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟

فقالوا: نعم، وسألهم: هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذبًا، وسألهم: هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟

فذكروا أن الضعفاء اتبعوه، وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟

فذكروا أنهم يزيدون، وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن

يدخل فيه؟

فقالوا: لا، وسألهم: هل قاتلتموه؟

قالوا: نعم، وسألهم: عن الحرب بينهم وبينه؟

فقالوا: يدال علينا مرة، وندال عليه أخرى، وسألهم: هل يغدر؟

(١) رواه البخاري برقم (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

فذكروا أنه لا يغدر، وسألهم: بماذا يأمركم؟

فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آبائنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة؛ فقال: سألتكم هل كان في آبائه من ملك فقلتم لا، قلت: لو كان في آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتكم هل قال هذا القول فيكم أحد قبله فقلتم لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل ائتم بقول قيل قبله.

وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فقلتم: لا، فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرفهم، فقلتم: ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم.

ثم قال: وسألتكم هل أيزيدون أم ينقصون فقلتم: بل يزدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطه له بعد أن يدخل فيه فقلتم: لا، وكذلك الإيمان، إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلاً ثم ينكشف.

وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه فقلتم: إنها دُول، وكذلك الرسل تُبتلى وتكون العاقبة لها.

قال: وسألتكم هل يغدر فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدر^(١). وهو لما كان عنده من علمه بعبادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم وأنهم لا يغدرون، عَلِمَ أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر.

كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»^(٢).

والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، الآيات، وقال تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]، الآيات.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على سنته في خلقه وحكمته التي بهرت العقول.

قال: وسألتكم عما يأمر به فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم،

(١) رواه البخاري برقم (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه بنحوه.

وهذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبوسفیان بن حرب، وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضاً وعداوة للنبي ﷺ.

قال أبوسفیان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج:

لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقناً بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره.

ومما ينبغي أن يُعرف: أن ما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان من شبع وري وشكر وفرح وغم، فأمور مجتمعة، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب ونحو ذلك.

وأيضاً: فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، كثبوت الطوفان وإغراق فرعون وجنوده، ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبياً بعد نبي، في سورة الشعراء، كقصّة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢١-١٢٢].

وبالجملة: فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول إنه رسول الله، وأن أقوامًا اتبعوهم، وأن أقوامًا خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العقابة لهم، وعاقب أعداءهم، هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلها، ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك الفرس وعلماء الطب، كبقراط وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وأتباعه.

ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة: منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العقابة لهم، ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم، عُرف صدق الرسل، ومنها: أن من عَرَف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاؤوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم، ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم برّ يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

ولذكر دلائل نبوة محمد ﷺ من المعجزات وبسطها موضع آخر، وقد أفردنا الناس بمصنفات، كالبيهقي، وغيره.

بل إنكار رسالته ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته له إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، بل جحدٌ للرب بالكلية وإنكارٌ.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمد ﷺ عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفترى على الله ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم ويغنم أموالهم ودراريهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويُعلي أمره ويمكّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبدّلها وقتل أوليائه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين! فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر ولو كان له مدبر قدير حكيم لأخذ على يديه ولقابه أعظم مقابلة، وجعله نكالا للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟

ولا ريب أن الله تعالى قد رَفَعَ له ذكره، وأظهر دعوته والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد. ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره، ولم تَطُل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، فقطعوا دابره واستأصلوه، هذه سنة الله التي قد خلت من قبل،

حتى إن الكفار يعلمون ذلك. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿[الطور: ٣٠-٣١].

أفلا تراه يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقر من تقول عليه بعض الأقاويل، لابد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهنا انتهى جوابُ الشرط، ثم أخبر خبرًا جازمًا غير معلق: أنه يمحو الباطل ويحق الحق. وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، فأخبر سبحانه أن من نفى عنه الإرسال والكلام لم يقدره حق قدره. اهـ

قوله: (خير الخلائق، وأفضلهم وأكرمهم على الله عز وجل، وأعلى درجة، وأقربهم إلى وسيلة، بعثه الله رحمة للعالمين، وخصه بالشفاعة في الخلق أجمعين):
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُئِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ.»:

رواه البخاري برقم (٤٣٨)، ومسلم برقم (٥٢١) واللفظ له.

وفي صحيح مسلم برقم (٥٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ،

وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ».

قوله: (وقال: أنا سيد يوم القيامة):

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعَ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا نَشْهَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَذْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَايَ عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ

يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ تَحَامِيدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمْتِي يَا رَبُّ أُمْتِي يَا رَبُّ أُمْتِي يَا رَبُّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

قوله: (وقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع ومشفع» رواه مسلم والنسائي):

رواه مسلم برقم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ولم أره عند النسائي، وإنما رواه أحمد (٥٤٠ / ٢)، وأبو داود برقم (٤٦٧٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٤ / ٩).

وليس عندهم قوله «ولا فخر» في حديث أبي هريرة وإنما جاءت في حديث أنس عند أحمد (١٤٤ / ٣)، والنسائي في «الكبرى» برقم (٧٦٩٠) من طريق عمرو وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب عن أنس به.

ورواه نحوه الترمذي برقم (٣٦١٠) الربيع بن أنس عن أنس به، وهو صحيح.
وفي حديث أبي سعيد عند أحمد (٢ / ٣)، وابن ماجه برقم (٤٣٠٨).
وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد (٢٩٥ / ١) و (٢٨١) من طريق علي بن زيد هذا عن أبي نضرة عن ابن عباس فذكره مرفوعاً.

وهو متابع فقد رواه الترمذي برقم (٣٦١٦) زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس به.

وزمعة بن صالح وقد تصحف عند الترمذي في طبعة دار الفكر إلى زمعة بن أبي صالح وهو الجندي ضعيف.

وسلمة بن وهرام حسن الحديث إلا إذا روى عنه زمعة بن صالح.
فالظاهر ضعف حديث ابن عباس لكنه في الباب.

وجاء في حديث أبي بكر رواه أحمد (٥ / ١) وهو حسن.

فبالجملة هذه الزيادة وهي «ولا فخر» صحيحة لا مطعن فيها، لكن في غير حديث أبي هريرة والحمد لله.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١٥٩-١٦٤):

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». رواه مسلم^(١).

وفي أول حديث الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة»^(٢).

وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»^(٣).

فإن قيل: يشكل على هذا قوله ﷺ: «لا تفضلوني على موسى؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يُفبق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري هل أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله؟» خرجاه في «الصحيحين»،^(٤) فكيف يُجمع بين هذا وبين قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»؟^(٥)

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٦).

(٤) رواه البخاري برقم (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه قريباً.

فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلمٌ، وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا؛ لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموماً، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، وعلى هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين الأنبياء»،^(١) إن كان ثابتاً، فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى، وهو في البخاري وغيره، لكن بعض الناس يقول: إن فيه علة، بخلاف حديث موسى، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم.

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو: أن قوله ﷺ: «لا تفضلوني على موسى»، وقوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء»، نهى عن التفضيل الخاص، أي لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، فإنه تفضيل عامٌ فلا يمنع منه، وهذا كما لو قيل: فلان أفضل أهل البلد، لا يَنْصَبُ على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل لأحدهم: فلان أفضل منك.

ثم إن رأيت الطحاوي قد أجاب بهذا الجواب في شرح معاني الآثار^(٢).

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) شرح معاني الآثار (٤/ ٣١٥-٣١٦).

وأما ما يروى أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوني على يونس بن متى»، وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلًا، فلما أعطوه فسرّه بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج! وعدّوا هذا تفسيرًا عظيمًا، وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظًا ومعنى؛ فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها^(١)، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»^(٢)، وفي رواية: «من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب»^(٣). وهذا اللفظ يدل على العموم، لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمدًا على يونس، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي فاعل ما يلام عليه.

وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، كما قال أول

(١) ليس له أصل، انظر مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤).

قال الشيخ الألباني في التحقيق: لا أعرف له أصلًا بهذا اللفظ.

(٢) رواه البخاري (٣٤١٦)، ومسلم (٢٣٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٤٦٠٤ و ٤٨٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم، قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وآخرهم وأفضلهم وسيدهم: محمد ﷺ، قال في الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح، من رواية علي بن أبي طالب وغيره، بعد قوله: «وجهت وجهي» إلى آخره: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(١)، إلى آخر الحديث.

وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، وأيضاً: يونس ﷺ لما قيل فيه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، فَنُهِيَ نَبِيْنَا عَنِ التَّشْبِهِ بِهِ، وَأَمْرُهُ بِالتَّشْبِهِ بِأُولِي الْعِزِّمِ حَيْثُ قِيلَ لَهُ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فَقَدْ يَقُولُ مَنْ يَقُولُ: «أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ»، وَلَيْسَ لِلْأَفْضَلِ أَنْ يَفْخَرَ عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَفْضَلَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ كُلُّ مَخْتَالٍ فَخُورٍ. وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢). فَاللَّهُ تَعَالَى نَهَى أَنْ يُفْخَرَ عَلَى عَمُومِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ عَلَى نَبِيِّ كَرِيمٍ؟ فَلهَذَا قَالَ: «لَا يَبْغِيَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس. وقوله: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب»، فإنه لو قُدِّرَ أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصاً، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي من قال هذا فهو

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين، ولهذا أتبعه بقوله: «ولا فخر». اهـ

قوله: (وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»).

رواه مسلم:

رواه مسلم برقم (١٩٧).

قوله: (إلى غير ذلك من الخصائص):

فمن ذلك أنه سيد الناس يوم القيامة لحديث أبي هريرة عند البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، وقد تقدم.

ومن خصائصه: أنه صاحب الوسيلة لما روى مسلم برقم (٣٨٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَاهُو، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

وكذا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يَرْجِحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ».

وَكَانَ قِتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيُّ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

رواه البخاري برقم (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

وكذا كونه أكثر الأنبياء تبعًا كما عند مسلم برقم (١٩٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا».

وأول من ينشق عنه القبر عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرْبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: «مَنْ؟»

قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: «ادْعُوهُ»، فَقَالَ: «أَضْرَبْتَهُ؟» قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَخْلِفُ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ قُلْتُ: أَيُّ حَبِيبٍ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخَذَتْنِي غَضَبُهُ ضَرَبْتُ، وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى؟».

رواه البخاري برقم (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤)، وغيرها من الخصائص التي اختص رسول الله ﷺ دون غيره.

قوله: (الفضائل):

وفي صحيح مسلم (٢٢٧٦) عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاضْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةِ، وَاضْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وفي مسلم أيضًا برقم (٢٢٧٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

وغير هذا كثير، وقد صنف أم عبد الله الوداعية بنت شيخنا مقبل رحمه الله كتابًا حافلًا بعنوان: الصحيح المسند من الشئائل المحمدية.

الشفاعة:

قوله: (قلت: له ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات):

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية (ص ١٣٧):

الشفاعة في اللغة: جعل الوتر شفعا، قال الله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾

[الفجر: ٣].

وفي الاصطلاح: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة فمثلا شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف أن يقضى بينهم هذه شفاعة بدفع مضرة، وشفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها بجلب منفعة. اهـ.

قوله: (أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، الشفاعة حتى تنتهي إليه):
 روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعَ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَذَنُّو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ

اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحُ مِنْهُ، وَكَلَّمْتُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ

الأنبياء، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَارْزُقْ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمْتِي يَا رَبَّ أُمْتِي يَا رَبَّ أُمْتِي يَا رَبَّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرَى».

وفي صحيح مسلم برقم (١٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُرْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَتُهُ أَيْبَكُمُ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، ااعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحِهِ فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ، فَيُؤَذِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ»، قَالَ: قُلْتُ يَا أَبَا أُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرَّجَالِ تَحْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيِّكُمُ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى

تَعَجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ».

وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

وفي كتاب الشفاعة لشيخنا مقبل رحمه الله تعالى رحمة واسعة، جملة من الأحاديث في شفاعة نبينا محمد ﷺ لأهل الموقف.

قوله: (والثانية أن يشفع في أهل الجنة):

لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِرَقْمٍ (١٩٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا».

وفي رواية له: «وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وفي رواية في الحديث أيضًا: «أنا أول شفيع في الجنة».

وعند مسلم برقم (١٩٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا بَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

وفي حديث أنس المذكور آنفًا في الشفاعة: «فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ: رَأْسَكَ سَلِّ تُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ».

رواه البخاري برقم (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

قوله: (وهاتان الشفاعتان خاصتان به):

بل وله شفاعات أخرى غير ما ذكره المؤلف، وهي:

الأولى: شفاعته ﷺ في ناس قد استحقوا دخول النار، لحديث أنس بن مالك

أن رسول الله ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

رواه أحمد (٢١٣/٣).

وجاء من حديث جابر وابن عمر وكعب بن عجرة وابن عباس وأبي الدرداء

وعلي، ذكرها شيخنا في كتابه الشفاعاة.

والحديث صحيح.

الثانية: شفاعته ﷺ لأناس يدخلون الجنة بغير حساب لحديث أبي هريرة أن

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: «يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَذْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ

الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ».

رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، وقد تقدم في حديث

طويل.

وَعَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ، أَوْ

قَالَ: بِقُدَيْدٍ، فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَّا يَسْتَأْذِنُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ، فَيَأْذَنُ لَهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَكُونُ شِقُّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ؟»

فَلَمْ نَرْ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَ هَذَا لَسَفِيهٌ، فَحَمِدَ اللَّهُ، وَقَالَ حَيْثُذِ: «أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ».

قَالَ: «وَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا أَنْتُمْ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِكُمْ، وَأَزْوَاجِكُمْ، وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ قَالَ ثُلُثَا اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَحِبُّ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

رواه أحمد في مسنده (١٦/٤) وهو صحيح.

الثالثة: شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ».

رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

وحديث العباس بن عبد المطلب قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحْطُوكَ وَيَعْضُبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

رواه البخاري برقم (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩).

وهو بهذه الشفاعة، وهذا التخفيف أهون أهل النار عذاباً كما في صحيح مسلم (٢١٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِتَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ».

وهذه الشفاعة خاصة أيضاً لأبي طالب، فتلخص من هذا أن الشفاعات الخاصة بنبيينا محمد ﷺ خمس، هذه ثلاث مع اثنتين ذكرهما المؤلف.

قوله: (الثالثة: يشفع فيمن يستحق النار، فيشفع في قوم فلا يصيرون إلى النار، وهذه الشفاعة له، ولسائر المؤمنين، والصادقين، والشهداء، وغيرهم من الملائكة): وأخرى أن تكون هذه الشفاعة هي التي يشارك النبي ﷺ فيها المؤمنون والصادقون والشهداء وغيرهم من الملائكة، وكذا النبيون وهي الشفاعة في إخراج الموحدين من النار، لما روى البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا» قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا»، ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلَيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُيَّرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّمَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَسْقَاطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ

يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَسْقَاطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَا يَجْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ، فَارْقَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْحَقِّ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؟ فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟

قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَرَّلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيقَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَتَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مُخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنَ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَمُحَرَّمُ اللَّهِ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ،

فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَأُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

«فَيُسْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ: الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

أما الشفاعة في قوم قد استحقوا النار فلا يدخلوها، فلا نعلم دليلاً على الخصوصية أن غير النبي ﷺ يشاركه فيها.

وكذا عند البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) عَنْ مَعْبُدِ بْنِ هَلَالٍ الْعَنْزَرِيِّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتِ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ، فَوَافَقَاهُ يُصَلِّي الصُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؟

فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْرَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُواكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَآكِنَ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنَ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنَ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: «أَنَا لَهَا، فَاسْتَأْذِنْ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مُحَامِدٌ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أُمِّي أُمِّي، فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أُمِّي أُمِّي، فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أُمِّي أُمِّي، فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ».

فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ: لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ، فَحَدَّثْنَاهُ بِهَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَاتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا

فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ تَرِ مِثْلَ مَا حَدَّثْنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ هِيَ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيَ فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلَا أَذْرِي أَنَسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا، مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ: «ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فَيَمْنُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لَا أُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وفي مسلم برقم (١٩١) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: «نَحْيٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ فَتَدْعَى الْأُمَمَ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَنْجَلِي لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ، حَتَّى يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِينُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرْشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ

حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَافُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا».

وأما ما ورد عند البخاري (٣٣٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرٌ وَغَبْرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَغْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خَزْيٍ أَحْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَيَذَاهُو بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

فهذه الشفاعة كانت غير مقبولة وسيأتي من كلام المصنف نفسه.

شروط الشفاعة:

قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]: وهذا الآية الكريمة الشرط الأول من شرط الشفاعة وهو رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

الشرط الثاني: إسلام المشفوع له، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، والظلم هنا الشرك والكفر إلا أبا طالب كما تقدم في شفاعة خاصة به في تخفيف العذاب عنه.

الشرط الثالث: إذن الله للشافع بالشفاعة، لقوله: ﴿ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

الشرط الرابع: قدرة الشافع على الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].
فهذه أربعة شروط للشفاعة الأول والثاني يتعلقان بالمشفوع له، والثالث والرابع يتعلقان بالشافع.

الشرط الخامس: في الشافع أن لا يكون لعائنًا لحديث أبي الدرداء عند مسلم (٢٥٩٨) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَانَتْهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ: لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وبقيت شفاعة في رفع درجات بعض من يدخل الجنة فوق ما كان فوق ما كان يستحقه لأدلة كحديث عند مسلم (٦٣٤ / ٢) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمُهْدِيِّينَ».

وَأَخْلَفُهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ».

وَحَدِيثُ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ، فَقَتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتَيْهِ رَمَاهُ جُشَمِيُّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا عَمَّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَبُو مُوسَى، فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَلِيَّ فَاْتَبَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ أَلَا تَسْتَحْيِي أَلَا تَتُبْتُ، فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ قَالَ: فَاَنْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَتَرَعْتُهُ فَتَرَا مِنْهُ الْمَاءُ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا، ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَيْرِ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ»، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنْ النَّاسِ» فَقُلْتُ: وَلِيَّ فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا».

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى.

رواه البخاري برقم (٤٣٢٣)، ومسلم (٤٢٩٨).

وهذه الشفاعة في الدنيا.

قوله: (ولا ينفع الكافرين شفاعة الشافعين، ويخلد قوم فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل):

لقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ٨]، وقال الله تعالى عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَيَذَاهُو بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

رواه البخاري برقم (٣٣٥٠) وغيرها من الأدلة.

قوله: (ويشفع فيمن دخلها أن يخرج، فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا، وحمًا، ويخرج الله من النار قومًا بغير شفاعة، بفضلته ورحمته الواسعة):

تقدم دليل ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وروى مسلم في صحيحه برقم (١٨٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ انظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ،

فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حُمْمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ
الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟».

ونحوه عند البخاري (٧٤٣٩).

وعند أحمد (٤٨/٣) بسند صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ
نَاسٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَنْبُتُونَ فِيهَا كَمَا يَنْبُتُ
الْغُثَاءُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ».

قوله: (ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا، فينشئ الله لها أقوامًا
فيدخلهم الجنة):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ
النَّارُ: أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ
النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ
عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا مَلُؤَهَا.

فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا لِكَ تَمْتَلِي، وَيُزَوَّى
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) - ٣٦.

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ قَدْ بَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

رواه البخاري برقم (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨) - ٣٨.

وأما ما جاء في البخاري برقم (٧٤٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «...وَأَنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقُونَ فِيهَا فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثَلَاثًا حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ».

قال الحافظ في الفتح (١٣/٥٣٩): قال أبو الحسن القاسبي: المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقًا، وأما النار فيضع فيها قدمه قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا. اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (ص ٤٣٠-٤٣١):

وأما اللفظ الذي في البخاري من حديث أبي هريرة أنه ينشأ للنار من يشاء فيلقي فيها فتقول: هل من مزيد؟ فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يردده، فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يملأ النار من إبليس وأتباعه، فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته، وكذب رسله كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهَا حَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿الملك: ٨-٩﴾، ولا يظلم الله أحداً من خلقه. اهـ.

وانظر التنبيهات السنية (ص ٢٤٢).

قوله: (وتكون الشفاعة بالإذن لمن أذن له الرحمن وقال صواباً):

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].
أي سدادًا وحقًا.

أقسام الناس في الشفاعة:

قوله: (وقد نص القرآن الكريم على ذلك في مواطن منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والشفعاء كلهم داخلون تحت هذا الإذن ولا يشفع أحد بغير إذنه تعالى):
وقد اختلف الناس في الشفاعة على ثلاث أقسام:

القسم الأول: المشركون والنصارى: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، كما في شرح الطحاوية (ص ٢٩٣-٢٩٤).
قال تعالى عن المشركين: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

القسم الثاني: الصوفية: غلوا في هذا الباب حتى جعلوا الأولياء لهم تصرفًا مطلقًا، ولذلك لما سئل التيجاني عن القول المنسوب لعبد القادر الجيلاني: وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن، ونحوه من أقوال القوم؟

فقال: وذلك أن الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضاً عاماً أن يفعلوا في مملكة كل ما يريدون... إلى آخر كلامه الباطل الذي لا ينفق على من شم رائحة علم أوله عقل.

راجع تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لأحمد محمد لوج (١/١٣٤).

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة: وهم الذين أنزلوا الأدلة مواضعها كما رأيت؛ وهذا في بيان معتقدهم.

المنكرون للشفاعة:

المنكرون للشفاعة في أهل الكبائر هم:

الأول: المعتزلة: قال القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة: لا خلاف بين الأمة في أن شفاعته النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ ثم قال: فعندنا أن الشفاعه للتائبين من المؤمنين.

ويقول في موضع آخر، فحصل لك بهذه الجملة العلم بأن الشفاعه ثابتة للمؤمنين دون الفسقة من أهل الصلاة.

انتهى من كتاب المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد بن عبد الله المعتق (ص ٢٣٦).

الثاني: الخوارج: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

أما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، ومنهم من أنكر الشفاعه مطلقاً.

انتهى من مجموع الرسائل والمسائل (١/١٥).

وتعتقد الإباضية (من الخوارج) أن الشفاعة حق للمتقين ولا تكون للعاصي، وقد رددت عليهم برسالة بعنوان: الطوفان على إباضية عُمان، وهي مطبوعة والله الحمد.

وقد نص أيضًا ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٩٤) على أن الخوارج والمعتزلة ينكرون الشفاعة في أهل الكبائر.

وكلام شيخ الإسلام: أمتن؛ فإن بعضهم ينكرها بالكلية، وبعضهم يتأولها، وهذا التأويل من بعضهم راجع إلى إنكارها.

والحامل للخوارج والمعتزلة على إنكار هذه الشفاعة هو أصلهم الفاسد أن صاحب الكبيرة مخلص في نار جهنم، وأنه كافر.

أما أهل السنة والجماعة: فيثبتون الشفاعة في أهل الكبائر من المسلمين عملاً بالأدلة وتنزيلاً لها في مواضعها.

الشافعون:

الذين يشفعون هم:

الأول: الأنبياء.

الثاني: المؤمنون.

الثالث: الملائكة.

الرابع: رب العالمين، وقد تقدمت الأدلة على ذلك.

الخامس: الأولاد يشفعون في آبائهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ لِي هَذِهِ؟، فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ».

رواه أحمد (٥٠٩/٢) وهو حسن.

وعند مسلم (٢٦٣٥) عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا قَالَ: قَالَ: «نَعَمْ صِغَارُهُمْ دَعَائِمُصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ، أَوْ قَالَ بِيَدِهِ كَمَا أَخَذَ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى، أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ».

السادس: القرآن:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِيهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ».

قَالَ مُعَاوِيَةُ - أَحَدُ الرَوَاةِ - بَلَغَنِي أَنَّ الْبُطْلَةَ السَّحَرَةُ.

رواه مسلم برقم (٨٠٤)، وهذا الحديث أصح ما ورد في أن القرآن يشفع.

أسباب الشفاعة:

الأول: التوحيد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَاهُ رَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

رواه البخاري برقم (٩٩).

وعند مسلم (١٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».

الثاني: قراءة القرآن، لحديث أبي أمامة السابق.

الثالث: سُكْنَى الْمَدِينَةِ، والصبر على لأوائها وشدتها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَنَّهُ مَوْلَاةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ: اقْعُدِي لِكَاعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه مسلم برقم (١٣٧٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأَوَائِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَافِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا».

رواه مسلم برقم (١٣٧٨).

ورواه مسلم برقم (١٣٧٤) عن أبي سعيد.

ورواه مسلم برقم (١٣٦٣) عن سعد بن أبي وقاص.

الرابع: الصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان وطلب الوسيلة له:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

رواه مسلم برقم (٣٨٤).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الدَّاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ، وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه البخاري (٦١٤).

الخامس: كثرة السجود:

عَنْ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ -رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: «أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟» قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاجَتِي قَالَ: «وَمَا حَاجَتُكَ؟» قَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: «وَمَنْ ذَلِكَ عَلَى هَذَا؟» قَالَ: رَبِّي قَالَ: «إِنَّمَا لَا، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

رواه أحمد (٥٠٠/٣) وسنده صحيح.

ولشيخنا مقبل رحمه الله كتاب في الشفاعة أحسن مرجع في بابه أودعت
ملخصه ههنا.

أما مسألة الاستشفاع بالنبي ﷺ، أو بغيره في الدنيا فهذا بحثه في فصل التوسل
الآتي إن شاء الله تعالى.

الصحابة

قوله: (فصلٌ. ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ):

والأصول: جمع أصل وعرفه الزبيدي لغة في تاج العروس بقوله: الأصل أسفل الشيء.

يقال قعد في أصل الجبل وأصل الحائط وقلع أصل الشجرة، ثم كثر حتى قيل أصل الشيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه كالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول قاله الفيومي.

قال الراغب: أصل كل شيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة ارتفع بارتفاعها سائر.

وقال غيره الأصول ما يبنى عليه غيره. اهـ.

وفي الاصطلاح يطلق على عدة أمور:

- ١- الدليل: كقولهم أصل هذه المسألة الكتاب والسنة أي دليله.
- ٢- الراجح: كقولهم الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز.
- ٣- القاعدة المستمرة: كقولهم إباحة الميتة للمضطر على خلاف الأصل.
- ٤- الصورة المقيس عليها: وهو ما يقابل الفرع في باب القياس.
- ٥- التعبد: كقولهم إيجاب الطهارة بخروج الخارج على خلاف الأصل يريدون أنه لا يهتدي إليه بالقياس.

٦- الغالب في الشرع: ولا يمكنه ذلك إلا باستقراء موارد الشرع.

٧- استمرار الحكم السابق: كقولهم الأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يوجد

المزيل له.

٨- المخرج: كقول الفرضيين أصل المسألة من كذا.

راجع البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/١٦-١٧)، والكواكب

المنير.

وقوله: (سلامة قلوبهم):

قال الرشيد في التنبهات السنية (ص ٢٩١):

أي من الغل والحقد والعداوة لأصحاب رسول الله ﷺ، وسلامة ألسنتهم

من الطعن فيهم، واللعن والوقعة فيهم كما يفعله الرافضة والخوارج اهـ.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٥٨٧):

ولم يقل: «وأفعالهم»؛ لأن أفعالهم الآن متعذرة بعد موت الصحابة، حتى لو

فرض أن أحدا نبش قبورهم، وأخرج جثثهم، فإن ذلك لا يؤذيهم ولا يضرهم،

لكن الذي يمكن أن يكون بعد موت الصحابة نحوهم وهو ما يكون في القلب، وما

ينطق به اللسان. اهـ.

ولم يذكر المصنف (وألسنتهم) لاسيما والعبارة عبارة شيخ الإسلام في الواسطية

فكان ينبغي أن لا يهملها.

ويمكن أن يدخل سلامة أفعالهم كالكتابة والتنويه عليه بسلامة القلب

واللسان؛ كما فعل شيخ الإسلام كافي.

والصحابا جمع صاحبي ومعناه في اللغة مأخوذ من الصحبة وهي الملازمة، قال ابن منظور في لسان العرب (٢٨٧/٧):

واستصحب الرجل دعاه إلى الصحبة، وكل ما لازم شيئاً فقد استصحبه. اهـ.
واصطلاحاً: قال البخاري في أول كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: من صحب النبي ورآه من المسلمين فهو من أصحابه.

قال الحافظ في الفتح (٣/٧):

وهذا الذي ذكره البخاري وهو الراجح إلا أنه يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه، أو يكتفي بمجرد حصول الرؤية محل نظر، وعَمَلُ من صنف في الصحابة يدل على الثاني. اهـ.

قلت: وتعريف الحافظ في نحة الفكر (ص ١٤٩ مع النزهة) أحسن تعريف للصحابي قال:

هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح. اهـ.

وبنحوه عرفه في الإصابة (١/١٥٨-١٥٩) وقال:

إنه أصح ما وقف عليه أي في تعريف الصحابي.

بم يُعرف الصحابي:

يعرف الصحابي بأمور:

الأول: التواتر المقطوع به لكثرة ناقله أن فلانًا صحابي كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

الثاني: تثبت الصحبة للشخص بطريق الاستفاضة، أو الشهرة أن فلانًا صحابيًّا.

الثالث: أن يروي عن أحد من الصحابة أن فلانًا له صحبة، أولقي النبي ﷺ ونحوه إذا ثبت السند.

الرابع: أن يثبت عن بعض التابعين أن فلانًا صحابي.

الخامس: أن يخبر الشخص عن نفسه أنه صحابي بعد تحقق عدالته ومعاصرته. انظر مقدمة الإصابة (ص ١٥).

قال الحافظ في الإصابة (١/ ١٦١-١٦٢):

ضابط يستفاد منه معرفة صحبة جمع كثير يكتفي فيهم بوصف يتضمن أنهم صحابة، وهو مأخوذ من ثلاثة آثار:

الأول: أنهم كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة، فمن تتبع الأخبار الواردة في الردة، والوفود وجد من ذلك شيئًا كثيرًا وهم من القسم الأول.

الثاني: كان لا يولد له لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ، فدعا له.

هذا يؤخذ منه شيء كثير أيضًا وهم من القسم الثاني.

الثالث: لم يبق بمكة والطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة الوداع.

هذا وهم في نفس الأمر عدد لا يحصون، لكن يعرف الواحد منهم بوجود ما يقتضي أنه كان في ذلك الوقت موجودًا، فيلحق بالقسم الأول أو الثاني لحصول رؤيتهم بالنبي ﷺ، وإن لم يرههم هو، والله أعلم.

اه بتصرف.

وفي صحة بعض هذا من حيث الإسناد نظر، لكن هذا لا يبعد من حيث الواقع والنظر، والله أعلم.

قلت: الأقسام التي يشير إلى كلام الحافظ هو ما ذكره (ج ١/ ص ١٥٥-١٥٦) أنه رتب كتابه الإصابة في تمييز الصحابة على أربعة أقسام، وهي:

الأول: فيمن ورد صحبته بطريق الرواية عنه، أو عن غيره، أو وقع ذكره بها يدل على صحبته بأي طريق كان.

الثاني: من ذكر من الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد ﷺ لبعض الصحابة من النساء والرجال.

الثالث: فيمن ذكر في الكتب المذكورة من المخضرمين.

الرابع: فيمن ذكر على سبيل الوهم والغلط. اه مختصرًا.

قوله: (كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]):

قال ابن كثير رحمه الله عند الآية:

وهؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الغني، وهم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم التابعون بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لأثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، أي بغضا وحسداً اهـ.

قوله: (وطاعته قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه»):

رواه مسلم (٢٥٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) وأبي سعيد رضي الله عنه بدون قوله: «والذي نفسي بيده» في حديث أبي سعيد.

وقال أبو مسعود الدمشقي في حديث أبي هريرة: إنه وهم، وصوب حديث أبي سعيد، وكذا الدارقطني كما في شرح النووي على مسلم (٣٠٩/١٦).

والسب: الشتم كما في لسان العرب (١٣٣١/٦).

قال النووي (٣٠٩/١٦):

واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواءً من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون.

كما أوضحناه في أول فضائل الصحابة من هذا الشرح.

قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي والكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية يقتل.

وقال: قال أهل اللغة: النصف النصف، وفيه أربع لغات نصف بكسر النون، ونصف بفتحها، ونصيف بزيادة الياء حكاية القاضي عياض في المشارق عن الخطابي.

ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه. اهـ.

والمد قال ابن الأثير في النهاية (٣٠٨/٤):

المد في الأصل: ربع الصاع؛ وإنما قدروه به لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة.

ويروى بفتح الميم، وهو الغاية.

وقد تكرر ذكر المَدِّ بالضم في الحديث، وهو رطل وثلاث بالعراقي عند الشافعي وأهل الحجاز، وهو رطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق.

وقيل: إن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملاً كفيه طعاماً. اهـ.

قوله: (ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم):

أما ما جاء به القرآن الكريم فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿الأنفال: ٧٢-٧٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

وقال الله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَكْفِيَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وأما السنة: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذْكَرُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ قُرَيْنٍ، أَوْ ثَلَاثَةً؟

رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

وراه البخاري برقم (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣-٢١٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

رواه مسلم (٢٥٣٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ».

رواه مسلم (٢٥٣٤).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

رواه مسلم برقم (٢٥٣١).

عدالة الصحابة بالإجماع:

وأما الإجماع فقد قال الخطيب البغدادي في الكفاية (ص ٤٨):
والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله لهم المطلق على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم، إلا أن ثبت على أحدهم إرتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل فيحكم بسقوط عدالته.

وقد برأهم الله تعالى من ذلك، ورفع أقدارهم عنده على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه ولا وجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، والقطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين المزكين الذين يحيئون من بعدهم أبد الأبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء. اهـ.

قال ابن الصلاح في مقدمته (ص ٢٨٦-٢٨٧) مع التقييد والإيضاح:

للسحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع في الأمة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قيل اتفق المفسرون على أنه وارد في أصحاب رسول الله ﷺ، ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع. اهـ.

وكتب أهل السنة مليئة بالترضي عن الصحابة والثناء عليهم، وتبيين فضائلهم بما لو سردنا أقوال كثير منهم لطال المقام جدًا.

مراتب الصحابة:

قوله: (مراتبهم):

الصحابة رضي الله عنهم اثنا عشر طبقة:

الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة مثل أبي بكر وعثمان وعلي.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة، وفيها حين أسلم عمر بايع جماعة على

الإسلام.

الطبقة الثالثة: المهاجرون إلى الحبشة.

الطبقة الرابعة: الذين بايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة، (وهي بيعة العقبة الأولى).

الطبقة الخامسة: أصحاب بيعة العقبة الثانية، وأكثرهم من الأنصار.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء قبل أن يدخل المدينة ويبنى المسجد.

الطبقة السابعة: أهل بدر رضي الله عنهم.

الطبقة الثامنة: المهاجرون الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

الطبقة العاشرة: المهاجرون بين الحديبية والفتح.

الطبقة الحادية عشرة: الذين أسلموا يوم الفتح.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا الرسول ﷺ يوم الفتح، وفي حجة الوداع وغيرها وعددهم من الصحابة.

راجع معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم (ص ٢٣-٢٤).

قوله: (ويفضلون من أنفق قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - على من أنفق بعد وقاتل):

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وإنما فضل من أنفق من قبل الفتح وقاتل؛ لأن حاجة الناس قبل الفتح كانت أشد، والإسلام أضعف، أما بعد الفتح فقد ظهر الإسلام وعلا، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

الفتح هو صلح الحديبية:

وأكثر المفسرين إن المراد بالفتح فتح مكة، وقال الشعبي والزهري: هو صلح الحديبية. انظر تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩).

وفي صحيح البخاري (٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥) عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَالَ رَجُلٌ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ يَغْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَخْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخُطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، فَزَجَعَ مُتَغَيِّظًا، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الْخُطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَتَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٨٢)، ومسلم (٣١٨٢): فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها قال عمر: يا رسول الله أفتح هذا؟ قال: «نعم».

وفي صحيح مسلم برقم (١٧٨٦) عن أنس قال لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١-٥]. مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحروا الهدى بالحديبية فقال: «لقد نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعًا».

وهو في صحيح البخاري برقم (٤٨٣٤) عن أنس رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. قال الحديبية.

وعند أحمد (٣/ ٢٦٦) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلَامٌ، فَقَالَ خَالِدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّامٍ سَبَقْتُمُونَا بِهَا، فَبَلَّغْنَا أَنَّ ذَلِكَ دُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ، أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ ذَهَبًا مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ».

وهو صحيح.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/ ٣١٠):

وحقيقة الأمر أن الفتح في اللغة فتح المغلق، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودًا مغلقًا حتى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه صد رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، وكان في الصورة الظاهرة ضيماً وهضماً للمسلمين، وفي

الباطن عزًا وفتحًا ونصرًا، وكان رسول الله ﷺ ينظر إلى ما وراءه من الفتح العظيم والعز والنصر، من وراء ستر رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم وهو ﷺ يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سببًا ما مثله سبب

فكان يدخل على تلك الشروط دخول واثق بنصر الله له وتأيدته، وأن العاقبة له، وأن تلك الشروط واحتمالها هو عين النصرة، وهو من أكبر الجند الذي أقامه المشترطون، ونصبوه لحربهم وهم لا يشعرون، فذلوا من حيث طلبوا العز، وقهروا من حيث أظهروا القدرة والفخر والغلبة، وعز رسول الله ﷺ، وعساكر الإسلام من حيث انكسروا لله، واحتملوا الضيم له، وفيه.

فدار الدور، وانعكس الأمر، وانقلب العز بالباطل ذلاً بحق، وانقلبت الكسرة لله عزًا بالله، وظهرت حكمة الله، وآياته، وتصديق وعده، ونصرة رسوله على أتم الوجوه وأكملها التي لا اقتراح للعقول وراءها. اهـ

قلت: فالصحيح أن الفتح كان هو صلح الحديبية للأدلة السابقة، وإن كان فتح مكة هذا الفتح الأعظم والنصر المؤزر.

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْنَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالْحُدَيْبِيَةُ بَيْتٌ فَتَرَحُّنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا فِطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَاهَا

فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا، ثُمَّ صَبَّ فِيهَا
فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّا أَصْدَرْتَنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا.

رواه البخاري برقم (٤١٥٠).

وهذا مذهب شيخ الإسلام كما هي عبارته.

قوله: (ويقدمون المهاجرين على الأنصار):

وقوله يقدمون: أي يفضل أهل السنة والجماعة المهاجرين على الأنصار؛ إذ الكتاب
كله في عقيدتهم.

والمهاجرون: هم الذين هاجروا إلى المدينة على عهد رسول الله ﷺ، ونصروه
وأووه وأصحابه.

وتفضيل المهاجرين؛ لأنهم جمعوا بين الهجرة والنصرة، ولذا فقد قدمهم ربنا
سبحانه وفضلهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُنَافِقُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فبدأ الله بذكر المهاجرين، ثم قال في وصف الأنصار: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾: أي سكنوا المدينة (دار الهجرة) من قبل المهاجرين.

قوله: ﴿وَالْإِيمَانَ﴾: وآمنوا قبل كثير منهم.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٦٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ - يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَعْنَتُهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدْيِقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رِسَالِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ.

فَحَمِدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَمَاتُ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُيَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ، فَأَسْكَتْهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ:

نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعُ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ؛ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُيَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ: عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ.

وأفضل الصحابة هم العشرة المبشرون بالجنة وكلهم من المهاجرين.

قوله: (ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضع عشر):

لما في صحيح البخاري برقم (٣٩٥٩) عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشْرٍ بَعْدَهُ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَمَا جَاوَزَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ.

وعند البخاري برقم (٣٩٥٧) عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ بِضْعَةَ عَشْرٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ.

قَالَ الْبَرَاءُ: لَا وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهْرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَبِيًّا عَلَى سِتِّينَ، وَالْأَنْصَارُ نَبِيًّا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

رواه البخاري برقم (٣٩٥٦).

قوله: (اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم):

صحيح، رواه ابن أبي شيبة (١٥٥/١٢)، وأحمد (٢٩٥-٢٩٦)، وأبو داود برقم (٤٦٥٤)، والحاكم (٧٨-٧٧/٤) من طريق يزيد بن هارون وهو شيخ أحمد حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». وهو حسن من أجل عاصم حسن الحديث.

ورواه البخاري برقم (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

قال الحافظ في الفتح (٣٨١-٣٨٢) في شرح الحديث حيث أعاده البخاري

برقم (٣٩٨٣):

لعل الله أطلع، لكن قال العلماء: إن للترجي في كلام الله، وكلام رسوله للوقوع، وعند أحمد وابن أبي داود وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة بالجزم ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وعند

أحمد بإسناد على شرط مسلم^(١) من حديث جابر مرفوعاً: «لن يدخل النار أحد شهد بدرًا».

وقد استشكل قوله: «اعملوا ما شئتم» فإن ظاهره أنه للإباحة، وهو خلاف عقد الشرع، وأجيب بأنه إخبار عن الماضي إن كل عمل كان لكم فهو مغفور يؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل يقع بلفظ الماضي لقال: فسأغفره لكم، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب؛ لأنه عليه السلام لأنه عليه السلام خاطب به عمر منكرًا عليه.

قال الحافظ: وقيل في قوله: اعملوا للتشريف والتكريم، والمراد عدم المؤاخذه بما يصدر منهم بعد ذلك... إلخ كلامه.

قوله: (وبأنه: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»)، كما أخبر به النبي عليه السلام ورضي الله عنهم ورضوا عنه:

الحديث رواه مسلم (٢٤٩٦) عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ عليه السلام يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ١٧]، فَقَالَ النَّبِيُّ عليه السلام قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢].

قوله: (ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله عليه السلام كالعشرة المبشرة):

الشهادة هنا بمعنى الإقرار كما تقدم معاني شهد، بدليل أنه قال فيها يأتي (يقرون).

والعشرة المبشرون بالجنة هم:

١- أبو بكر الصديق.

٢- عمر بن الخطاب.

٣- عثمان بن عفان.

٤- علي بن أبي طالب.

٥- طلحة بن عبيد الله.

٦- الزبير بن العوام.

٧- عبد الرحمن بن عوف.

٨- سعد بن أبي وقاص.

٩- أبو عبيدة بن الجراح.

١٠- سعيد بن زيد، رضي الله عنهم.

لحديث رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، فَحَبَّاهُ الْمُغِيرَةُ، وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: يَا مُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَا مُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ -ثَلَاثًا- أَلَا أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُعَيِّرُ، فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا سَمِعْتَ أَذُنَايَ وَوَعَاهُ

قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَزُوي عَنْهُ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ»، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ.

قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَادُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ مَنْ التَّاسِعُ؟ قَالَ نَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَاشِرُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا قَالَ: وَاللَّهِ لَمْ شَهِدْ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمَرُ عُمَرُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

رواه أحمد (١٨٧/١)، وأبو داود برقم (٤٦٥٠) وغيرهم من طريق رباح بن الحارث عن سعيد بن زيد، ويارح بن الحارث وروى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه العجلي كما في تهذيب التهذيب على أنه لم يتفرد به فقد تابعه عبد الرحمن بن الأحنس عند أحمد (١٨٨/١) وغيره^(١) وعبد الرحمن بن الأحنس روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات فهو مجهول الحال.

وجاء من حديث عبد الرحمن بن عوف رواه أحمد (١٩٣/١)، والترمذي برقم (٣٧٤٧)، وأبو يعلى برقم (٨٣٥) من طريق عبد العزيز الدراوردي عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه فذكره أن العاشر أبو عبيدة بن الجراح.

وقال الترمذي: وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا وهذا أصح.

قلت: وهو حسن، ورجح الدارقطني في العلل (٤١٦/٤-٤١٨) حديث عبد الرحمن بن عوف وسلامته من العلة.

والحديث بالطريقين صحيح بلا مرية ولعل هذا الحديث -والله أعلم- حجة من قدم علي بن أبي طالب على عثمان بن عفان كما سيأتي أنها مسألة خلافية بين أهل السنة أنفسهم، والراجح تفضيل عثمان رضي الله عنه والواو لا تفيد ترتيبيًا.

وقد جُمع هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة في بيتين:

للمصطفى خير صحب نص
في جنة الخلد نصًا زادهم شرفا
هم طلحة وابن عوف
أبي عبيدة والسعدين والخلفاء

أما الخلفاء الأربعة فحديث أبي موسى عند البخاري برقم (٣٦٧٤) ومسلم (٢٤٠٣) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: لَا أَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ وَجْهَ هَاهُنَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قَفْهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا أَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ

يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «اِئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقَفِّ وَكَانَ رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ -يُرِيدُ أَخَاهُ- خَيْرًا يَأْتِ بِهِ فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «اِئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: أِذَنْ وَبُشْرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَكَانَ رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَغْنِي أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ: وَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «اِئْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلَوَى نُصَيْبِهِ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ ادْخُلْ وَبُشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلَوَى نُصَيْبِكَ، قَالَ: فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقَفَّ قَدْ مَلِئَ فَجَلَسَ وَجَاهَهُمْ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ.

وعلي بعدهم بإجماع أهل عصره، وفضائله كثيرة.

والسعدان هما سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد.

وهؤلاء العشرة ذكروا في حديث واحد ولذا فقد جاء غير العشرة، منهم من

شهد له رسول الله ﷺ بِالْجَنَّةِ.

قوله: (وكثابت بن قيس):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الحجرات: ٢] جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

رواه البخاري برقم (٣٦١٣)، ورواه مسلم (١١٩) وهذا لفظه.

قوله: (وغيرهم من الصحابة):

كبلال رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بَلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ؟» قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ، أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ.

رواه البخاري برقم (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

وعبد الله بن سلام بن الحارث من بني قينقاع:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ الْآيَةُ [الأحقاف: ١٠].

رواه البخاري برقم (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

وعكاشة بن محصن الأسدي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّنِي زُمْرَةً هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا نَضِيءٌ وَجُوهُهُمْ إِضَاءَةُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ الْأَسَدِيِّ يَرْفَعُ نَمْرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

رواه البخاري برقم (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

وغير العشرة عدد لا بأس به ولست -ولا المصنف - بصدد حصرهم جميعاً، وأحاديثهم المذكورة في مواضعها.

أهل بيت النبوة:

تقدم التعريف بآل النبي ﷺ وهم أهل البيت.

وقوله: (وأهل البيت):

إن أراد أننا نشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ من الصحابة بالجنة ومن شهد له من أهل البيت فهذا صحيح.

فمن أهل بيت رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وقد تقدم أنه من أهل الجنة.

ومنهم فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة ثماني كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِي؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَضَحِكْتُ، فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ؟ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْثِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ إِنْ جَزِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنُ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي، فَبَكَيتُ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ»، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ.

رواه البخاري برقم (٣٦٢٤).

وفي صحيح البخاري برقم (٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث فاطمة رضي الله عنها، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ فعن البراء قَالَ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لَهُ مُرَضِعًا فِي الْجَنَّةِ».

رواه البخاري برقم (٦١٩٥).

والحسن والحسين فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

رواه أحمد (٣/٣) وهو حسن.

وإن أراد (المصنف) أننا نشهد لأهل البيت بالجنة أما في الجملة فكذلك نشهد لكل مؤمن موحد مات على ذلك، وإن أراد بأعيانهم فلم يرد دليل يدل على كل شخص من أهل البيت بعينه في الجنة.

لا شك أن المصنف أراد أننا نشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ من الصحابة أو من أهل البيت الذين هم صحابة، فهو عطف للخاص على العام والله أعلم.

ولأهل بيت النبوة فصل مستقل كان أجدر أن يؤخر هذا هناك.

قوله: (ويقرون بما تواتر به النقل):

قال القاسمي في قواعد التحديث (ص ١٤٦):

اعلم أن المتواتر ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة بأن يكونوا جميعاً لا يمكن تواطئهم على الكذب عن مثلهم من أوله إلى آخره، ولذا كان مقيداً للعلم

بالضروي وهو الذي يضطر إليه الإنسان بحيث لا يمكنه دفعه، ويجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح. اهـ.
وشروطه:

١- عدد كثير.

٢- أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب.

٣- رويوا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

٤- وكان مستند انتهائهم إلى الحس.

٥- وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفاد العلم لسامعه.

راجع النزهة (ص ٥٦).

وهو قسبان: لفظي وهو ما تواتر لفظه كحديث: «من كذب على متعمداً».

رواه نحو مائتين صحابياً^(١).

ومعنوي مثل حديث رفع اليدين في الدعاء.

راجع قواعد التحديث (ص ١٤٦).

(١) رواه البخاري برقم (١٠٦)، ومسلم في المقدمة برقم (١) عن علي رضي الله عنه.

ورواه البخاري برقم (١٠٨)، ومسلم في المقدمة برقم (٢) عن أنس رضي الله عنه.

ورواه البخاري برقم (١١٠)، ومسلم في المقدمة برقم (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري برقم (١٢٩)، ومسلم في المقدمة برقم (٤) عن المغيرة رضي الله عنه.

والحديث ذكره الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر (ص ٢٠-٢١) عن خمسة وسبعين

صحابياً.

ونقل النووي أنه جاء عن مائتين من الصحابة، كما في الفتح (١/٢٠٣).

ومبحث المتواتر ليس من مباحث الإسناد إنما هو من مباحث المتن كما في
الياقوت والدرر (١/٢٥٩).

وأول من قسم الحديث إلى متواتر وآحاد هم المعتزلة.

قال شيخنا مقبل رحمه الله في المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح (ص ١٧٤):

أما تقسيم الحديث إلى آحاد ومتواتر فهو تقسيم مبتدع، وأول من ابتدع هذا هو
عبد الرحمن بن كيسان الأصم - الذي قال فيه بعضهم: هو عن الحق أصم -، وتبعه
على ذلك تلميذه إبراهيم بن إسماعيل الشهير بابن علي... إلخ.

فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

قوله: (عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، من أن خير هذه
الامة وأفضلها بعد نبيها صاحبه الأخص، وأخوه في الإسلام، ورفيقه في الهجرة،
والغار، ووزيره في حياته، وخليفته بعد وفاته أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن
أبي قحافة الصديق رضي الله عنه):

روى البخاري في صحيحه برقم (٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَفِيفَةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي

أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ قُلْتُ: ثُمَّ

أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وعند البخاري أيضًا برقم (٣٦٥٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نُخَيَّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجَبْنَا لِمُكَاثِهِ أَنْ يُخَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ، وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».

رواه البخاري برقم (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

وروى البخاري برقم (٤٦٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسُهُ بِخَرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ».

وكذا عند مسلم (٢٣٨٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عَمْرُ بْنُ الْخُطَّابِ»، فَعَدَّ رِجَالًا.

وعند البخاري برقم (٣٦٦٠) عَنْ عَمَّارٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةٌ أَعْبُدُ وَأَمْرَاتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ.

قوله: (ورفيقه في الهجرة والغار):

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤١].

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنَنْتُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».

وعند البخاري برقم (٣٩٠٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا بِيَدَيْنِ الدِّينِ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ

الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ،
ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِلَدِّكَ، فَارْجِعْ وَارْتَحِلْ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً
فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرُجُ أَتْخَرِجُونَ رَجُلًا
يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكُلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ
الْحَقِّ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ
رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيَصِلْ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ، فَإِنَّا
نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ.

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ
دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ،
فَيَنْقَدِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو
بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْرَعَ ذَلِكَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجْرَنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ
عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ
وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَاثْنُ فَإِنَّ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَصِرَ عَلَى
أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَّ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلُّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ دِمَّتَكَ، فَإِنَّا
قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقَرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ إِلَّا سَتَعْلَانِ.

قَالَتْ عَاتِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ
عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ دِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ
الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفِزْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أُرَدُّ إِلَيْكَ جَوَارَكَ،

وَأَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمِيذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أَرَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ»، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةٌ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَيِّ أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاِحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ، وَرَقَّ السَّمِيرُ وَهُوَ الْخَبْطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَيِّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَيِّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَيِّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالشَّيْءِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ الْجِهَارِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ. قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ

عِنْدَهُمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرٍ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ.

وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مَنَحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَسْتَانِ فِي رِسْلِ وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتَهُمَا وَرَضِيْفُهُمَا حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيِّ هَادِيَا خَرِيْتًا، وَالْخَرِيْتُ الْمَاهِرُ بِالْهُدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِرِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاِحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاِحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالِدَيْلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاكِحِ.

قَالَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشَمٍ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ، أَوْ أَسْرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُذَلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُحْيِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْجِهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي، فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي،

فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضْرَهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ،
 فَركِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا
 الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ رَجَرْتُهَا فَهَضَمْتُ فَلَمْ تَكُذْ تُخْرِجْ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً
 إِذَا لِأَثَرٍ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ
 الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَركِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي
 حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحُبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ
 قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ
 الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَأْنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا»، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي
 كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُفْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
 قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي
 رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا
 بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ.

وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ
 غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا
 انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْقَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِهِمْ لِأَمْرِ يَنْظُرُ
 إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ
 الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَتَارَ
 الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ

حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحْيِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مَرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرٍ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ».

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هَبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي بُيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبَنُ: «هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرَ، هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ».

وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ، فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ»، فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي.

وعند البخاري برقم (٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩-٧٥) في كتاب الزهد عن البراء قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازبٍ رجلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازبٍ: مَرُّ البراءِ فليحمل إليَّ رجلي، فقال عازبٌ: لا حتى نحدثنا كيف صنعتَ أنتَ ورسولُ الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟

قَالَ: اَزْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا، حَتَّى أَظْهَرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ
الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصْرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَأَوِي إِلَيْهِ فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ
ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ،
فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا
بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ
أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَاءُ، فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟
قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ، فَأَعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ
أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْقُضَ صَرْعَهَا مِنَ الْعُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْقُضَ كَفِّيهِ، فَقَالَ: هَكَذَا صَرَبَ
إِخْدَى كَفِّيهِ بِالْأُخْرَى فَحَلَبَ لِي كُتْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً
عَلَى فَمِهَا خَرْقَةٌ، فَصَبَّيْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقِظَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرَبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ
أَنَّ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلَى»، فَارْتَحَلْنَا، وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ
مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا».

وقوله: (ووزيره في حياته):

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (٦٨٧) وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤١٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ:
بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ.

قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنْوُءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَفَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنْوُءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» فَفَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنْوُءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا - : يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ قَالَ: «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ»، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتُمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ.

قَالَ: عُبَيْدُ اللَّهِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتَ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٧٩) ومسلم (٤١٨) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْ إِنَّكَ لَأَتْنَنَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأَصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا.

وروى البخاري برقم (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَفِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَعَادَتْ، فَقَالَ: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكَ لَصَوَاحِبُ يُوسُفَ»، فَأَنَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩) من طريق الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ تَبَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَخَدَمَهُ وَصَحْبَهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّيَ لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةٌ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبِهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَمُوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ.

وعند البخاري برقم (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَمِصُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ انْتَفَتَ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ امْكُثْ مَكَانَكَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رِضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُتَبِّتَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ، مَنْ رَأَاهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ انْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ».

وقوله: (وخليفته بعد وفاته):

روى البخاري برقم (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ - كَأَنَّمَا تَقُولُ الْمَوْتُ - قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَيُّ أَبَا بَكْرٍ».

وعند مسلم (٢٣٨٥) عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ، وَسُئِلْتُ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢١٧) عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَارَأَسَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ لَوْ كَانَ، وَأَنَا حَيٌّ فَاسْتَغْفِرُ لَكَ وَأَدْعُو لَكَ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاتُكَلِّمَاهُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظْنُكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَطَلَّلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرَّسًا بِنَعِصِ أَرْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأَسَاهُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَى اللَّهِ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ».

وروى مسلم برقم (٢٣٨٧) ما يتعلق بأبي بكر رضي الله عنه فقط.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّي النَّبِيِّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَذْبُرَنَا - يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ - فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَانِي اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعَدِ الْمِنْبَرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٢٢١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَوْ فِدَا بَرَاخَةَ: تَتَّبِعُونَ أَذْنَابَ الْإِبِلِ حَتَّى يُرِيَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ أَمْرًا يَغْذِرُونَكُمْ بِهِ.

وهذا هو ما أجمعت عليه الأمة أعني خلافته وفضله.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/٦٩٨-٦٩٩):

اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها تثبت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي.

وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها تثبت بالاختيار والدليل على إثباتها بالنص أخبار... ثم ذكر الأدلة وقد قدمت ذكرها.

وأما حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قِيلَ لِعُمَرَ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَحْمَلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا.

رواه البخاري برقم (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

وقول عائشة وسئلت من كان رسول الله ﷺ مُسْتَخْلَفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.

رواه مسلم (٢٣٨٥).

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية (٢/٧٠٥):

الظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بهذا مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه، بل قد أراد كتابته، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» وخلافته رضي الله عنه كانت بالإجماع. اهـ

قوله: (أبو بكر عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه):

اسمه عبد الله، ويقال عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمر وبن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوئي القرشي التميمي رضي الله عنه. وروى عن النبي ﷺ.

وروى عنه خلق من الصحابة، وقدماء التابعين من آخرهم أنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وقيس بن أبي حازم، ومرة بن الطيب. انتهى من سير أعلام النبلاء (٤١٧/٢) الطبعة الجديدة المحتوية على الجزء المفقود.

قال المزي في تهذيب الكمال (٢٨٣/١٥):

أمه أم الخير، وأسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بنت تيم بن مرة أسلم أبواه. اهـ.

قال العامري في الرياض المستطابة (ص ١٤٠):

بينه وبين مرة ستة أباء كالنبي ﷺ موافقه في النسب كالعمر، وأمهم أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه أسلمت، ولم يتفق لأحد من الصحابة له من إسلام أبويه، وبنيه وبني بنيه.

كان اسمه عبد الله، وكنيته أبو بكر، ولقبه عتيق الصديق.

وهو أول من لُقّب في الإسلام، وغلب عليه وعلى أبيه الكنية دون الاسم.
وجملة من في الصحابة من اسمه عبد الله مائتان وعشرون رجلاً ليس فيهم عبد
الله بن عثمان عنده. اهـ.

قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢/١):

أبو بكر الصديق تعالى عنه أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ مؤنس في
الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم عبد الله بن أبي قحافة
عثمان القرشي التيمي قد أفردت سيرته في مجلد وسط. اهـ.

وهذا ما يجب على كل مسلم اعتقاده في أبي بكر رضي الله عنه أنه خليفة رسول
الله ﷺ، وأفضل الخلق بعد الأنبياء وصهر الرسول ﷺ.

وفضائله كثيرة قد أفردا غير واحد من العلماء بالتصنيف، ولو زبرتها لطال
المقام، وليس هذا مقصودنا والحمد لله.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحْدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
وَعُثْمَانُ، فَجَفَّ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أَحَدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

رواه البخاري (٣٦٧٥).

وهو عند مسلم (٢٤١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ
وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «أَهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ».

ومعنى الصديق تقدم.

قوله: (ثم من أعز به الإسلام وأظهر الدين عمر بن الخطاب الفاروق):

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين.

أمه حنتمة بنت هاشم ذي الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقيل حنتمة بنت هشام، وهو أشهر والأول أصح. اهـ. من تهذيب الكمال (٣١٧/١٢).
وروى عن النبي ﷺ.

روى عنه علي، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة، وعدة من الصحابة.
كنيته أبو حفص، ولقبه الفاروق، واستشهد في آخر ذي الحجة وهو يصلي بالناس صلاة الفجر سنة (٢٣).

وفي صحيح البخاري (٣٨٦٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوٍ بَكْرَةً عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَتَزَعَّ ذُنُوبًا، أَوْ ذُنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَثَ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ وَضَرَبُوا بَعْطَنَ».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ عَالِيَةَ أَصْوَاتِهِنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَمَنْ يَتَذَرْنَ الْحِجَابَ، فَأْذَنَ لَهُ رَسُولُ

الله ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ».

قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عُدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟

قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفْظُ وَأَعْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَبَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَبَجًّا غَيْرَ فَبَجِّكَ».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٨٧) عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حِينَ قُبِضَ كَانَ أَجَدَّ وَأَجْوَدَ حَتَّى انْتَهَى مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٣٩٨) عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ».

وعند الحاكم المستدرک (٨٣/٣) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٩٢) عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجِزُّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْتَن كَانَ ذَاكَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ

أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنَتْ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقَتْهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبَتْ صُحْبَتَهُمْ
فَأَحْسَنَتْ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتَفَارِقْتَهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ.

قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِضَاهُ؛ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنْ مِنْ اللَّهِ
تَعَالَى مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ؛ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنْ مِنْ اللَّهِ
جَلَّ ذِكْرُهُ مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي؛ فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجَلِ أَصْحَابِكَ،
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ.

وقد استخلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ففي صحيح البخاري برقم
(٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ:
أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْتُ فَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرَكَ
فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ
أَنْي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَحْمَلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا.

قال النووي في شرح هذا الحديث (١٢/ ٤١٠-٤١١):

حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت، وقبل
ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه؛ فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ من
هذا، وإلا فقد اقتدى بأبي بكر.

وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد
لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة.

وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالسته.

وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة، ووجوبه بالشرع، لا بالعقل، وأما ما حكى عن الأصم أنه قال: لا يجب، وعن غيره أنه يجب بالعقل لا بالشرع، فباطلان.

أما الأصم فمحجوج بإجماع من قبله ولا حجة له في بقاء الصحابة بلا خليفة في مدة التشاور يوم السقيفة، وأيام الشورى بعد وفاة عمر رضي الله عنه؛ لأنهم لم يكونوا تاركين لنصب الخليفة بل كانوا ساعين في النظر في أمر من يعقد له. وأما القائل الآخر ففساد قوله ظاهر لأن العقل لا يوجب شيئاً، ولا يحسنه ولا يقبحه، وإنما يقع ذلك بحسب العادة لا بذاته.

ورى ابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٨٧٩) عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت.

قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامداً إلى المسجد فنأدى أندية قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبا، فقال عمر كذب، ولكني أسلمت وآمنت بالله وصدقت رسوله، فتأوروه، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم حتى فتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه فقال عمر: افعلوا ما بدا لكم فوالله لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركتموها لنا، أو تركناها لكم، فبيناهم كذلك قيام عليه إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص قومسي فقال: ما بالكم؟

فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبا! قال: فمه امرؤ اختار ديناً لنفسه أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم؟

قال: فكأنها كانوا ثوباً انكشف عنه، فقلت له بعد بالمدينة: يا أبت من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ؟ فقال: يا بني ذاك العاص بن وائل.

وهو حسن.

وذكره البخاري برقم (٣٨٦٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ دَارِهِ وَقَالُوا صَبَا عُمَرُ، وَأَنَا غُلَامٌ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ: قَدْ صَبَا عُمَرُ، فَمَا ذَاكَ؟ فَأَنَا لَهُ جَارٌ. قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ تَصَدَّعُوا عَنْهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ.

وقد تقدم في فضائل أبي بكر، بعض فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قصة مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه برقم (٥٦٧) عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكًا تَقْرَنِي ثَلَاثَ نَقَرَاتٍ، وَإِنِّي لَا أُرَاهُ إِلَّا حُضُورَ أَجَلِي، وَإِنَّ أَقْوَامًا يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيُصَيِّعَ دِينَهُ وَلَا خِلَافَتَهُ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، فَإِنْ عَجَلَ بِي أَمْرٌ فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السَّتَّةِ الَّذِينَ تُؤْفَى رِسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ.

وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَامًا يَطْعُنُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنَا صَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى
الْإِسْلَامِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكَفَرَةُ الضَّلَالُ، ثُمَّ إِنِّي لَا أَدْعُ بَعْدِي
شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي
الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ:
«يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصِّبِّ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ»، وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا
بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى
أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ، وَلِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ وَسُنَّةَ
نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ فَيَتَّخِذُوا إِلَيْهِ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ إِنَّكُمْ
أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْشَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلُ وَالثُّومُ لَقَدْ رَأَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَيْعِ،
فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيَمِيتْهُمَا طَبَخًا.

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه برقم (٣٧٠٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ
مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامِ الْمَدِينَةِ وَقَفَ
عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَلْتُمَا
الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَا: حَمَلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ قَالَ: انْظُرَا
أَنْ تَكُونَا حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَ قَالَا: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَيْتَنِي سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدْعَنَ
أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَخْتَجِنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى
أُصِيبَ قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ
بَيْنَ الصَّفَيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا حَتَّى إِذَا لَمْ يَرِ فِيهِمْ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ

يُوسُفَ، أَوْ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرِّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي، أَوْ أَكَلَنِي الْكَلْبُ حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينِ ذَاتِ طَرَفَيْنِ لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرُئْسًا، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَدَّمَهُ فَمَنْ يَلِي عُمَرَ، فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ.

فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةَ خَفِيفَةٍ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي؟ فَجَالَ سَاعَةً، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلَامٌ الْمُغِيرَةِ قَالَ: الصَّنْعُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَلَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدْعِي الْإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتُ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْتُمَ الْعُلُوجَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ - أَيْ إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا - قَالَ: كَذَبْتَ، بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلُّوا قَبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ، فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، فَاِنْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَيْدٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنِسِيدٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أَتَى بِلَبَنِ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُزْجِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَعَدَلْتُ، ثُمَّ شَهَادَةٌ قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لِيَ عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا

إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ قَالَ: رُدُّوْا عَلَيَّ الْعُلَامَ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ازْفَعْ نَوْبَكَ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِنَوْبِكَ، وَأَتَقَى لِرَبِّكَ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ، فَحَسِّبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةَ وَتَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَا لَ آَلَ عُمَرَ فَأَدَّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلِّ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلِّ فِي قُرَيْشٍ وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدَّ عَنِّي هَذَا الْمَالُ. انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَفْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ فَسَلِّمْ وَاسْتَأْذِنْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَفْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَا وَثَرَنَ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ قَالَ: ازْفَعُونِي فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنْتَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ، فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتَ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَدْتَنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرَّجَالُ فَوَلَجَتْ دَاخِلًا هُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلَفَ قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوْ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ.

فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِنِسْبَةٍ إِلَيْهِ أَتَيْكُمْ مَا أُمِرْتُ؛ فَإِنِّي لَمْ أُعَزَلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ، وَقَالَ:

أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيَّانَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئَتِهِمْ، وَأَوْصِيهِ بِأَهْلِ الْأَنْصَارِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُمْ رِذَاءُ الْإِسْلَامِ وَجِبَاةُ الْمَالِ وَغَيْظُ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأَوْصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ، وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أُمُومِهِمْ وَيُرَدَّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، وَأَوْصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُؤْفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ.

فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ قَالَتْ: أَذْخُلُوهُ فَأَدْخَلَ فَوَضَعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَيْكُمْا تَبَرُّاً مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَجَعَلْهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لِيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَأَسْكَبَتِ الشَّيْخَانُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفْتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَلْ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالَا: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ

فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ازْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلَيْهِ،
وَوَلَّجَ أَهْلَ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.

قوله: (ويثلاثون بعثمان ذي النورين عثمان بن عفان الذي جمع القرآن والحياة
والعدل والإحسان):

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
القرشي أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله، ويقال أبو ليلي الأموي أمير المؤمنين ذوا
النورين.

أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم
حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.
أهـ من تهذيب الكمال (١٩ / ٤٤٥).

قال العامري في الرياض المستطابة (ص ١٥٦):

وهو أقرب العشرة بعد علي نسباً إلى رسول الله ﷺ. أهـ.

لقب بذي النورين لزوجاه بنتي الرسول ﷺ (رقية وأم كلثوم) تزوج برقية،
فلما توفيت تزوج بعدها أم كلثوم.

قال العامري في الرياض المستطابة (ص ١٥٦):

لقب عثمان (ذا النورين) لجمعه بين ابنتي الرسول ﷺ قيل ولم يتزوج ابنتي نبي
غيره.

وجملة من الصحابة اسمه عثمان ثلاثة عشر ليس فيهم من أبوه عفان غيره. أهـ.

وقد تقدم في فضائل أبي بكر، بعض فضائل عثمان رضي الله عنه.

قوله: (جمع القرآن):

من مناقبه الكبار، وحسناته العظام أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العريضة الأخيرة التي دارسها جبريل رسول الله ﷺ في آخر عمره. وكان سبب ذلك لما ختلف جماعة من الناس في القرآن، وكان بعضهم يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر، وكان سبب الاختلاف والفرقة جمع عثمان رضي الله أمر عثمان رضي الله عنه المصحف.

فأمر عثمان رضي الله عنه بكتابة مصحف واحد على حرف واحد، وأمر أن يجتمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ماسواه.

استدعى المصاحف التي كان كتبها أبو بكر الصديق، وجمعها في مصحف واحد. راجع البداية والنهاية (٣٩٣/١٠) طبعة هجر.

قوله: (والحياء):

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْنَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْنَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ؟ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

رواه مسلم برقم (٢٤٠١).

وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَعُثْمَانَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ لَا يَسُ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «اجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ» فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَرَعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا فَرَعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ».

رواه مسلم برقم (٢٤٠٢).

قوله: (العدل والإحسان):

تقدم الحديث في قصة بيعة عثمان قريباً في قصة عثمان مقتل عمر، وقد أخذ عبد الرحمن بن عوف على عثمان إن ولي ليعدل.

وفي البخاري برقم (٣٦٩٦) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِثَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُسَوَّرَ ابْنَ مُحَرَّمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَاَنْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتُ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ فَهَاجَرَتِ الْهَجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ، وَقَدْ

أَكْثَرَ النَّاسِ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: أَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ يَمُنُّ اسْتَجَابَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ، وَأَمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتُ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي هُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ، فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ.

قوله: (ويربعون بابن عم النبي ﷺ، وختته علي بن أبي طالب عليه السلام): تقدم بعض الأدلة في فضله، وأنه مع أصحابه على هذا الترتيب، وهو ابن عم النبي ﷺ يلتقي معه في عبد المطلب.

واسمه علي بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسن القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج بنت رسول الله ﷺ وخير بناته بل خير نساء العالمين فاطمة رضي الله عنها.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية كانت من المهاجرات، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ.

وروى عن النبي ﷺ، وعرض عليه القرآن وأقرأه.

روى عن أبي بكر، وعمر، وزوجته فاطمة وغيرهم.

ورى عنه أبو بكر الصديق، وعمر، وبنوه الحسن والحسين، ومحمد، وعمر وغيرهم كثير.

استخلفه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على المدينة، ففي صحيح البخاري برقم (٤٤١٦)، وسلم (٢٤٠٤) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: «أَيُّ ابْنِ عَمِّكَ» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَعَاظَنِي فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ».

وعند البخاري برقم (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءً اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ، أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا تَرْجُوهُ فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وبنحوه عند البخاري برقم (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ.

وعند مسلم برقم (٢٤٠٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وفضائله كثيرة يأتي بعضها قريباً، وقد أفرد الإمام النسائي رحمه الله جزءاً في فضائل علي رضي الله عنه سماه الخصائص طبع مفرداً، أو ضمن الكبرى، فراجع إن شئت.

قوله: (كما دلت عليه الآثار):

يعني الأحاديث.

قوله: (مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي - بعد اتفاقهم

على أبي بكر وعمر - أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا، وربعوا بعلي):

أي جعلوا أبا بكر الأول، وعمر الثاني، وعثمان الثالث، وعلياً الرابع.

قوله: (وقد قدم قوم علياً):

أي جعلوا علياً الثالث يعني على هذا أنه أفضل من عثمان.

قوله: (وقوم توقفوا):

أي لم يفضلوا لا علي ولا عثمان.

قال عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية (ص ٢٨٧):

فروى عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان،

وكذلك روى عن سفيان الثوري تقديم علي على عثمان، ويقال إنه رجع عنه لما

اجتمع به أبو^(١) أيوب السخيتاني وقال: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى

بالمهاجرين والأنصار، وقيل: لا يفضل أحدهما على الآخر.

قال مالك في المدونة، وتبعه جماعة منهم يحيى القطان، ومن المتأخرين ابن حزم والذي عليه جمهور أهل السنة، بل استقر أمر أهل السنة عليه تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما.

قال في المنهاج: وسائر أئمة أهل السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص، والإجماع، والاعتبار. اهـ
قوله: (ولكن استقر أمر أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان على علي):

وقال النووي في شرح مسلم (١٥/١٤٤):

قال الإمام أبو عبد الله المازري: اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة علي بعض، فقالت طائفة: لا نفاضل بل نمسك عن ذلك، وقال الجمهور بالتفضيل، ثم اختلفوا، فقال أهل السنة: أفضلهم أبو بكر الصديق، وقال الخطابية: أفضلهم عمر ابن الخطاب، وقالت الراوندية: أفضلهم العباس، وقالت الشيعة: علي.

واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر، ثم عمر، قال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان.

والصحيح المشهور تقديم عثمان، قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، ومن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم: من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة، وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان، وفي قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر.

قال القاضي عياض: وذهبت طائفة منهم ابن عبد البر إلى أن من توفي من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده، وهذا الاطلاق غير مرضي ولا مقبول.

واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي أم لا؟

وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة؟

ومن قال بالقطع: أبو الحسن الاشعري، قال: وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة.

ومن قال بأنه اجتهادي ظني: أبو بكر الباقلاني، وذكر ابن الباقلاني اختلاف العلماء في أن التفضيل هل هو في الظاهر أم في الظاهر والباطن جميعاً. وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيتهما أفضل.

وفي عائشة وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين.

وأما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وقتل مظلوماً، وقتلته فسقة لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة وإنما قتله همج، ورعاع من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف، والأرذال؛ تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحاصروه حتى قتلوه رضي الله عنه.

وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته، لا خلافة لغيره.

وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء، والصحابه النجباء، رضي الله عنه.

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة، اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم، ومتأولون في حروبهم، وغيرها، ولم يخرج شئ من ذلك أحداً منهم عن العدالة؛ لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقاتل الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن محل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

٢- وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته، وقاتل الباغي عليه.

٣- وقسم ثالث اشتبعت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا محل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه؛ فكلهم معذورون رضي الله عنهم، ولهذا اتفق اهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين. اهـ

وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥٧-٤٥٨):

قلت ليس تفضيل علي برفض، ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة، والتابعين، فكل من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم، والجلالة، ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة، وهما من سادة الشهداء، رضي الله عنهما.

ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي، وإليه نذهب، والخطب في ذلك يسير، والأفضل منهما بلا شك أبو بكر، وعمر، من خالف في ذا فهو شيعي جلد، ومن أبغض الشيخين واعتقد صحة إمامتهما فهو رافضي مقيت، ومن سبهما واعتقد أنها ليسا بإمامي هدى فهو من غلاة الرافضة أبعدهم الله.

وقال الإمام البيهقي في الاعتقاد (ص ٥٤٢):

وروينا عن أبي ثور عن الشافعي أنه قال: ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان، ونحن لا نخطئ واحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا.

وقد ذكرنا أسانيدها في كتاب الفضائل، وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا، وبالله التوفيق.

قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥٧):

وقال الدارقطني: اختلف قوم من أهل بغداد، فقال قوم: عثمان أفضل وقال قوم: علي أفضل، فتحاكموا إليّ فأمنت وقلت: إمساك خير.

ثم لم أر لديني السكوت، وقلت للذي استفتاني: ارجع إليهم وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من علي باتفاق جماعة أصحاب الرسول ﷺ، هذا قول أهل السنة، وهو أول عقد يحل في الرفض.

قلت: أما خلاف عن الصحابة فلم أجد عن واحد منهم في تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما يؤيده ما جاء عن الدارقطني، وتقدم قريباً.

وهو يرد كلام الذهبي رحمه الله، ولعل الذهبي اعتمد على الكلام المعزول للشافعي أنه قال: وأما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر، وتقديمها على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان... إلخ.

رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١/٤٣٤).

وفي سنده شيخ البيهقي أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين النيسابوي شيخ الصوفية قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القحطان: كان يضع الأحاديث للصوفية.

راجع لسان الميزان (٥/١٤٥).

ومن ادعى أن الصحابة أو التابعين اختلفوا في عثمان فعليه الدليل، وإنما حصل الاختلاف فيهما بعدهم، وأيضاً الذي خالف هم بعض أهل الكوفة، ولنا الحجة في ذلك حديث ابن عمر عند البخاري المتقدم.

وقال السخاوي في فتح المغيث (٤/١١٤):

وإلى القول بتقديم علي ذهب أهل الكوفة، وجمع كما قاله الخطابي، وابن خزيمة، وطائفة قبله، وبعده كما نقله شيخنا.

وروى الخطابي عن الثوري حكايته عن أهل السنة من أهل الكوفة، وأن أهل السنة من أهب البصرة على الأول، فقليل للثوري فما تقول أنت؟ قال أنا رجل كوفي.

ثم قال الخطابي لكن قد ثبت عن الثوري في آخر قوله تقديم عثمان، زاد غيره ونقل مثله عن صاحبه وكيع.

قال ابن كثير: وهو أي هذا المذهب ضعيف مردود، وإن نصره ابن خزيمة، والخطابي.

وقد قال الدارقطني: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وصدق رحمه الله وأكرم مثواه. اهـ

لكن في مسائل ابن هانئ للإمام أحمد (٢/ ١٧٢ برقم ١٩٤٥):

سئل - أي الإمام أحمد - عن الرجل لا يفضل عثمان على علي، قال:

ينبغي له أن يفضل عثمان على علي، ولم يكن بين أصحاب رسول الله ﷺ اختلاف أن عثمان أفضل من علي.

ولا أذهب إلى ما رآه الكوفيون، ولا غيره.

ولا إلى ما قال أهل المدينة لا يفضلون أحدًا على أحد.

ثم قال: نقول:

أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت، هذا في التفضيل.

ثم قال: نقول في الخلفاء: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، هذا في الخلفاء.
وعلى هذا الطريق، وعلى ذا كان رأي أصحاب رسول الله ﷺ. اهـ
وقال (٢/ ١٧١ برقم ١٩٤٤):

فكل من فضّل عليّاً على عثمان فقد أزرى على المهاجرين والأنصار. اهـ
قلت: وقد نقل البيهقي عن الشافعي خلافاً عن الصحابة في تفضيل علي على
عثمان، ولم أجد سنداً لذلك، ونفي أحمد يردّه، والله أعلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦-٤٢٨):
فإن سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليّاً على عثمان، ثم رجع عن ذلك
سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهى إحدى الروايتين عن
مالك لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة
كالشافعي، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة
الإسلام.

حتى أن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم عليّاً على عثمان هل يعد من أهل البدعة؟
على قولين هما روايتان عن أحمد، وقد قال أيوب السخيتاني وأحمد بن حنبل
والدارقطني: من قدم عليّاً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.
وأيوب هذا إمام أهل السنة وإمام أهل البصرة، روى عنه مالك في الموطأ، وكان
لا يروى عن أهل العراق.

وروى أنه سئل عن الرواية عنه فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، وذكره أبو حنيفة فقال: لقد رأيته قعد مقعدًا في مسجد رسول الله ما ذكرته إلا أقشعر جسمي.

والحجة لهذا ما أخرجاه في الصحيحين^(١) وغيرهما عن ابن عمر إنه قال كنا نفاضل على عهد رسول الله كنا نقول أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وفي بعض الطرق يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره.

وأيضًا فقد ثبت بالنقل الصحيح في صحيح البخاري وغير البخاري أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جعل الخلافة شورى في ستة أنفس عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، ولم يدخل معهم سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان من بنى عدى قبيلة عمر، وقال عن ابنه عبد الله يحضركم عبد الله وليس له في الأمر شيء، ووصى أن يصلي صهيب بعد موته حتى يتفقوا على واحد، فلما توفي عمر واجتمعوا عند المنبر قال طلحة: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعثمان، وقال الزبير: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعلي، وقال سعد: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعبد الرحمن بن عوف، فخرج ثلاثة وبقى ثلاثة، فاجتمعوا فقال عبد الرحمن بن عوف: يخرج منا واحد ويولى واحدًا، فسكت عثمان وعلي، فقال عبد الرحمن: أنا أخرج.

وروى أنه قال: عليه عهد الله وميثاقه أن يولى أفضلهما، ثم قام عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ويشاور

(١) سيأتي تخرجه قريبًا إن شاء الله عند ذكر المؤلف له.

أمهات المؤمنين ويشاور أمراء الأمصار فإنهم كانوا في المدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته حتى قال عبد الرحمن بن عوف: إن لي ثلاثاً ما اغتمضت بنوم، فلما كان اليوم الثالث قال لعثمان: عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت علياً لتسمعن ولتطيعن قال: نعم، وقال لعلي: عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت عثمان لتسمعن ولتطيعن قال: نعم، فقال: إنى رأيت الناس لا يعدلون بعثمان فبايعه علي وعبد الرحمن وسائر المسلمين بيعة رضى واختيار من غير رغبة أعطاهم إياها، ولا رهبة خوفهم بها، وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي فلهذا قال أيوب وأحمد بن حنبل والدارقطنى: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار؛ فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم.

ولو زعم زاعم أنهم قدموا عثمان لضغن كان في نفس بعضهم على علي، وأن أهل الضغن كانوا ذوي شوكة ونحو ذلك مما يقوله أهل الأهواء، فقد نسبهم إلى العجز عن القيام بالحق، وظهور أهل الباطل منهم على أهل الحق هذا وهم في أعز ما كانوا وأقوى ما كانوا فإنه حين مات عمر كان للإسلام من القوة والعز والظهور والاجتماع والاتلاف فيما لم يصيروا في مثله قط وكان عمر أعز أهل الإيمان وأذل أهل الكفر والنفاق إلى حد بلغ في القوة والظهور مبلغاً لا يخفى على من له أدنى معرفة بالأمور. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في اختصار علوم الحديث (ص ١٧٨):

والعجب أنه قد ذهب بعض أهل الكوفة من أهل السنة إلى تقديم علي على عثمان، ويحكى عن سفيان الثوري، لكن يقال أنه رجع عنه، ونقل مثله وكيع بن الجراح ونصره ابن خزيمة والخطالي وهو ضعيف مردود بما تقدم. اهـ.

وقد قال قبله في نفس الصفحة:

وأفضل الصحابة، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن عثمان، ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب. هـ رأي المهاجرين والأنصار... إلخ.

قوله: (وإن كانت مسألة علي وعثمان ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد الرسول ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي).

قال عبد الله بن عمر كنا نقول والنبي ﷺ حي أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره):

صحيح، رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» برقم (٥٦)، وأبوداود برقم (٤٦٢٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١١٩٠-١١٩٢)، والطبراني في «الكبير» و(١٢/٢٨٥ رقم ١٣١٣١).

كلهم من طريق الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر قال فذكره، ولم يذكر الزيادة وهي: «فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره».

ورواه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٥٥) بدون الزيادة من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره، وجاء الحديث عند ابن أبي عاصم برقم (١١٩٣)

من طريق بقية حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن نافع عن ابن عمر فذكر نحوه وذكر الزيادة.

ورواه أبو يعلى برقم (٥٦٠٤) من طريق يزيد بن هارون عن الليث به لكنه أسقط نافعاً.

ورواه الطبراني في «الكبير» (١٢/رقم ١٣١٣٢) من طريق الزهري كالرواية الأولى وذكر الزيادة.

على أن الحديث في البخاري برقم (٣٦٥٥) قال ابن عمر: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٠-١٣١) نقلاً عن عبد الله بن محمد بن عثمان الحافظ، قال:

وأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر قالوا له: يا خليفة رسول الله، ولم يسم أحد بعده خلفية، وقيل إنه قبض النبي ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم كل قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، ورضوا به من بعده رضي الله عنهم. اهـ.

قوله: (وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث):

صحيح، رواه أحمد في «المسند» (١/ ١١٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٢٠١ و ١٢٠٢) من طريق أبي جحيفة عن علي فذكره.

ورواه ابن أبي شيبه في «المصنف» (١٢/١٤-١٥ برقم ١١٩٩٩)، ومن طريقه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/١٠٦)، وأحمد (١/١١٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠٣) من طريق أبي جحيفة عن علي فذكره، إلا أنه قال في آخره: «لو شئت أن أحدثكم بالثالث لفعلت».

قوله: (وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ في الصلوات على جميع أصحابه):

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ حِفْصَةَ: قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلْتُ حِفْصَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْ! إِنَّكَ لَأَنْتَنَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»، فَقَالَتْ حِفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا. رواه البخاري برقم (٦٧٩) ومسلم (٤١٨).

وروى البخاري برقم (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَاسْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَعَادَتْ، فَقَالَ: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ»، فَأَنَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وقد تقدم هذان الدليلان، وغيرهما.

قوله: (وإجماع الصحابة على تقديمه ومتابعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة):

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ - يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَكَيْبَعْنَةُ اللَّهِ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رِسَالِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ.

فَحَمِدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قَالَ: فَنَشَحَ النَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ، فَأَسَكَّتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ:

نَحْنُ الْأَمْوَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَلَكِنَّا الْأَمْوَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ؛ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعَزُّهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَاتِلُ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ: عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ.

رواه البخاري برقم (٣٦٦٨).

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله أمتي على ضلالة».

عن ابن عباس رواه الحاكم (١/١١٦)، وصححه شيخنا مقبل رحمه الله في الصحيح المسند (١/٥١٤).

قوله: (ثم بعده عمر؛ لفضله وعهد أبي بكر إليه):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَثَرُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَحْمِلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا.

رواه البخاري برقم (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

وذلك لما يعلم أبو بكر الصديق من أنه خير الناس بعده، وقد تقدمت بعض الأدلة في ذلك.

قوله: (ثم عثمان؛ لتقديم أهل الشورى له):

روى الإمام مسلم في صحيحه برقم (٥٦٧) عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ
 بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ
 كَانَ دِيكَمَا نَقَرَنِي ثَلَاثَ نَقَرَاتٍ، وَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا حُضُورَ أَجَلِي، وَإِنْ أَقْوَامًا يَأْمُرُونَنِي
 أَنْ أَسْتَخْلِفَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعْ دِينَهُ وَلَا خِلَافَتَهُ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ،
 فَإِنْ عَجَلَ بِي أَمْرٌ فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السَّتَّةِ الَّذِينَ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ
 عَنْهُمْ رَاضٍ، وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَامًا يَطْعُنُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنَا صَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ
 عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكَفَرَةُ الضَّلَالُ، ثُمَّ إِنِّي لَا أَدْعُ
 بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي
 الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِضْبَعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ:
 «يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصِّيفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ؟»، وَإِنِّي إِنْ أَعِشَ أَقْضِ
 فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ
 عَلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ، وَلِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ
 وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ فَيَنْتَهُمَ، وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ
 إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْشَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلُ وَالثُّومُ لَقَدْ رَأَيْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَيْعِ فَمَنْ
 أَكَلَهُمَا فَلَيْمَتُهُمَا طَبَخًا.

وأهل الشورى هم: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد
 الرحمن بن عوف، وهم من تبقى من العشرة المشهود لهم بالجنة، وبقي منهم سعيد

بن زيد رضي الله عنهم ولم يذكره فيهم؛ لانه من أقاربه، وذكر عبد الله بن عمر فقال يحضرهم وليس له من الخلافة شيء.

قوله: (ثم علي رضي الله عنه؛ لإجماع أهل عصره عليه):

ثم علي رضي الله عنه الرابع؛ لفضله ولكونه أفضل من بقي على ظهر الأرض، وإجماع أهل عصره عليه أنه أحق بالخلافة من غيره، ولقربه نسباً من النبي ﷺ، وصهره.

وفي فضائل الصحابة للإمام أحمد برقم (٩٦٩) (٥٧٣/٢) عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع علي وعثمان وهو محصور قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي قال محمد: فأخذت بواسطة تخوفاً عليه، فقال: خل لا أم لك، فأتي على الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني؛ فإني لكم وزير خير لكم من أمير، فقالوا: لا والله مانعنا أحداً أحق بها منك قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سراً، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يباعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس رجاله ثقات.

قوله: (فهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء أضل من حمار أهله):

أي خلفاء رسول الله ﷺ ومن عداهم فملك وليست بخلافة على منهاج النبوة.

وثبت في مسند الإمام أحمد (٢٧٣/٤) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَكُونُ النَّبُوءُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءِ ثُمَّ سَكَتَ».

وسياتي حديث سفينة الذي يذكره المؤلف بين هذا.

فلكونها - أي خلافتهم - كانت على منهاج النبوة فهم راشدون، وتقدم معنى راشد، وهم أرشد هذه الأمة بعد نبينا في الفضل والخلافة وغيرهما.
والأئمة المهديون:

قال ملا علي القاري في مرقة المفاتيح (٤٠٩/١):

أي الذين هداهم الله إلى الحق قيل هم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنه عليه الصلاة والسلام قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد انتهى بخلافة علي رضي الله عنه.

قال بعض المحققين ووصف الراشدين بالمهدين؛ لأنه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعروهم. اهـ.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٦٠٦-٦٠٧):

الذي يطعن في خلافة أحد من هؤلاء يقول: إنه لا يستحق الخلافة، أو أنه أحق ممن سبقه فهو أضل من حمار أهله.

وعبر المؤلف بهذا التعبير؛ لأنه تعبير الإمام أحمد رحمه الله، ولا شك أنه أضل من حمار أهله؛ وإنما ذكر الحمار لأنه أبلد الحيوانات على الإطلاق، فهو أقل الحيوانات فهماً، فالطعن في خلافة أحد من هؤلاء، أو في ترتيبه طعن في الصحابة جميعاً.

قوله: (وقد قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»):

الحديث صحيح، وله عن العرياض بن سارية رضي الله عنه سبع طرق: الأولى: من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وإن عبداً حبشياً عضوا عليها بالنواجذ».

رواه أحمد في «المسند» (١٢٦/٤) من طريقين، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٧٣-٧٠)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٣ و٤٤)، والدارمي برقم (٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٥٤) وبرقم (٢٧ و٣٠ و٣٣ و٤٨ و٥٦) مختصراً.

والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (١١٨٦)، والحاكم في «المستدرک» (٩٦-٩٥/١) والآجري في «الشريعة» رقم (٨٨ و ٨٩)، والطبراني في «الکبير» (١٨/برقم ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠)، وفي «مسند الشاميين» رقم (١١٨٠ و ٢٠١٧)، واللالکائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٧٩٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥٤١/٦)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (١٠٢)، وأبونعيم في «الحلية» (٢٢٠/٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» رقم (٢٣٠٣ و ٢٣٠٤)، والمزي في «تهذيب الکمال» (٣٠٦-٣٠٥/١٧).

من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية فذكره.

هكذا عن عبد الرحمن بن عمرو رواه جماعة، وهم:

١- خالد بن معدان: عند أحمد (١٢٦/٤)، والمروزي رقم (٧٣ و ٧٠)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه رقم (٤٤)، والدارمي (٩٦)، والحاكم (٩٦-٩٥/١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٨٦-١١٨٥)، واللالکائي (٨٩ و ٨١)، والطبراني في «الکبير» (١٨/رقم ٦١٧ و ٦١٨)، و«مسند الشاميين» رقم (١١٨٠)، والبغوي رقم (١٠٢)، وأبونعيم (٥/٢٢٠/١١٤-١١٥)، والبيهقي (٥٤١/٦)، والآجري (٨٦).

٢- ضمرة بن حبيب: عند ابن ماجه (٤٣)، والآجري (٨٩ و ٨٨)، واللالکائي (٧٩ و ٨٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٢٠١٧)، و«الکبير» (١٨/٦١٩)، والحاكم (٩٦/١).

٣- يحيى بن جابر وهو الطائي: عند الطبراني في «الكبير» (١٨ / ٦٢٠) وابن أبي عاصم مختصراً برقم (٣٠).

ورواه عكرمة بن عمار عن عوف الأعرابي عند الطحاوي برقم (١١٨٧) عن عبد الرحمن بن عمرو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فذكره.

وقد رواه الحارث بن أبي أسامة كما في زوائد مسنده رقم (٥٥) عن سعيد بن عامر عن عوف عن رجل سمى أحسبه سعيد بن خثيم عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فذكره، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ٤٧٠): سعيد بن خثيم رجل من سليط عن رجل من أهل الشام عن رجل له صحبة: خطبنا النبي ﷺ نحو حديث العرياض بن سارية، قاله لنا موسى حدثنا جعفر بن حيان. اهـ

وكذا هو عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٣١٠) عن سعيد عن رجل من أهل الشام عن رجل من الصحابة نحوه. وعلى كل فطريق عوف تعتبر شاذة لأنه خالف ثلاثة وهم أرجح منه.

فالراجح طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي وهو مجهول حال كما في تهذيب التهذيب.

الطريق الثانية: من طريق عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر الكلاعي عن العرياض فذكره عند أحمد (١٢٦-١٢٧)، وأبي داود برقم (٤٦٠٧)، وابن أبي عاصم مختصراً برقم (٣٧ و ٣٢)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٧١)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٥)، والآجري في «الشرعية» برقم (٨٦ و ٨٧)، والحاكم في «المستدرک» (٩٧ / ١)، والطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٤٣٨)،

وأبونعيم في «الحلية» (١٠/١١٤-١١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١١٦٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/٤٧٢-٤٧٣) كلهم من طريق عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر عن العرياض فذكره.

وعبد الرحمن بن عمرو تقدم أنه مجهول حال، وحجر بن حجر انفرد بالرواية عنه خالد بن معدان، وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال ابن القطان: لا يعرف. كما في «تهذيب التهذيب». وقال الحاكم في «المستدرک» (١/٩٧):

(... من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، منهم: حجر بن حجر الكلاعي). وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

فهو كما قال الحافظ إن شاء الله. فهذه الطريق حسنة. والله أعلم.

الثالثة: من طريق يحيى بن أبي المطاع عن العرياض فذكره.

رواه ابن ماجه برقم (٤٢) والمروزي في السنة (٧٢) وابن أبي عاصم برقم (٢٦)، (٥٥).

والطبراني في الكبير (١٨/رقم ٦٢٢) والحاكم (١/٩٧) والمزي في تهذيب الكمال (٣١/٥٣٩).

ويحيى بن أبي المطاع صدوق، لكنه قد أنكر دحييم سماعه من العرياض كما في تهذيب التهذيب (١١/٢٤٤) فهو منقطع.

الرابعة: من طريق مهاصر بن حبيب عن العرياض فذكره.

عند الطبراني في الكبير (١٨/رقم ٦٢٣) وابن أبي عاصم مختصراً رقم (٢٨، ٢٩)، (٥٩).

ومهاصر بن حبيب ذكره ابن حبان في ثقافته، في أتباع التابعين، لكن ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤٣٩/٨-٤٤٠) ذكر أنه روى عن أبي ثعلبة، وقال سئل أبي عنه فقال: لا بأس به.

قلت: فهذا إسناد ظاهره الحسن إن صح سماع مهاصر من العرياض، لكنه من أتباع التابعين، وذكر ابن أبي حاتم أنه روى عن أبي ثعلبة لا يدل أنه من التابعين. إذن فهو منقطع.

الخامسة: طريق عبد الله بن أبي بلال عن العرياض فذكره.

عند أحمد (١٢٧/٤) والطبراني في الكبير (١٨/رقم ٦٢٤) وتصحف اسم عبد الله عند الطبراني إلى عبد الرحمن وصوابه عبد الله.

وهو مجهول عين تفرد بالرواية عنه خالد بن معدان.

السادسة: من طريق جبير بن نفيير عن العرياض بن سارية فذكره.

عند الطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٦٤٣).

وجبير بن نفيير الحضرمي الحمصي: ثقة جليل مخضرم من الثانية.

السابعة: طريق خالد بن معدان عن العرياض فذكره.

عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (١١٨٥)، وابن عبد البر في «جامع

بيان العلم وفضله» برقم (٢٣٠٥)، وابن وضاح في «البدع» ص (٦٩).

ودعوى أنه سقط عبد الرحمن بن عمرو بن خالد والعرياض بعيد أن يكون سقط

من النسخة من كل هذه الطبقات والكتب كما ادعاه محقق شرح مشكل الآثار

للمطحاوي، وحسان عبد المنان وزاد حسان قوله: وإما أن يكون بسبب ضعف عبد الله بن صالح كاتب الليث اهـ.

ولا يسلّم له فقد توبع عند ابن عبد البر وابن وضاح.

فالحاصل أنها رواية وهي منقطعة لعدم إدراك خالد للعرباض.

فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق، وما من فقرة من فقراته إلا ولها ما يشهد لها من أدلة أخرى إما في الصحيحين أو خارجهما.

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي (٧/ ٤٤٠):

فعليه بستتي: أي فليلزم سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فإنهم لم يعملوا إلا بستتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها قاله القاري.

وقال الشوكاني في الفتح الرباني: إن أهل العلم قد أطالوا الكلام في هذا وأخذوا في تأويله بوجوه أكثرها متعسفة، والذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو: العمل بما يدل عليه هذا التركيب بحسب ما تقتضيه لغة العرب، فالسنة هي الطريقة؛ فكأنه قال: الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين، وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقتهم؛ فإنهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء وعلى كل حال، كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها.

وقال ابن العربي المالكي في عارضة الأحوزي (١٠/ ١٤٩-١٥٠):

وقوله: عضوا عليها بالنواجذ: وهو آخر الأضراس التي يدل نباتها على الحلم، فمعناه: عضوا عليها بجميع الفم، ولا يكون تناولها نهسًا؛ وهو الأخذ بأطراف الأسنان، وضرب مثلًا لذلك العض بالفم لأنه مبتدأ الأكل.

وقد يضرب ذلك مثلًا في العلم بالدين، والعمل به، ففي الصحيح: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا بالحديث، ومن ذاق عَصَّ، ومن عَصَّ مضغ، وهو الأكل، ومن أكل بلع، وهو استيفاء المقصود، والنفس في هذا المعنى مطول في الكتاب الكبير وهذه لمحته.

وقال المباركفوري في التحفة (٧/ ٤٤١-٤٤٢):

«عضوا»: بفتح العين.

«عليها»: أي على السنة «النواجذ» جمع ناجذة، بالذال المعجمة، وهي الضرس الأخير، وقيل هو مرادف السن وقيل هو الناب.

قال الماوردي: إذ تكاملت الأسنان فهي اثنتان وثلاثون:

منها أربعة ثنايا، وهي أوائل ما يبدو للناظر من مقدم الفم.

ثم أربع رباعيات.

ثم أربع أنياب.

ثم أربع ضواحك.

ثم اثنا عشر أضراس، وهي الطواحن.

ثم أربع نواجذ وهي أواخر الأسنان.

كذا نقله الأبهري والصحيح أن الأضراس عشرون شاملة للضواحك والطواحن والنواجذ، والله أعلم.

والعض: كناية عن شدة ملازمة السنة، والتمسك بها؛ فإن من أراد أن يأخذ شيئاً أخذاً شديداً يأخذ بأسنانه، أو المحافظة على الوصية بالصبر على مقاساة الشدائد، كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهره فيشتد بأسنانه بعضها على بعض. اهـ.

قال ملا على القاري في مرقاه المفاتيح (١/٤٠٨):

فعليكم بستتي: اسم فعل بمعنى الزموا أي: بالطريق الثابتة عنى واجباً ومندوباً.

وسنة الخلفاء الراشدين؛ فإنهم لم يعملوا إلا بستتي، فإضافة إليهم إما لعلمهم بها، أو لا استنباطهم واختيارهم إياها. اهـ.

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/١٢٣-١٢٦):

وقد اختلف العلماء في إجماع الخلفاء الأربعة: هل هو إجماع أو حجة مع مخالفة غيرهم من الصحابة والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه. اهـ.

فالحق أنه ليس لأحد منهم سنة غير سنة رسول الله ﷺ.

فستتهم هي سنة رسول الله ﷺ وفي هذا دليل على فهم القرآن والسنة بعضهم السلف الصالح اللذين أفضلهم الخلفاء الأربعة.

قال المناوي في فيض القدير (٣/٥٠٩):

(أخذ بعض المجتهدين من هذا الخبر أن إجماع الخلفاء الأربعة حجة، والصحيح عند الشافعية أنه غير صحيح). اهـ.

قال شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود (٢٣٥ / ١٢) طبقة دار الكتب العلمية:

وعضوا عليها بالنواجد: جمع ناجذة بالذال المعجمة، قيل هو الضرس الأخير، وقيل هو مرادف السن، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها^(١). وقال الخطابي: وقد يكون معناه أيضًا الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه. اهـ.

قوله: (وقال رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»):

الحديث صحيح، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٠ / ٥ و ٢٢١)، وفي «فضائل الصحابة» رقم (٧٨٩ و ١٠٢٧)، وابنه عبدالله في «زوائد فضائل الصحابة» رقم (٧٩٠)، وفي «السنة» رقم (١٤٠٢ و ١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٨١ و ١١٨٥)، وفي «الآحاد والمثاني» رقم (١١٣ و ١٣٩ و ١٤٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» رقم (٣٤٤٩)، والخلال في «السنة» برقم (٦٤٧)، والطيالسي برقم (١١٠٧)، وأبوداود برقم (٢٦٤٦ و ٢٦٤٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨١٥٥)، والترمذي برقم (٢٢٢٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦٩٤٣)، واللفظ له برقم (٦٦٥٧)، والحاكم في «المستدرک» (٣ / ٧١ و ١٤٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦ / ٣٤١ و ٣٤٢)، وفي «الاعتقاد» ص (٤٦٧)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٣ و ١٣٦ و ٦٤٤٢)، واللالكائي في

(١) قاله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٢٦ / ٢).

«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٢٦٥٤ و ٢٦٥٥ و ٢٢٥٦)، وأبو محمد البغوي في «شرح السنة» برقم (٣٧٥٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم (٢٣١٣).

كلهم من طريق سعيد بن جهمان عن سفينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً». قال: «أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وعمر رضي الله عنه عشرًا، وعثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة وعلي رضي الله ستًا».

والقائل (أمسك): هو سفينة كما بينه أحمد وغيره.

وقد رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (١٤٠٥) وأبهم سعيد بن جهمان فقال: نا العوام عن رجل سماء عن سفينة فذكره ولا يضر فقد سماء غيره.

وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن، وقد رواه غير واحد عن سعيد بن جهمان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جهمان.

وقال الحاكم: وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح.

قلت: هو حديث حسن من أجل سعيد بن جهمان فإنه صدوق.

فقد وثقه ابن معين وأبو داود وأحمد، وقال النسائي: لا بأس به، وقال ابن معين: روى عن سفينة أحاديث لا يروها غيره وأرجو أنه لا بأس به.

وذكره ابن حبان في الثقات. وقيل لأحمد: إن يحيى بن سعيد سئل عنه فلم يرضه؟

فقال: (باطل وغضب وقال: ما قال هذا أحد غير علي بن المديني ما سمعت يحيى

يتكلم فيه بشيء) اهـ.

وقال البخاري: في حديثه عجائب. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الساجي: لا يتابع على حديثه اهـ.. بتصرف من «تهذيب التهذيب».

وقال الحافظ في التقریب: صدوق له أفراد.

ولم يصب صاحباً التحرير في تعقبها لحافظ، فالحق مع الحافظ.

فكان آخرهم خلافة علي رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٨/٣٥) -

(٢٠):

قال النبي ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه أو الملك من يشاء»، لفظ أبي داود من رواية عبد الوارث والعوام: «تكون الخلافة ثلاثون عامًا، ثم يكون الملك»، «تكون الخلافة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا»، وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة، وعبد الوارث بن سعيد، والعوام بن حوشب وغيره، عن سعيد بن جهمان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ رواه أهل السنن كأبى داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، ونهى عن مناكحته، وهو متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف، وهو مذهب العامة، وإنما يخالفهم في ذلك بعض أهل الأهواء من أهل الكلام ونحوهم كالرافضة الطاعنين في خلافة الثلاثة، أو الخوارج الطاعنين في خلافة الصهرين المنافيين عثمان وعلي، أو بعض الناصبة النافين لخلافة علي، أو بعض الجهال من المتسننة الواقفين في

خلافته، ووفاة النبي ﷺ كانت في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من هجرته، وإلى عام ثلاثين سنة كان إصلاح ابن رسول الله ﷺ الحسن بن علي السيد بين فئتين من المؤمنين بنزوله عن الأمر عام إحدى وأربعين في شهر جمادى الأولى، وسمي عام الجماعة لاجتماع الناس على معاوية، وهو أول الملوك.

وفي الحديث الذي رواه مسلم^(١) «ستكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم يكون ملك وجبرية، ثم يكون ملك عضوض»، وقال ﷺ في الحديث المشهور في السنن^(٢) وهو صحيح: «إنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء، وإن كانوا ملوكاً ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخاري، ومسلم في صحيحيهما^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ، فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ، فَإِلَّا أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ».

فقوله: فتكثر، دليل على من سوى الراشدين، فإنهم لم يكونوا كثيراً.

(١) تقدم أنه عند أحمد (٢٧٣/٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) قد تقدم تخريجه، وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٤٥٥) ومسلم برقم (١٨٤٢).

وأيضًا قوله: فوا ببيعة الأول فالأول؛ دل على أنهم يختلفون والراشدون لم يختلفوا.

وقوله: فأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم، دليل على مذهب أهل السنة في إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم.

أهل بيت النبوة

قوله: (فصل. ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم):

الكلام لا يزال على عقيدة أهل الحديث والسنة (أهل السنة والجماعة)، ومن عقديتهم حب أهل بيت رسول الله ﷺ.

المراد بأهل بيت النبي ﷺ:

اختلف في أهل بيت الرسول ﷺ على خمسة أقوال:-

الأول: أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة.

الثاني: أنهم ذرية الرسول ﷺ.

الثالث: أنهم أتباع الرسول ﷺ.

الرابع: أنهم الأتقياء من أمة النبي ﷺ.

الخامس: أنهم أهل الكساء.

والصحيح من هذه الأقوال القول الأول لما روى البخاري برقم (١٤٨٥) وهذا لفظه، ومسلم (١٠٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَظَرَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ».

وعند البخاري برقم (٢٠٦٩) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِهِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاعٌ بُرٍّ وَلَا صَاعٌ حَبٍّ وَإِنْ عِنْدَهُ لَتَسَعِ نِسْوَةٌ.

وروى مسلم برقم (٢٤٠٨) عَنْ يَزِيدِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَعَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدَّمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْيِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبِلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بَهَاءٍ يُدْعَى حُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ».

فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وكذا يدخل فيمن تحرم عليهم الصدقة آل ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لحديث عبد المطلب^(١) بن ربيعة بن الحارث لما بعثه أبوه والعباس هو والفضل بن عباس إلى النبي ﷺ ليأمرهما على الصدقة فقال لهما رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ».

رواه مسلم برقم (١٠٧٢).

ويلى هذا القول: القول الثاني: فذريته من أهل بيته لما تقدم، لحديث عائشة أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَفَدَّكَ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَوَرَّثُوا مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ»، يَغْنِي مَالَ اللَّهِ لَيْسَ هُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا أَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَشْهَدَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي.

رواه البخاري برقم (٣٧١٢) ومسلم برقم (١٧٥٨-١٧٥٩).

(١) الراجع أن اسمه «المطلب» كما في الإصابة (٣١٧/٤).

وكذا أزواجه لهذا الحديث ولقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤].

فما قبل الآية وبعدها في الزوجات فدل على أنهن داخلات في ذلك.

وفي صحيح البخاري رقم (٣٣٦٩) ومسلم برقم (٤٠٧) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وأما حديث كعب بن عجرة وأنه ليس فيه ذكر الأزواج والذرية، فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ غيره، فالمراد بالآل في التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة ويدخل فيهم الذرية.

فبذلك يجمع بين الأحاديث، وقد أطلق على أزواجه ﷺ آل محمد في حديث أبي هريرة، قال: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ.

رواه البخاري برقم (٥٣٧٤) ومسلم برقم (٢٩٧٦)، وغيره من الأحاديث.

وانظر كلام الحافظ في الفتح (١٦٤/١١).

وأما قول بعضهم لو كانت الصدقة حراماً عليهن لحرمت على مواليهن، كما أنها لما حرمت على بني هاشم حرمت على مواليهن، وفي صحيح البخاري برقم (٥٠٩٧)

ومسلم برقم (١٥٠٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ سُنَنِ: عَتَقْتُ فَخَيْرْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ».

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبُرْمَةٌ عَلَى النَّارِ، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ خُبْزٌ وَأُذْمٌ مِنْ أُذْمِ الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ؟» فَقِيلَ: لَحْمٌ تُصَدَّقُ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ، وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، قَالَ: «هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ».

وقول زيد بن أرقم الذي رواه مسلم (١٨٧٤ / ٤) لما قيل له من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا. وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

فالجواب: أن تحريم الصدقة على أزواج النبي ﷺ ليس بطريق الأصالة وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ وإلا فالصدقة حلال لمن قبل اتصاها به، فهن فروع في هذا التحريم والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده فلما كان التحريم على بني هاشم أصلاً استتبع ذلك مواليهم، ولما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعاً لم يقفوا ذلك على استتباع مواليهن لأنه فرع من فروع.

اهـ من جلاء الأفهام (ص ١٢٤).

وأما قول زيد رضي الله عنه فالآية والحديث أصرح في ذلك.

وأيضاً أزواج النبي ﷺ هن ميزة دون غيرهن من الأزواج قال الله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فهن يعتبرن أمهات المؤمنين.

وأزواجه ﷺ محرمات على غيره على التأبيد.

وقد خصصن دون غيرهن من الأزواج بتحريم الصدقة، وعدم الميراث واستحقاق الخمس، وكذا الصلاة.

وأما بقية الأقوال فضعيفة، ففي الثالث أنهم أتباع رسول الله ﷺ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فهذا فيه أنه يقال لأتباع الرجل: آله، ولكن هذا ليس مرادنا هاهنا، والأدلة المتقدمة ترد هذا القول، فلو كان آل الرسول ﷺ أتباعه لما حلت الصدقة لأحد.

وأما القول الرابع: فأقوى ما عندهم حديث أنس أن رسول الله ﷺ سئل من آل محمد؟ فقال: «كل تقى»، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

رواه الطبراني في الأوسط، وقال: لم يروه عن يحيى إلا نوح تفرد به نعيم، وهو حديث ضعيف جداً، انظر الضعيفة للألباني برقم (١٣٠٤).

وأما القول الخامس: أنهم أهل الكساء، واستدلوا بما روى مسلم برقم (٢٤٢٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرْحَلٌ مِنْ شَعِيرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وهذا لا يفيد الحصر في هؤلاء، فلو كان مفيداً للحصر ما دخل أولاد هؤلاء، وأيضاً تقدم في حديث المطلب يم ربيعة ذكر غير هؤلاء في الآل، وكذا في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

فالمهم أن هؤلاء من الآل، ولا ينحصر الآل فيهم. والله أعلم بالصواب. وهذه المحبة محبة شرعية لا محبة الرافضة المزعومة؛ فإنهم غلوا جداً في أهل البيت، حاشا رسول الله ﷺ فلم يغلوا فيه، بل غلوا في علي والحسين خاصة وبقية أهل البيت.

وليس أهل السنة أيضاً بناصبة، وهم الذين نصبوا العداء لأهل بيت النبوة بل هم وسط في ذلك بين الغلوا والجفاء، فأهل السنة يحبون أهل بيت النبوة كما شرع الله سبحانه وتعالى بغير إفراط ولا تفريط. وقوله: (ويتولونهم):

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

أي بعضهم أنصار بعض وأحببتهم، وهذا هو السبب الأول لمحبة أهل البيت؛ لأنهم مؤمنون، ويجب على كل مسلم محبة كل مؤمن قدر إيمانه.

قوله: (ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»، مرتين):

الحديث رواه مسلم برقم (٢٤٠٨) عَنْ يَزِيدِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ كَبِرْتَ سِنِّي، وَقَدَّمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْمِي مِنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِهَاءٍ يُدْعَى حُمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ».

فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنُ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قوله: (وقال للعباس عمه حين اشتكى أن بعض قريش لا يلقونه بوجه طلق: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرايتي»):

الحديث ضعيف رواه أحمد في «المسند» (١/٢٠٧ و ٢٠٨) و (٤/١٦٥)، وهذا لفظه، وابن أبي شيبة (١٢/١٠٨)، والترمذي برقم (٣٧٥٨)، والنسائي في

«الكبرى» برقم (٨١٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٨٥-٢٨٧ رقم ٦٧٤-٦٧٦).

من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث بن نوفل، حدثني عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال: دخل العباس على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشاً يتحدث، فإذا رأونا سكتوا. فغضب رسول الله ﷺ، ودر عرق بين عينيه، ثم قال: «والله، لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم الله، ولقرايتي». ولفظ أحمد (٢٠٨/١): «ولرسوله» بدل «ولقرايتي».

وزيد بن أبي زياد: ضعيف، وشيعي. فالحديث ضعيف.

وهذا هو السبب الثاني من أسباب محبة أهل البيت، وهو تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ حيث عهد إلى أمته تذكيرهم بحق أهل بيته.

وحبهم علامة الإيمان، وبغضهم - أعني الصالحين منهم - علامة النفاق؛ ففي صحيح مسلم برقم (٧٨) قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ.

وعلي رضي الله عنه يعتبر أفضل أهل بيت النبوة بعد رسول الله ﷺ.

أضف إلى ذلك صفاء نسب النبي ﷺ ففي صحيح مسلم (٢٢٧٦) عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وفي صحيح الإمام مسلم برقم (٢٤٢٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعِيرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَذْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَذْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَذْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي مسلم (٤/ ١٨٧١) برقم (٢٤٠٤) - ٣٢ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التَّرَابِ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَاهَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَنْ أُسَبَّهُ؛ لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ خَلَقَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي».

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «أُعْطِيَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا»، فَأَتَى بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ نَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي».

ومما يدل على فضل أهل بيت رسول الله ﷺ تحريم الصدقة عليهم، وهي

أوساخ الناس، وهم أنزله عنها.

ففي صحيح مسلم برقم (١٠٧٢) عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١) بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ
 قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَا: وَاللَّهِ لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ
 الْغُلَامَيْنِ - قَالَ لِي وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَاهُ فَأَمَرَهُمَا عَلَى هَذِهِ
 الصَّدَقَاتِ، فَأَذَيَا مَا يُؤَدِّي النَّاسُ وَأَصَابَا بِمَا يُصِيبُ النَّاسَ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ
 جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَا
 تَفْعَلَا، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ بِفَاعِلٍ، فَانْتَحَاهُ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا
 نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نِلْتُ صِهْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا نَفْسَنَاهُ عَلَيْكَ، قَالَ
 عَلِيُّ: أَرْسَلُوهُمَا، فَانْطَلَقَا، وَاضْطَجَعَ عَلِيُّ قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ
 سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ فَقُمْنَا عِنْدَهَا حَتَّى جَاءَ، فَأَخَذَ بِأَذَانِنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَخْرِجَا مَا
 تُصَرَّرَانِ»، ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَ: فَتَوَاكَلْنَا
 الْكَلَامَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَبْرُ النَّاسِ، وَأَوْصَلَ النَّاسِ، وَقَدْ
 بَلَّغْنَا النِّكَاحَ، فَجِئْنَا لِنُؤَمِّرَنَّكَ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ فَنُؤَدِّي إِلَيْكَ كَمَا يُؤَدِّي النَّاسُ
 وَنُصِيبُ كَمَا يُصِيبُونَ قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلًا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ قَالَ: وَجَعَلْتَ زَيْنَبَ
 تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لَا نُكَلِّمَهُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِأَلِ
 مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاحُ النَّاسِ اذْعُمُوا لِي مُحَمَّدِيَّةً - وَكَانَ عَلَى الْخُمْسِ - وَنُوْفَلَ بْنِ الْحَارِثِ
 بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» قَالَ: فَجَاءَاهُ، فَقَالَ لِمُحْمِيَّةٍ: «أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ لِلْفَضْلِ بْنِ

عَبَّاسٍ فَأَتَكَحَهُ، وَقَالَ لِنُوفَلِ بْنِ الْحَارِثِ: «أَتَكِيحُ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ - لِي - فَأَتَكَحَنِي، وَقَالَ لِمُحْمِيَّةَ: «أُصَدِّقُ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمْسِ كَذَا وَكَذَا».

وفي صحيح البخاري برقم (١٤٨٥)، ومسلم (١٠٧٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتِي بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ».

وفي صحيح البخاري برقم (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا»، وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ.

وإن مما يدل على فضل بيت النبوة هو الصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ ففي صحيح البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيتُ كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وفي صحيح مسلم برقم (٤٠٥) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ نُصَلِّيُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَمَيَّنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ».

ولقد راعى أهل السنة والجماعة هذه الأدلة، وأدوا حقوق أهل بيت رسول الله ﷺ، ففي صحيح البخاري برقم (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٨) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَفَدْلِكَ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ يَعْنِي مَالِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَاكُلِ»، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا أَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَشْهَدَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٧٥١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.

وأبو بكر هو رأس أهل السنة بعد رسول الله ﷺ، وأحب الناس إليهم بعد رسل الله وأنبيائه عليهم السلام.

وكتب أهل السنة طافحة بفضائل أهل البيت، وسواءً منها المفرد، أو ما كان ضمن كتاب مؤلف يجمع فضائلهم وغيرهم، ولعل أحسن ما ألف في ذلك الصحيح المسند من فضائل أهل بيت النبوة لأم شعيب الوادعية جزاها الله خيرًا. ومعنى غدير قال الجوهرى في الصحاح (٢/٧٦٦-٧٦٧):

(والغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل، وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره، أو فعل من أغدره، ويقال هو فعيل بمعنى فاعل؛ لأنه يغدر بأهله أي ينقطع عند شدة الحاجة إليه.

قال الكميت:

ومن غدره نيز الأولو
ن إذ لقبوه الغدير الغدير
والجمع غدران). اهـ.

ومعنى غدير خم قال النووي في شرح مسلم (١٥/١٧٤):
ماء يدعى خُمًا بين مكة والمدينة، هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم، وهو اسم لغريضة على ثلاثة أميال من الحسنة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغريضة فيقال غدير خم). اهـ.

متى كانت خطبة رسول الله ﷺ في غدير خم؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٧/٤٤):

أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبي ﷺ بغدير خم كان مرجعه من حجة الوداع.

والشيعة تسلم هذا، وتجعل ذلك اليوم عيداً، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. اهـ.

وقال (٣١٤/٧):

ويوم الغدير إنما كان الثامن عشر من ذي الحجة بعد رجوعه من الحج وعاشوراء بعد ذلك بشهرين وبعض الثالث). اهـ.

ومن عجائب الاتفاق عجيبة أنني والله أعلم أكتب هذا الكلام في يوم الثامن عشر من ذي الحجة (١٤٢٦) عن غير قصد ولا تحري، وإنما هو موافقة.

وهذا اليوم تتخذه الشيعة والرافضة عيداً، بل هو عندهم العيد الأكبر، وهي بدعة نكراء ما أنزل بها من سلطان، ولأخينا الفاضل عبد الله الإرياني رسالة نفيسة في هذا بعنوان: إرشاد البصير لمفاسد وأضرار بدعة الاحتفال بيوم الغدير، فراجعه إن شئت.

قوله: (ويؤمنون بأن أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين بنص القرآن): قال الله تبارك وتعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٦٣٤/٣) عند الآية:

وأزواجه أمهاتهم: أي في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير.

والإكرام، والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا يتشر التحريم إلى بناتهن، وأخواتهن بالإجماع، وإن سمي بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم.

وهل يقال لمعاوية وأمثاله من أصهار رسول الله ﷺ خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنهم، ونص الشافعي رضي الله عنه على أنه يقال ذلك. وهل يقال لهن أمهات المؤمنين فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبا؟ فيه قولان: صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك، وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه.

وقد روي عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم أنها قرأت: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وروي نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه، حكاه البغوي، وغيره، واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود^(١) رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا

يستدبرها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة»
وأخرجه النسائي^(١) وابن ماجه^(٢) من حديث بن عجلان.

والوجه الثاني أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي: في حكم الله ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ أي: القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم.

قوله: (وأنهن أزواجه في الآخرة):

لقوله جل وعلا: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٧-٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

(١) برقم (٤٠).

(٢) برقم (٣١٣).

زوجات رسول الله ﷺ:

١- خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولم يتزوج عليها

حتى ماتت.

٢- سودة بنت زمعة القرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة.

٣- أم عبد الله عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق، وأحب الناس إليه، ولم

يتزوج بغيرها.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٥- زينب بنت خزيمة بن الحارث القرشية، وتوفيت عنده بعد بناء بها

بشهرين.

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية.

٧- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية.

٨- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية.

٩- صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير.

١٠- زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة.

وهي أول نساءه ﷺ لحوقاً به كما في صحيح مسلم برقم (٢٤٥٢) عَنْ عَائِشَةَ

أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِأَطْوَلُكُمْ يَدًا».

قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيُّهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا.

قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا، وَتَصَدَّقُ.

وأما ماجاء في صحيح البخاري برقم (١٤٢٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا؟ قَالَ: «أَطُولُكُمْ يَدًا»، فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذَرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةً أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لِحُوقًا بِهِ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ.

هذا وهم فيه أبو عوانه وضاح بن عبد الله اليشكري.

راجع شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٨-٩)، والمفهم (٦/٣٦٠)، والفتح (٣/٣٣٦-٣٣٨).

وآخرهن موتًا قليل أم سلمة، وقيل صفية. رضي الله عنهن جميعًا.
راجع زاد المعاد (١/١٠٥-١٠٩).

قوله: (وخصوصًا خديجة وهي أم أكثر أولاده، وأول من آمن به من النساء، وعاضدته على أمره، وكان لها منه المنزلة العلية):

بل هي أم جميع أولاده عدا إبراهيم وقد مات صغيرًا.

قال العراقي في التقييد والإيضاح (٢/٩٠٨) تحقيق أسامة الحياط:

وادعى الثعلبي المفسر فيما رويناه، أو بلغنا عنه اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو في أول من أسلم بعدها. اهـ.

ولا يبعد هذا القول ففي صحيح البخاري برقم (٣)، مسلم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ

يُخْلَو بِغَارٍ حَرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، -وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ- قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حَرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» [العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي»، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْحَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ أَمْرًا قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْخَرِجِي هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنتُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى، وَفَقَّرَ الْوَحْيُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ».

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْرِهُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُهَا فِي صَدَاقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّمَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ».

رواه البخاري برقم (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥).

قوله: (والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»):

رواه البخاري برقم (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

رواه البخاري برقم (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١).

وكان مولد عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنها بشان سنين قبل الهجرة، ومات عنها رسول الله ﷺ ولها نحو ثمانية عشر عامًا، وقد حفظت عنه شيئًا كثيرًا، وعاشت بعده قريبًا من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ

عنها، ونقلوا عنها الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا حتى قيل: ربع الأحكام الشريعة منقول عنها رضي الله عنها.

وتوفيت سنة (٥٨) وقيل بعدها، ولم تلد للنبي ﷺ على الصحيح، وكنيتها أم عبد الله.

راجع الفتح (٧/ ١٣٥) ط: دار السلام.

وأما الثريد: قال الفيومي في المصباح المنير ص ٣١-٣٢:

الثريد فعيل بمعنى مفعول، ويقال أيضًا مشرود، ويقال ثرور بالخبز ثردًا من باب فتل، وهو أن تفته ثم تبله بمرق، والاسم الثردة. اهـ.

وقال ابن منظور في لسان العرب (٢/ ٩٠):

الثرد الهشيم، ومنه قيل لما يشتم من الخبز ويبل بماء القدر وغيره ثريد.

قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٠٩):

وقيل لم يرد عين الثريد، وإنما أراد الطعام المتخذ من اللحم والثريد معًا؛ لأن الثريد لا يكون إلا من لحم غالبًا، والعرب قلما تجد طبخًا لا سيما بلحم.

ويقال: الثريد أحد اللحمين، بل للثردة والقوة إذا كان اللحم نضيجًا في المرق أكثر مما يكون في نفس اللحم. اهـ.

وقال الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وبين العلماء خلاف شهير في أيهما أفضل عائشة أم خديجة؟

فأما من حيث السبق فخديجة لها السبق والنصرة في بداية الأمر والمعونة والمواساة.

وأما من حيث العلم فلا يقارن بعائشة، فلقد كانت ربها ردت على بعض أكابر الصحابة.

وكذا الأدب الجم، والخلق السامي، والحفاوة والإكرام للنبي ﷺ، وحبها لها. وإنها أحب الناس إليه، ففي صحيح البخاري برقم (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) عَنْ أَبِي عُمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ»، فَعَدَّ رِجَالًا.

وقد يقول قائل: هذا بعد موت خديجة، فلو كانت خديجة حية لما عدل بها.

ولعل الجواب يكون: إنها بنت الصديق، ففي صحيح البخاري برقم (٢٥٨١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حَزْبَيْنِ، فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كُلَّمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيَّ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ»، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ. قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ

لَهَا: كَلِمِهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ، فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا: «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ».

قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: «يَا بَنِيَّةُ أَلَا تُحْيِينَ مَا أَحْبُّ؟» قَالَتْ: بَلَى، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتُهُنَّ، فَقُلْنَ، ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَاتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَازَلَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ: فَتَكَلَّمْتُ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنْتَهَا. قَالَتْ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ: «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ».

والخلاف في هذا شهير والخطب يسير، وإن الذي يظهر لي أن عائشة أفضل لما تقدم من الأدلة وغيرها في حب النبي ﷺ لها، وذكر فضائلها الكثيرة. وخديجة كانت محبوبة لدى النبي ﷺ، ولم يكن لها من المنزلة الرفيعة والفضل كعائشة.

هذا فيما بين عائشة وخديجة، أما فيما بين عائشة وفاطمة، ففاطمة أفضل من عائشة لا يشك في الأدلة منها:

ما في صحيح البخاري برقم (٦٢٨٥-٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُعَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامَ تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مَشْيُهَا مِنْ مَشْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا

رَأَاهَا رَحَبَ قَالَ: «مَرَحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَاهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَاهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ. فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَكَ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تَوَقَّيْتُ قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي. قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرْتَنِي. قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَرَنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جَنْرِي لَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَأَتَقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي فَإِنِّي نِعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ».

قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزْعِي سَارَرَنِي الثَّانِيَةَ قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

وغير هذا من الأدلة.

وأيضًا لشرف أصلها، والله أعلم.

قوله: (وقد برأها الله سبحانه في كتابه):

قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْئِسْتِكْمِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ
بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي
الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا
خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
* يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ * الْحَبِثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ
وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِنْ
بِقَوْلُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [النور: ١١-٢٦].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٤٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ، قَالَتْ: كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ
بِهَا مَعَهُ، فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ
الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَمِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ

غَزَوْتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ
فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ
صَدْرِي فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَطْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي
ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرَحْلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ
أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفًا لَمْ يَقْلُنَّ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ،
وَأِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِزِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ يُقَلُّ الْهُودَجُ فَاحْتَمَلُوهُ،
وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ
الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ
سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ
مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ
بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى
أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرَّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي
تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاسْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ
يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ، وَيَرِيئُونِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ
الْلُطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرُضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ
تَيْكُمُ؟» لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مُسْطَحٍ قَبْلَ الْمُنَاصِعِ
مُتَبَرِّزًا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُفَّ قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا، وَأَمْرُنَا
أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مُسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُحْمٍ نَمْشِي،

فَعَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ! أَتُسَيِّنُ رَجُلًا شَهِدَ بَذْرًا؟

فَقَالَتْ: يَا هَتَاهُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ نِيْكُكُمْ؟» فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبِيي. قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَأَتَيْتُ أَبِي فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيْتُ هَوْنِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ فَإِنَّهُ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِئْتُهُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبِتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَزِقُّ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتُ الْوُحْيَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا تَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصُدِّفُكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتَ فِيهَا شَيْئًا يَرِيْبُكَ؟»

فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنْهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟!»

فَوَاللهَ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا،
وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا وَاللهَ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ
صَرَبْنَا عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ
عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اخْتَمَلَتْهُ الْحُمِيَّةُ،
فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْرٍ فَقَالَ:
كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهَ لَنَقْتُلَنَّ فَإِنَّكَ مُتَأَفِّقٌ مُجَادِلٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ
وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هُمَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَزَلَّ فَخَفَضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا
وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَزِقْ أَلِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ
بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ قَالِقٌ كَبِيدِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،
فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِيَ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ وَلَمْ
يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي
شَيْءٌ قَالَتْ فَتَشْهَدُ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بِرِيئَةً
فَسِيرُوكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا
اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ
لَأَيِّ: أَحِبُّ عَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَاللهَ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ،

فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَحْيِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَّةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرْتُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ
لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبِرْ
بِهَيْمِلٍ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو
أَنْ يُبْرِئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَخِيَا، وَلَا أَنَا أَخْفَرُ فِي نَفْسِي مِنْ
أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا
يُبْرِئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزَلَ عَلَيْهِ
الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ
فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ
بِهَا أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ اخْدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَأَكَ اللَّهُ».

فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحَدٌ
إِلَّا اللَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] الْآيَاتِ.
فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى
مِسْطَحِ بْنِ أُمَاةٍ لِقَرَاتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ

رَحِيمٌ» [النور: ٢٢]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحَ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتُ مَا رَأَيْتُ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ.
قوله: (وهي زوجته في الدنيا والآخرة):

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (٣٧٧٢) عَنِ الْحَكَمِ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارًا وَالْحَسَنَ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ، خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ يَأْيَاهَا.

قوله: (فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله بالعظيم وكذب بكتابه الحكيم):

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (١/١٠٦):

واتفقت الأمة على كفر قاذفها.

وهي أفقه نسائه، وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها، ويستفتونها.

قوله: (ويتبرؤون من طريق الراوفض، والشيعية الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب، والخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول، أو عمل):
تقدم الكلام على هذا.

النواصب هم: الذين نصبوا العداء لأهل بيت النبوة، لا سيما علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وانظر القاموس المحيط (ص ١٧٦).

قوله: (ويمسكون عما شجر بين الصحابة بينهم ويقولون: إن هذه الآثار المروية منها ما هو كذب، ومنها ما هو قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منها هم فيه معذرون، إما مجتهدون مصيبون، أو إما مجتهدون مخطئون):

ففي صحيح البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

وهذا هو الذي يدل عليه حال الصحابة رضي الله عنهم، فإن المتبع لسيرتهم، ولما حصل بينهم من خلاف أنهم يدورون حول هذا، كلهم مجتهد فينصيب باجتهاده له أجران، ومخطئ له أجر الاجتهاد.

قوله: (وهم مع ذلك يعتقدون):

تجدد الإشارة هنا - حتى لا يغفل - أن المراد بهم مع ذلك يعتقدون أن المراد أهل السنة والجماعة.

قوله: (أن كل أحد من الصحابة ليس معصوماً عن كبائر وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة).

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر، حتى أنهم يغفر لهم من السيئات من لا يغفر لمن بعدهم.

ولهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وكلهم عدول بتعديل رسول الله ﷺ:

سيأتي بعض الأدلة على تعديلهم وفضلهم.

قوله: (وقد ثبت في قوله ﷺ أنهم «خير القرون»):

رواه البخاري برقم (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

في رواية لمسلم (٢٥٢٣) - ٢١٠: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي...».

وعند البخاري برقم (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) - ٢١٤ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَذْرِي أَذْكَرَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَقُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».

وفي رواية للبخاري برقم (٣٦٥٠): «خَيْرُ أُمَّتِي...».

وكذا في مسلم (٢٥٣٥) - ٢١٥ بلفظ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّة».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٥٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ».

وفي مسلم رقم (٢٥٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذْكَرَ الثَّلَاثِ أَمْ لَا؟، قَالَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا».

وفي مسلم (٢٥٣٦) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ».

أما اللفظ ذكره المصنف، فرواه أبو نعيم في «الحلية» (١٧٢/٤) قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: ثنا الحسن بن علي بن الوليد قال: ثنا الفيض بن الوثيق قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم صاحب البان قال: ثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «خير القرون القرن الذي أنا فيهم، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع لا يعبا الله بهم شيئاً».

وقال أبو نعيم عقبه: غريب من حديث الأعمش، لم يروه عنه إلا إسحاق. اهـ والفيض بن الوثيق قال ابن معين: كذاب خبيث. وقال الذهبي: قد روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم، وهو مقارب الحال إن شاء الله. كما في «الميزان». فالجرح فيه مفسر، فهذا اللفظ ضعيف جداً.

قوله: (وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً):

رواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) أبي سعيد رضي الله عنه.

ورواه مسلم (٢٥٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال أبو مسعود الدمشقي في حديث أبي هريرة: إنه وهم، وصوب حديث أبي سعيد، وكذا الدار قطني كما في شرح النووي على مسلم (٣٠٩/١٦).
قوله: (فمن بعدهم):

هذه اللفظة في الواسطية (من بعدهم) ومنها - أي الواسطية - نقل المؤلف.
وهذا ما يدل عليه السياق؛ أن نفقة المد للصحابي أفضل من مثل جبل أحد ذهباً من بعد الصحابة.

قوله: (ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته):

ولولم يكن لهم إلا صحبة رسول الله ﷺ لكان فضيلة عظيمة، فكيف بالنصرة والجهاد بالنفس والمال، والذب عن الإسلام، وحماه، والدفاع عنه، وغيرها من الفضائل والمناقب العظام التي حصلت لهم رضوان الله عليهم أجمعين.

قوله: (أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته):
وإذا كانت الشفاعاة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ فما بالك بأصحاب الصغائر؟ فكيف بأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين؟

قوله: (أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه):

أخرج البخاري برقم (١٨)، ومسلم (١٧٠٩) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّبَّاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا،

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بَبْهَتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَرَّهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ.

فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

رواه البخاري برقم (٥٦٤٢)، ومسلم برقم (٢٥٧٣)، وقد جاء عن غيرهما.

قوله: (فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف في الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور): أضف إلى ذلك مكفرات الذنوب الأخرى كالإيمان، والتوحيد، والصلاة، والحج، والزكاة، والهجرة، والجهاد، وغيرها من سائر الأعمال الصالحة، منها التوبة والاستغفار والخوف من الله ولو استقصينا أدلة ذلك لطال المقام جدًا.

قوله: (ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل، فوزره مغفور في جنب فضائلهم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله): أي في سبيل الله جل وعلا.

قوله: (وبالأنفس والأموال، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، والنصيحة لخلق الله):

حقيقة لقد جمع الصحابة رضي الله عنهم هذه الخصال التي هي أفضل الخلال، فلا يلحقهم من بعدهم سواء كان على مهل أو استعجال.

قوله: (ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة):

أي ومن تأمل بعلم حالهم وسيرتهم، وبفهم صحيح غير متلوث ببدعة.

قوله: (وما من الله به عليهم من الفضائل):

أي وما أنعم الله به عليهم وخصهم به دون من سواهم.

قوله: (والكرامات، ورفيع الدرجات في الدنيا والآخرة، علم يقيناً وعياناً بلا

ريب ومريّة):

أي بلا شك، والريب والمريّة بمعنى واحد.

قوله: (أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، ولم يكن ولا يكون مثلهم أبداً، وأنهم

الصفوة من هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله):

وإذا أردت أن تعرف مزيداً وتفصيلاً في فضائل الصحابة جملة أو تفصيلاً ففي

كتاب الله آيات كثيرة في ذلك، وفي صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي

ﷺ، وكتاب مناقب الأنصار، وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، وفي

كتب السنن والمسانيد والمعاجم، وكتب العقائد الخير الكثير.

وقد أفرَدت كتب كثيرة في فضائل الصحابة من المتقدمين والمتأخرين على

عمومهم أو خصوص بعضهم، ومن أحسنها كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد

رحمه الله، إلا أنه ذكر فيه الصحيح، والضعيف.

والموضوع لا زال يحتاج إلى جمع مع تحري الصحة يتحرى فيه مؤلفه الصحة،
ويجمع كل ما ثبت في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد جمع بعضهم
الصحيح المسند في ذلك إلا أنه فاته كثير والله المستعان.

قوله: (وبالجملة: فكل من شهد له منهم رسول الله ﷺ بالجنة شهدنا له، ولا
نشهد لأحد غيرهم، بل نرجوا للمحسنين، ونخاف على المسيئ، ونكل علم الخلق
إلى خالقه):

أما من ثبت الدليل على تعيينه أنه من أهل الجنة فلا يسعنا إلى التسليم والانقياد
والإذعان، وأما من لم يدل دليل على تعيينه أنه في الجنة فلا نعيه، لكن نشهد
للصحابة عموماً أنهم في الجنة، وكذا المؤمنون بالجملة في الجنة.

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته:

ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٣٧٨):

يريد: أننا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة يريد أنا لا نقول عن أحد معين
من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه
من أهل الجنة، كالعشرة رضي الله عنهم، وإن كنا نقول إنه لا بد أن يدخل النار من
أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكننا نقف
في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم لأن الحقيقة باطنة وما
مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين^(١) أنه مر بجنائز فأتوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: «وجبت» ومر بأخرى فأتى عليها بشر، فقال: «وجبت»، وفي رواية كرر وجبت ثلاث مرات، فقال عمر يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أثبتتم عليه خيرًا، وجبت له الجنة، وهذا أثبتتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

وقال ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن، والثناء السيء»^(٢) فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة، وأهل النار. اهـ.

والقول الثاني هو الصحيح، الذي تدل عليه الأدلة، والحمد لله.

قوله: (ولا يحكمون بالجنة لأحد بعينه من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء):

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٧) ومسلم برقم (٩٤٩) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) ضعيف، رواه أحمد (٤١٦/٣) عن أبي زهير الثقفي رضي الله عنه، وفي سنده أبو بكر بن أبي زهير مجهول حال، ويغني عنه سابقه من حديث أنس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قوله: (ويقولون: أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم على المعاصي، وإن شاء غفر لهم):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والمسألة قد ذكرت أدلتها في الجامع الصحيح في توحيد رب العالمين.

قوله: (ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قومًا من الموحدين من النار، على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ):

هذه مسألة الشفاعة، وقد تقدمت بها يغني عن إعادتها هنا.

قوله: (فالزم):

لزوم الشيء عدم مفارقتها.

قوله: (رحمك الله ما ذكرت من كتاب ربك العظيم، وسنة نبيك الرؤوف

الرحيم، ولا تحد بقول أحد وعمله):

أي لا ولا تمل عن إتباع كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ لقول أحد أيًا كان في

الرفعة أو الضعة أو لفعله، فترى شخصًا ما يخالف الدليل وتتبعه، أو تحسن به الظن

فتقول لعله ما فعله إلا لمعرفته بالدليل الذي يخفى عليّ، واعلم أن الحجة في الدليل

لا فيما سواه من أقوال الرجال، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢].

وقال جلا في علاه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

قوله: (ولا تتبغى الهدى من غيره):

ولا تطلب الهداية والرشاد في غير الكتاب والسنة.

قوله: (ولا تغتر بزخارف المبطلين):

فاحذر أخي المسلم أن تنخدع بتزيين أهل الباطل لباطلهم، ويندر أن ترى مبطلًا إلا وهو يزين باطله للناس ظاهرًا أو باطنًا، سرًا أو جهراً، هنا أو هناك، عندك أو عند غيرك، ولذا فاحذر هؤلاء، وليكن قائدك ورائدك هو الدليل، ولا تنخدع بتحسين أهل الباطل للقبائح والمعاصي والمنكرات.

قوله: (وانتحالهم):

أي ودعائاتهم، والنحلة الدعوى، وانتحل فلان شعر فلان، أو قول فلان إذا أدعاه أنه قائله، كما في لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٧٤).

قوله: (وآراء المتكلمين المتكلفين وتأويلهم):

تقدم ما نقله المؤلف عن الشافعي أنه قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید والنعال، ويطاف بهم في العشائر والأسواق... إلخ.

فعلم أهل الكلام جهل، وجهلهم الذي يجهلونه هو العلم الذي فاتهم، وهم أصحاب آراء فاسدة، بل هذا هو أساس علمهم وتكلف وتطلع، وربنا سبحانه

وتعالى يقول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾
[الفرقان: ٧٥].

في صحيح مسلم برقم (٢٦٧٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا.

وأصحاب تأويل وتحريف الظاهر الدلالة والصريح المعنى والنص في الموضوع، فكيف إذا أخفي النص، أو ضعفت الدلالة، فلذا فالسلامة لك أيها المسلم بالبعد والحذر كل الحذر، بل والتنفير عنهم، والبغض لهم قربة إلى الله، لا تنسى أن تتقرب بها إلى الله.

قوله: (إن الرشد والهدى والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله، لا فيما أحدثه المحدثون، وأتى به المتنتعون من آرائهم المضمحلة، وعقولهم الفاسدة. وارضَ بكتاب الله وسنة رسوله بدلاً من قول كل قائل، وزخرف باطل).

كرامات الأولياء

قوله: (ومن أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء):

قال الطحاوي في عقيدته:

ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من روايتهم.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/٧٤٦):

المعجزة في اللغة: تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما؛ فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعها الأمر الخارق للعادة.

وهو منقول من كلام شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١١/٣١١-٣١٢).

أما الولي: فهو المؤمن المتقي، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وهذا أحسن تعريف للولي بالدليل نفسه.

قوله: (وما يجري الله على أيديهم من خوارق وعادات في أنواع العلوم، والمكشفات، والتأثيرات):

قال القرطبي (١١/٣٠):

والفرق بين المعجزة والكرامة: أن الكرامة من شرطها الاستتار، والمعجزة من شرطها الإظهار، وقيل الكرامة ما تظهر من غير دعوى، والمعجزة ما تظهر عند دعوى الأنبياء فيطالبون بالبرهان فيظهر أثر ذلك. اهـ.

والكشف ضد الخفي، وهو أن يظهر الإنسان ما لا يظهر لغيره فيقع له ما يبعد وقوعه.

أما التأثير: فهذه عبارة شيخ الإسلام تصرف فيها المصنف، ولفظ شيخ الإسلام: وأنواع القدرة والتأثيرات. اهـ

قلت: وهي أن يقدر الإنسان على فعل شيء، أو التأثير فيه، مما لم يكن له قدرة عليه أو تأثير في العادة، كهز مريم عليها السلام للجذع وغيرها.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

قال الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٩٢-٤٩٤):

يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع. فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤]، إلى أن قال: ﴿وَيَسْأَلُوكَ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة).

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه، والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعاً لهواه، بغير هدى من الله، وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شبيه بقول الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَغَلَمْ حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتُهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم. ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء. ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسول إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء! ويدّعي لنفسه أنه خاتم الأولياء.

ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مبين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تُختم! وادّعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقام النبوة في برزخ فُويق الرسول ودون الولي!

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي أيضًا في «فصوصه»: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبّ فراها قد كملت إلّا موضع لبنة، فكان هو ﷺ اللبنة، وأما خاتم الأولياء فلا بدّ له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين، ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فتكمل الحائط!

والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين، أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبننة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في السرّ ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بدّ أن يراه هكذا، وهو موضع اللبننة الذهبية في الباطن! فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول ﷺ، قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع.

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبننة ذهب، وللرسول المثل بلبننة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟

تلك أمانتهم: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه

ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير.

وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ وبيطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم؛ فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد. اهـ

قوله: (كالمأثور عن سلف الأمة وأئمتها):

كقصة أسيد بن حضير، فعن أبي سعيد الخدري، أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقراً، ثم جالت أخرى فقراً، ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ بحجى، فقمْتُ إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارية من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فأنصرفت وكان يحجى قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم».

رواه مسلم برقم (٧٦٩) وعلقه البخاري برقم (٥٠١٨).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فَقَرَاءَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُذْهِبْ بِثَلَاثَةٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةٍ فَلْيُذْهِبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ».

وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرَةٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ، قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي وَلَا أَذْرِي هَلْ قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْنِنَا وَيَبْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ، أَوْ قَالَتْ: ضَيْفُكَ؟

قَالَ: أَوْ مَا عَشَّيْتَهُمْ؟ قَالَتْ: أَبُوءَا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَعَلَبُواهُمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، وَقَالَ: يَا غُنْثَرُ فَجَدِّعْ وَسَبِّ وَقَالَ: كُلُّوْا لَا هَنِيئًا، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَابْتَغِ اللَّهَ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ، قَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا، وَقَرَّةٌ عَيْنِي لَهَا الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَارٍ، قَالَ: فَأَكَلْ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ -يَعْنِي يَمِينَهُ- ثُمَّ أَكَلْ مِنْهَا لُقْمَةً ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلَ فَعَرَفْنَا أَنَّا عَشَرُ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْاسُ اللَّهِ أَعْلَمَ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

رواه البخاري برقم (٦٠٢) ومسلم برقم (٢٠٥٧).

وَعَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوْفَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ» فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيْنَهُ بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمَّ بَصَرُهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا».

قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيَّنَّا هِيَ تَمَثِّي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. رواه البخاري برقم (٣١٩٨) ومسلم برقم (١٦١٠).

وهذا كثير وهذه نماذج.

قوله: (وسالف الأمم في سورة الكهف):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ

يُضِلُّ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَلَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا
لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا *
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا *
وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ
بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ
إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِثْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ
يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا
* قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿[الكهف: ٩-٢٦].﴾

قوله (وسورة مريم):

قال الله جل في علاه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا
* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا *

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ
 عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
 مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ
 نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزِي إِلَيْكِ
 بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَمِيمًا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ
 الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا
 تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا
 كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنَّي
 عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
 وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ
 يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
 * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ [مريم: ١٦-٣٧].

قوله: (وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون
 الأمة، وهي موجودة فيها إلى قيام الساعة):
 وإنكاركرامات الأولياء الثابتة حرام، ورد للأدلة من الكتاب والسنة، وتكذيب
 للواقع، ورد للحق، ودفع له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في النبوات (ص ١٥-١٦):

قالت طائفة: لا تحرق العادة إلا لنبي، وكذا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين.

وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره..... إلخ.
ولذا فإنه يلزم التفريق بين كرامات الأولياء وخوارق العادات، وبين سحر السحرة ودجل الدجالين من غلاة الصوفية المارقين، وزنادقة الرافضة الضالين.

مجل الفرق بين النبوة وغيرها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في النبوات (ص ٤٣٩-٤٤٩):
فالنبوة لا تنال بكسب العبيد، ولا آياتها تحصل بكسب العباد، وهذا من الفرق بين آيات الأنبياء وبين السحر والكهانة، وبينهما فروق كثيرة أكثر من عشرة.
أحدها: أن ما تخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً، وأما ما يخبرهم به من خالفهم من السحرة والكهان وعباد المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والفجور من المسلمين فإنه لا بد فيه من الكذب.

الثاني: أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل، ولا تفعل إلا العدل، وهؤلاء المخالفون لهم لا بد لهم من الظلم، فإن من خالف العدل لا يكون إلا ظالماً فيدخلون في العدوان على الخلق، وفعل الفواحش والشرك، والقول على الله بلا علم وهي المحرمات التي حرمها الله مطلقاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الثالث: أن ما يأتي به من يخالفهم معتاد لغير الأنبياء، كما هو معتاد للسحرة، والكهان، وعباد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل البدع والفجور.

وآيات الأنبياء هي معتادة أنها تدل على خبر الله وأمره على حكمه، فتدل على أنهم أنبياء، وعلى صدق من أخبر بنبوتهم سواء كانوا هم المخبرين، أو غيرهم وكرامات الأولياء هي من هذا، فإنهم يخبرون بنبوة الأنبياء، وكذلك أشرط الساعة هي أيضًا تدل على صدق الأنبياء إذ كانوا قد أخبروا بها، فالذي جعله أولئك من كرامات الأولياء وأشرط الساعة ناقضًا لآيات الأنبياء إذ هو من جنسها ولا يدل عليها، فأولئك كذبوا بالموجود، وهؤلاء سوا بين الآيات وغيرها، فلم تكن في الحقيقة عندهم آية، وكانت الآيات عند أولئك منتقضة، وأولئك نصرروا جهلهم بالتكذيب بالحق، وهؤلاء نصرروا جهلهم أيضًا بقول الباطل، فقالوا: إن الآية هي المقرونة بالدعوى التي لا تعارض وزعموا أنه لا يمكن معارضة السحر والكهانة إذا جعل آية، وأنه إذا لم يعارض كان آية، وهو تكذيب بالحق أيضًا، فإنه قد ادعاه غير نبي ولم يعارض، فالطائفتان أدخلت في الآيات ما ليس منها وأخرجت منها ما هو منها، فكرامات الأولياء وأشرط الساعة من آيات الأنبياء وأخرجوها، والسحر والكهانة ليس من آياتهم وأدخلوها أو سوا بينها وبين الآيات، بل ونوابها.

الرابع: أن آيات الأنبياء والنبوة لو قدر أنها تنال بالاكْتِسَاب فهي إنما تنال بعبادة الله وطاعته، فإنه لا يقول عاقل أن أحدًا يصير نبيًا بالكذب والظلم، بل بالصدق والعدل سواء قال: أن النبوة جزاء على العمل، أو قال: أنه إذا زكى نفسه فاض عليه ما يفيض على الأنبياء، فعلى القولين هي مستلزمة لالتزام الصدق والعدل، وحينئذٍ

فيمتنع أن صاحبها يكذب على الله، فإن ذلك يفسدها بخلاف من خالف الأنبياء من السحرة والكهان وعباد المشركين وأهل البدع والفجور من أهل الملل وأهل الكتاب والمسلمين، فإن هؤلاء تحصل لهم الخوارق مع الكذب والإثم، بل خوارقه مع ذلك أشد؛ لأنهم يخالفون الأنبياء، وما ناقض الصدق والعدل لم يكن إلا كذباً وظلماً، فكل من خالف طريق الأنبياء لا بد له من الكذب والظلم إما عمداً وإما جهلاً.

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، ليس من شرطه أن يتعمد الكذب، بل من كان جاهلاً يتكلم بلا علم فيكذب، فإن الشياطين تنزل عليه أيضاً إذ من أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه من غير اجتهاد يعذر به فهو كذاب، ولهذا يصف الله المشركين بالكذب وكثير منهم لا يتعمد ذلك، وكذلك قال النبي ﷺ لما أفتى أبو السنابل بأن المتوفى عنها الحامل لا تحل بوضع الحمل، بل تعتد أبعد الأجلين، فقال: «كذب أبو السنابل»^(١)، أي في قوله بأن المتوفى عنها الحامل لا تحل بوضع الحمل، بل تعتد أبعد الأجلين، وكذلك لما قال بعضهم ابن الأكوع حبط عمله قال النبي ﷺ: «كذب من قالها، إنه لجاهد مجاهد»^(٢).

ونظائره كثيرة، فالأنبياء لا يقع في إخبارهم عن الله كذب لا عمداً ولا خطأ، وكل من خالفهم لا بد أن يقع في خبره عن الله كذب ضرورة، فإن خبره إذا لم يكن مطابقاً

(١) رواه البخاري برقم (٤٩١٠) ومسلم برقم (١٤٨٥) من حديث سبيعة الأسلمية رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٨٩١) ومسلم برقم (١٨٠٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

لخبرهم كان مخالفاً له فيكون كاذباً، فالذي تنزل عليه الشياطين إذا ظن واعتقد أنهم جاءوا من عند الله وأخبر بذلك كان كاذباً، وكذلك إذا قال عما أوحوه إليه: إن الله أوحاه إليه كان كاذباً قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ولما شاع خبر المختار بن أبي عبيد وهو أول من ظهر في الإسلام بالكذب في هذا، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في ثقيف كذاب ومبير»^(١) فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد وكان يتشيع لعلي، ولهذا يوجد الكذب في الشيعة أكثر مما يوجد في جميع الطوائف، والمير هو الحجاج بن يوسف وكان ظالماً معتدياً وكان يتشيع لعثمان، والمختار يتشيع لعلي، فذكر لابن عمر وابن عباس أمر المختار، وقيل لأحدهما: إنه يزعم أنه يوحى إليه فقال: صدق: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقيل للآخر: إنه يزعم أنه ينزل عليه فقال: صدق: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

الخامس: أن ما يأتي به السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل لا يخرج عن كونه مقدور للإنس والجن، وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيِّنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

السادس: أن ما يأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسول تمكن معارضته بمثله وأقوى منه كما هو الواقع لمن عرف هذا الباب، وآيات الأنبياء لا يمكن أحدًا أن يعارضها لا بمثلها ولا بأقوى منها، وكذلك كرامات الصالحين لا تعارض لا بمثلها ولا بأقوى منها، بل قد يكون بعض الآيات أكبر من بعض، وكذلك آيات الصالحين لكنها متصادقة متعاونة على مطلوب واحد وهو عبادة الله وتصديق رسله، فهي آيات ودلائل وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد والأدلة بعضها أدل وأقوى من بعض، ولهذا كان المشايخ الذين يتحاسدون ويتعادون ويقهر بعضهم بعضًا بخوارقه إما بقتل وإمراض، وإما بسلب حاله وعزله عن مرتبته، وإما غير ذلك خوارقهم شيطانية ليست من آيات الأنبياء والأولياء، وكثير من هؤلاء يكون في الباطن كافرًا منافقًا، وكثير منهم يموت على غير الإسلام، وكثير منهم يكون مسلمًا مع ظلم يعرف أنه ظلم، ومنهم من يكون جاهلًا يحسب أن ما هو عليه مما أمر الله به ورسوله هذا كما يقع للملوك المتنازعين على الملك من قهر بعضهم لبعض، فهذا خارج عن سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين.

السابع: أن آيات الأنبياء هي الخارقة للعادات عادات الإنس والجن بخلاف خوارق مخالفهم، فإن كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء، وآيات الأنبياء ليست معتادة لغير الذين يصدقون على الله ويصدقون من صدق على الله وهم الذين جاءوا بالصدق وصدقوا، وتلك معتادة لمن يفترى الكذب على الله أو يكذب بالحق لما جاءه فتلك آيات على كذب أصحابها، وآيات الأنبياء آيات على صدق أصحابها، فإن الله سبحانه لا يخلي الصادق مما يدل على صدقه ولا يخلي الكاذب مما يدل على

كذبه إذ من نعته ما أخبر به في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، ثم قال خبراً مبتدئاً: ﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى: ٢٤].

فهو سبحانه لا بد أن يمحق الباطل ويحق الحق بكلماته.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٨].

كما أخبر في موضع أنه لم يخلق الخلق عبثاً ولا سدى، وإنما خلقهم بالحق وللحق، فلا بد أن يجزي هؤلاء وهؤلاء بإظهار صدق هؤلاء، وإظهار كذب هؤلاء كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

الثامن: أن هذه لا يقدر عليها مخلوق، فلا تكون مقدورة للملائكة ولا للجن ولا للإنس، وإن كانت الملائكة قد يكون لهم فيها سبب بخلاف تلك، فإنها إما مقدورة للإنس أو للجن أو مما يمكنهم التوصل إليها بسبب، وأما كرامات الصالحين فهي من آيات الأنبياء كما تقدم، ولكن ليست من آياتهم الكبرى، ولا يتوقف اثبات النبوة عليها، وليست خارقة لعادة الصالحين، بل هي معتادة في الصالحين من أهل الملل في أهل الكتاب والمسلمين وآيات الأنبياء التي يختصون بها خارقة لعادة الصالحين.

التاسع: أن خوارق غير الأنبياء والصالحين من السحرة والكهان وأهل الشرك والبدع تنال بأفعالهم لعباداتهم ودعائهم وشركهم وفجورهم ونحو ذلك، وأما

آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك، بل الله يفعلها آية وعلامة لهم، وقد يكرمهم بمثل كرامات الصالحين، وأعظم من ذلك مما يقصد به إكرامهم، لكن هذا النوع يقصد به الإكرام والدلالة بخلاف الآيات المجردة كانشقاق القمر وقلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله به، فأمر الآيات الى الله لا إلى اختيار المخلوق، والله يأتي بها بحسب علمه وحكمته وعدله ومشيتته ورحمته كما ينزل ما ينزله من آيات القرآن، وكما يخلق من يشاء من المخلوقات بخلاف ما حصل باختيار العبد إما لكونه يفعل ما يوجهه أو يدعوه الله به فيجيبه فالخوارق التي ليست آيات تارة تكون بدعاء العبد والله تعالى يجيب دعوة المضطر وإن كان كافراً، لكن للمؤمنين من إجابة الدعاء ما ليس لغيرهم، وتارة تكون بسعيه في أسبابها مثل توجهه بنفسه وأعوانه وبمن يطيعه من الجن والإنس في حصولها، وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك.

العاشر: أن النبي قد خلت من قبله أنبياء يعتبر بهم، فلا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء من عبادة الله وحده، والعمل بطاعته والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل، فلا يمكن خروجه عما اتفقت عليه الأنبياء، وأما السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل فإنهم يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء فكلهم يشركون مع تنوعهم ويكذبون ببعض ما جاء به الأنبياء، والأنبياء كلهم منزهون عن الشرك وعن التكذيب بشيء من الحق الذي بعث الله به نبياً، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١-١٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿الشورى: ١٣﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٣].

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢-٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

فالأنبياء يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد، وكما صدق محمد جميع النبيين قبله ولهذا يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والأنبياء وأتباعهم كلهم مؤمنون مسلمون يعبدون الله وحده بما أمر ويصدقون بجميع ما جاءت به الأنبياء، ومن خالفهم لا يكون إلا مشركاً ومكذباً ببعض ما أنزل الله، وبين الطائفتين فروق كثيرة غير خوارق العادات.

الحادي عشر: أن النبي هو وسائر المؤمنين لا يخبرون إلا بحق، ولا يأمرون إلا بعدل، فيأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويأمرون بمصالح العباد في المعاش والمعاد، ولا يأمرون بالفواحش ولا الظلم ولا الشرك ولا القول بغير علم، فهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتبديلها وتغييرها، فلا يأمرون إلا بما يوافق المعروف في العقول الذي تتلقاه القلوب السليمة بالقبول، فكما أنهم هم لا يختلفون فلا يناقض بعضهم بعضاً، بل دينهم وملتهم واحد وإن تنوعت الشرائع فهم أيضاً موافقون لموجب الفطرة التي فطر الله عليها عباده، موافقون للأدلة العقلية لا يناقضونها قط، بل الأدلة العقلية الصحيحة كلها توافق الانبياء لا تخالفهم، وآيات الله السمعية والعقلية العيانية والسماعية كلها متوافقة متصادقة متعاضة لا يناقض بعضها بعضاً كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع، والذين يخالفون الأنبياء من أهل الكفر وأهل البدع كالسحرة والكهان وسائر أنواع الكفار والمبتدعين من أهل الملل أهل العلم وأهل العبادة فهؤلاء مخالفون للأدلة السمعية والعقلية للسماعية والعيانية مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿كُلَّمَا

أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨] الآية.

فهؤلاء يخالفون أقوال الأنبياء إما بالكذب، وإما بالتحريف من التأويل، وإما بالإعراض عنها وكتماها، فأما أن لا يذكروها، أو يذكروا ألفاظها ويقولون: ليس لها معنى يعرفه مخلوق كما أخبر الله عن أهل الكتاب أن منهم من يكذب في اللفظ، ومنهم من يحرف الكلم في المعنى، ومنهم بجهال لا يفقهون ما يقرأون قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]، إلى قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وكذلك هم مخالفون للأدلة العقلية، فالأنبياء كاملو الفطرة وبصروا الخلق كما تقدم في صفة محمد ﷺ أن الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، ومخالفوهم يفسدون الحس والعقل كما أفسدوا الأدلة السمعية، والحس والعقل بهما تعرف الأدلة والطرق ثلاثة الحس، والعقل، والخبر، فمخالفوا الأنبياء أفسدوا هذا وهذا، وهذا أما إفسادهم لما جاء عن الأنبياء فظاهر، وأما إفسادهم للحس والعقل فإنهم قسمان:

١- قسم أصحاب خوارق حسية كالسحرة والكهان وضلال العباد.

٢- وقسم أصحاب كلام واستدلال بالقياس والمعقول.

وكل منهما يفسد الحس والعقل، أما أصحاب الحال الشيطاني فقد عرف أن السحر يغير الحس والعقل حتى يخيل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو، وكذلك سائر الخوارق الشيطانية لا تأتي إلا مع نوع فساد في الحس أو العقل كالموهين الذين لا تأتيهم إلا مع زوال عقولهم، وآخرين لا تأتيهم إلا في الظلام، وآخرين تتمثل لهم الجن في صورة الإنس فيظنون أنهم إنس أو يرونهم مثال الشيء فيظنون أن الذي

رأوه هو الشيء نفسه، أو يسمعونهم صوتًا يشبه صوت من يعرفونه فيظنون أنه صوت ذلك المعروف عندهم، وهذا كثير موجود في أهل العبادات البدعية التي فيها نوع من الشرك ومخالفة للشريعة.

وأما أصحاب الكلام والمقال البهتاني فإنهم بنوا أصولهم العقلية وأصول دينهم الذي ابتدعوه على مخالفة الحس والعقل فأهل الكلام أصل كلامهم في الجواهر والأعراض مبني على مخالفة الحس والعقل فانهم يقولون: إنا لا نشهد، بل ولا نعلم في زماننا حدوث شيء من الأعيان القائمة بنفسها، بل كل ما نشهد حدوثه بل كل ما حدث من قبل أن يخلق آدم إنما تحدث أعراض في الجواهر التي هي باقية لا تستحيل قط بل تجتمع وتنفرد، والخلق عندهم الموجود في زماننا إنما هو جمع وتفريق لا ابتداء عين وجوهر قائم بنفسه، ولا خلق لشيء قائم بنفسه لا إنسان ولا غيره، وإنما يخلق أعراضًا ويقولون: أن ما تشاهده من الأعيان فإنها مركبة من جواهر كل جوهر منها لا يتميز يمينه عن شماله، وهذا مخالفة للحس والعقل كالأول، ويقول كثير منهم: إن الأعراض لا تبقى زمانين. ويقولون: أنه لا يفنى ويعدم في زماننا شيء من الأعيان، بل كما لا يحدث شيء من الأعيان لا يفنى شيء من الأعيان، فهذا أصل علمهم ودينهم ومعقولهم الذي بنوا عليه حدوث العالم وإثبات الصانع، وهو مخالف للحس والعقل، ويقول الذين يثبتون الجوهر: الفرد أن الفلك والرحى وغيرهما يتفكك كلما استدار، ويقول كثير منهم: إن كل شيء فإنه يمكن رؤيته وسمعه ولمسه إلى غير ذلك من الأمور التي جعلوها أصول علمهم ودينهم وهي مكابرة الحس والعقل.

والمتفلسفة أضل من هؤلاء؛ فإنهم يجعلون ما في الذهن ثابتاً في الخارج، فيدعون أن ما يتصوره العقل من المعاني الغائبة الكلية موجودة في الجواهر قائمة بأنفسها إما مجردة عن الأعيان، وإما مقترنة بها، وكذلك العدد والمقدار والخلاء والذهب والمادة يدعون وجود ذلك في الخارج، وكذلك ما يثبتونه من العقول، والعلة الأولى الذي يسميه متأخروهم واجب الوجود، وعامة ما يثبتونه من العقليات إنما يوجد في الذهن، فالذي لا ريب في وجوده نفس الإنسان وما يقوم بها، ثم ظنوا ما يقوم بها من العقليات موجوداً في الخارج، فكان إفسادهم للعقل أعظم كما أن إفساد المتكلمين للحس أعظم، مع أن هؤلاء المتفلسفة عمدتهم هي العلوم العقلية، والعقليات عندهم أصح من الحسيات، وأولئك المتكلمون أصول علمهم هي الحسيات، ثم يستدلون بها على العقليات، وبسط هذه الأمور له موضع آخر.

والمقصود هنا التنبيه على أن من خالف الأنبياء فإنه كما أنه مكذب لما جاءوا به من النبوة والسمع، فهو مخالف للحس والعقل، فقد فسد عليه الأدلة العقلية والنقلية، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

وقال رحمه الله (ص ١٦):

وهكذا الأولياء إنما خرقت لهم لمتابعتهم الرسول، فكما أن ما تقدمه فهو معجزاته فكذلك ما تأخر عنه.... إلخ.

وكلام المؤلف رحمه رد على المعتزلة في ردهم كرامات الأولياء كما في شرح الطحاوية (ص ٤٩٨).

قال القرطبي في تفسيره (٢٨/١١):

كرامات الأولياء ثابتة على ما دلت عليه الأخبار الثابتة، والآيات المتواترة، ولا ينكرها إلا المبتدع الجاحد، أو الفاسق الحائد... إلخ.

قوله: (والكشف والكرامة ليس بحجة في أحكام الشريعة المطهرة، وخاصة فيما يخالف ظاهر الكتاب والسنة).

ولا يمتاز صاحب الولاية والكرامة عن أحاد المسلمين في شيء من الزي: أي في الهيئة، أو الملبس ونحوهما.

قوله: (والعمل والقول):

يعني سوى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح.

قوله: (ولا يختص بالنذر وغيره مما ينبغي لله سبحانه):

أراد المصنف رحمه الله بهذا الرد على بعض طوائف المبتدعة من الصوفية، والشيعة، وغيرهم؛ الذين يصرفون شيئاً مما يجب لله وحده سبحانه، كالنذر يصرفونه للأولياء، وهذا محرم، فالولي لا يختص دون سائر المسلمين بشيء، لا يجوز صرفه إلا لله تعالى.

فالولي عبد لله يجب عليه طاعة الله، والانقياد له، والتواضع: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٧٥].

والنذر عبادة وصرفه لغير الله شرك، وله فصل مستقل يأتي والحمد لله.

أضف إلى ذلك ما يفعله من المنكرات من البناء على قبورهم، وبها دفنوه في المسجد، والدعاء عند قبره، وربيا الطواف بغيره عياداً بالله، وربنا جل وعلا يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

ويقول: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣]. وأدلة التوحيد في هذا الباب من السنة ذكرتها في الجامع الصحيح توحيد رب العالمين. على أننا ننازع في كثير من هؤلاء الذين يدعون أنهم أولياء وليسوا كذلك، بل هم دجاجلة، وبعضهم سحرة ومشعوذون، أو مبتدعة والله المستعان.

قوله: (قال محمد بن ناصر الحازمي: الذي يجب للأولياء المتقين لا المبتدعين

هو: المحبة، والتوقير، والتعظيم):

أي الإجلال لهم، والتقدير؛ بغير إطراء.

قوله: (والاتباع):

أي لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، والدليل بخلاف هذا الذي قاله الحازمي، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأدلة هذه في القرآن وحده كثيرة فضلاً عن السنة، أما ما جاء من الأدلة ما يؤيد كلام الحازمي كقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

فالمراد اتباع الحق الذي هم سائرون عليه بالكتاب والسنة، وفي هذه الآية دليل لفهم السلف للكتاب والسنة لا عملهم وقولهم المجرد عن الكتاب والسنة والله أعلم.

قوله: (والدعاء):

الدعاء للأولياء بالرحمة والمغفرة، لا دعاؤهم، فهذا شرك أكبر إذا كان فيما لا يقدر عليه إلا الله عند العقلاء والصلحاء لافي نظر أولئك البلهاء، فإنهم لسخافة عقولهم ربما توهّموا أنهم يقدرّون وليسوا كذلك.

وقد ذكرت أدلة تحريم دعاء غير الله وما يجوز فيه في كتاب الجامع الصحيح في توحيد رب العالمين والله الحمد والمنة.

قوله: (والاستغفار، والاقتفاء بهم في محاسن الأقوال والأفعال بما اقتضى الكتاب والسنة):

هذا هو الميزان الذي لا مناص، ولا محيد عنه، لأحد من الناس، وهو الكتاب والسنة، وبه يوزن جميع الناس في أقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم.

قوله: (وإثبات الكرامة اللازمة كما وقع لبعض الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يتجاوز بهم إلى حد المعجزات النبوية، لا الخوارق الإلهية حتى يعرف الفرق بين الحق والخلق والمعصوم وغيره):

فإن غلاة الصوفية وبعض الجهلة لم يدركوا هذا إلا التفريق فخلطوا حتى يظن - بل يجزم بعضهم - بأن لأوليائهم - زعموا - التصريف في الكون؛ فهؤلاء الذين زعموا أنهم أولياء هم أولياء الشيطان.

وراجع كتاب شيخ الإسلام الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، على أن له كتاب آخر الفرقان بين الحق والباطل.

قوله: (وتعريف المعجزة: هي أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوة النبوة، قصد بها إظهار صدق من أدعى بها أنه رسول من الله سبحانه):
فقوله: (أمر خارق للعادة):

أي أمر يحصل لم يكن ولا يحصل في العادة، وكل ما هذه صفته فإنه يجلب انتباه من يسمعه أو يسمع.

وهي قوله: (داع إلى الخير والسعادة):

أي للذين تحصل فيهم هذه المعجزة لإسعادهم وجلب الخير لهم - أي للموعدين - وهذا يناقض طريقة السحرة الدجالين الذين قصدهم أخذ أموال الناس وما بحوزتهم، فهما ضدان.

وقوله: (مقرون بدعوة النبوة):

هذا القيد تخرج به الكرامة، فإنه لا تصحبها دعوى النبوة، فالمعجزة للنبي، والكرامة للولي.

والقصد من المعجزة التدليل على صحة نبوة الرسول لكي يستجيب له الناس، ويؤمنوا به فتحصل لهم السعادة والفلاح في الدين.

أقسام الخوارق:

قوله: (وتعريف الكرامة: بأنها ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح، يكون استدراجاً، وما كان مقروناً بدعواها يكون معجزة):

فهذه أربعة أمور:

الأول: أن تكون الخارقة للعادة مقرون بدعوى النبوة وهو صادق، فهذه معجزة كما حصل لإبراهيم في النار، وموسى في البحر والعصا وغيرهما، ومحمد ﷺ كانشقاق القمر وغيره.

الثاني: أن تكون الخارقة للعادة مقرونة بدعوى النبوة وهو كاذب، فهذا دجال ساحر، وكافر كما حصل لمسيلمة وغيره.

الثالث: أن تكون الخارقة للعادة غير مقرونة بدعوى النبوة، وصاحبها يظهر عليه الإيمان والصلاح والتمسك بالكتاب والسنة والخير، فهذه كرامة.

الرابع: أن تكون الخارقة للعادة وغير مقرونة بدعوى النبوة، وصاحبها لا يظهر عليه الصلاح والخير، فهذا استدراج، وقد يكون ساحراً دجالاً، والله أعلم.

قوله: (وأما إثبات التصرف في العالم للأولياء، وسقوط التكليف عنهم، وإثبات ما يختص بالله، فإسقاط لحق الربوبية والألوهية، ودعوى مجردة عن الدليل، بل من العقائد الفاسدة الضعيفة، والأباطيل الشركية السخفية، والاستدلال بأمثال قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ [الزمر: ٣٤]، حجة فاسدة، فإن ذلك وعد لهم، والله لا يخلف الميعاد، وهذا لهم في الآخرة كما صرحت به الآيات والأحاديث.

ودعوى العموم بعيدة محالة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والله المستعان، وكفى بالله شهيداً على الضمائر، حكماً بين العادل وال جائر: ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وما أكثر هذا اليوم في الأحزاب المتحزبة، والجموع المتجمعة، من فرق الشيعة، والمتصوفة، وطوائف المبتدعة، يسIRON قواعد لم تتأسس على علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، ثم يبنون عليها قناطير علمهم وعملهم):

أي أن أهل البدع يقعدون قواعد باطلة، ثم يبنون عليها الجم الغفير، والمقدار الكبير من عقائدهم ونهجهم وعلمهم وعملهم.

والقنطار هو: المقدار الكبير من المال.

مثال ذلك التنزيه المزعوم - وإن شئت قلت: المشؤوم - هذه القاعدة التي سار عليها طوائف جمة من المبتدعة، والواقع أنه تحريف وتعطيل وهو محرم - أعني التعطيل والتحريف -.

وأما التنزيه الصحيح فحق، كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لكن مع الإثبات الصحيح كما تقدم في أول الكتاب.

فالشاهد أنهم على هذه القاعدة الفاسدة بنوا أصل، وجماع اعتقادهم الصفات فعطلوها وبه وقعوا فيما فروا منه - وهو التشبيه زعموا -؛ لأنهم ماعطلوا إلا بعد أن مثلوا والله المستعان.

قوله: (وما لم يشهد له دليل من الافتراء، والشبه التي نشأت عن الهوى والألف):

وهذه مسألة خطيرة - أعني الألف - فكم من الناس بلغ مبلغاً كبيراً من العلم لكنه ألف مجتمعه على شيء من المحدثات، أو المخالفات، فصعب عليه تغييرها، فلم يغيرها في نفسه وبقي على ما هم عليه، أو لم يخطر بباله خطأ هذا الأمر فبقى على ذلك، ولعل من أمثلة ذلك الحافظ ابن حجر لما كان في مصر وقد ألف مجتمعه ومشايخه على ذلك، وظن الكلام الذي قاله أبو الحسن الأشعري أنه على ما عليه أحمد بن حنبل، فظن أنه عن المذهب الأشعري الأول، وهو إنما عن المذهب الأخير الذي استقر عليه حاله، فبقيت في الحافظ رحمه الله رواسب أشعرية مع جلالته ورسوخ قدمه في العلم، وإن لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (والتقليد ساقطة في البين، فبقى الدعوة مجردة، وحجج الله سبحانه أكبر وأكثر).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

أوضح دليل على المدى؛ لأن الخير مقصور على اتباعه):

أي الخير مقصور على اتباع رسول الله ﷺ ولهذا فصل يأتي والحمد لله.

قوله: (فيا حسرة الجهلة البطلة الزاعمين بأن أتباعهم لمن قلدوه ينجيهم من دون اقتصاص، واقتصار على الآثار النبوية: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ١٠١].

والإسلام ما جاء به خاتم النبيين، وسيد المرسلين ﷺ، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

فمن لم يخلص لله بالاعتصام، وهو أغنى الشركاء عن الشرك لم يعتصم عن الضلالة، ومن أخلص لله سلم من الضلالة.

ومثله وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

ولقد أربى):

أي زاد، وطفى.

قوله: (ضلال المتصوفة واتباعهم الرعاء والجهلة):

الرعاء هم رعاة الغنم، وأنما يضرب بهم المثل لكثرة اشتغالهم بالرعي، وعدم تمكنهم من تعلم ما ينفعهم، وليس الرعي بنقيصة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟

فَقَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ».

رواه البخاري برقم (٢٢٦٢).

قوله: (واستحوذ عليهم الشيطان):

أي استولى عليهم، فأغواهم بتلييسه، وزخرفته، ومكره، مع ما أعانوه هم من جهلهم، وقلة تدبيرهم.

قوله: (فأنساهم ذكر الله، فلا تسمع إلا: يا سيدي أحمد البدوي):

وهو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسين أبو العباس البدوي صوفي ضال، وله حكايات ذكرها ابن العماد، فإن ثبت عنه فهو زنديق.

وذكر ابن العماد أن ابن دقيق العيد اجتمع به فقال له: إنك لا تصلي وما هذا سنن الصالحين فقال: اسكت وإلا أغبر دقيقك، ودفعه فإذا هو بجزيرة عظيمة جدًا فضاق عليه خاطره حتى كاد يهلك، فرآه الخضر فقال: لا بأس عليه؛ إن مثل البدوي لا يعترض عليه، لكن اذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فإنه يأتي عند دخول وقت العصر ليصلي بالناس، فتعلق بأذياله لعله أن يعفو عنك، ففعل، فدفعه فإذا هو بباب بيته. اهـ.

كذا قال ابن عماد هذا الكلام المكذوب المدحوض فهلا قال له: ادع الله، ولقد أنزل هذا الزائغ (البدوي) منزلة من ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فلا شك إن صح ما ذكره ابن العماد في زندقة وإلحاد البدوي وضلال ابن العماد، مع بطلان اعتقاد حياة الخضر.

توفي أحمد البدوي (٦٧٥) بـ(طنطا) مصر.

وقبره يزار، ويدعى من دون الله كما قال المصنف.

راجع ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد (٥/ ٣٤٥-٣٤٦)، والنجوم الزاهرة

(٧/ ٢٥٢-٢٥٣)، والأعلام للزركلي (١/ ١٧٥).

قوله: (وياسيدي الزيلعي):

هو أحمد بن عمر الزيلعي الجبرقي الصوفي، دُفن باللحية وقبره معروف بها يقصد للزيارة ويدعى من دون الله. توفي سنة (٧٠٤).

ترجمته في كشف الظنون (١/ ٥٤٢) والأعلام للزركلي (١/ ١٨٦).

قوله: (ويا عيدروس):

هو أبو بكر بن عبد الله العيدروس بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف.

ولد سنة (٨٥١) بتريم.

وذكروا في ترجمته مقالات وأفعالا تدل أنه بلغ مرتبة الزندقة، والشرك بالله عزوجل، وأنه كان راضيا بما يفعله هؤلاء المشركون معه من دعائه من دون الله وغيره، فقبح الله غلاة الصوفية المشركين الذين أنزلوا أولياءهم - زعموا - منزلة الربوبية .

توفي سنة (٩١٤)، بعدن وقبره مشهور بها يُدعى من دون الله، وعليه قبة كبيرة، عجل الله بزوالها.

ترجمته في المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي (٢/ ٣٤-٤١)، وهذا الكتاب من كتب الزيغ والضلال بل فيه الشرك البواح، وغرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي (ص ٥٧٠-٥٨٢) وهو نظير سابقه من كتب الضلال أيضًا.

قوله: (ويا جيلاني):

هو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكى دوست بن أبي عبد الله عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى الخوزى بن عبد الله المحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الجيلاني نسبة إلى جيل وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان، وبها ولد ويقال لها أيضاً جيلاني.

تُذكر له حكايات تدل على تصوّفه، بل على غلوه فيه.

وقبره يُزار، ويُدعى مع الله أو من دونه.

توفي سنة (٥٦١) ترجمته في شذرات الذهب (٤/١٩٨-٢٠٢).

قوله: (ولا تسمع من يذكر الله، ويلجأ إليه في البحر والبر إلا قليلاً، ولفقوا كذبات لا أصل لها):

وهذه الكذبات، بل الجرائم العظام التي لفقوها لا تظنها في فضلهم ومناقبهم، نعم إنه لا يجوز أن يوصفوا بما ليس فيهم من حق أو باطل، لكن لو كان الأمر كذلك لكان أهون، ولكن هذه الكذبات هي ادعاء أنهم يعلمون الغيب، أو أنهم يحيون، أو يميّتون، أو ينفعون، أو يضرّون بما لا يقدر عليه إلا الله وأقول بإيجاز نزّوهم منزلة الربوبية، ومثاله ما تقدم أنفاً في ترجمة البدوي، والله المستعان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (وقد عمت جهالاتهم اليوم عامة أهل وقتنا وخاصتهم، إلا ما شاء الله، فيضيفون إليهم القدرة العلم بالمغيبات والتصرف في الكائنات ما يختص بالله سبحانه، وحتى قالوا: فلان يتصرف في العالم):

وهذا فوق شرك كفار قريش الذين قاتلهم رسول الله ﷺ بمراتب كثيرة،
وعباد عجل السامري لم يبلغوا هذا المبلغ!
قوله: (وكل عبارة أخبت من أختها):

بل بعض غلاة الصوفية يعتقدون في مشايخهم ورؤسائهم أنهم يقولون للشيء
كن فيكون.

اللهم أعد راية الجهاد لقتال هؤلاء قبل غيرهم من فرق الكفر.

قوله: (اللهم إنا نبرأ إليك من صنع هؤلاء، ونسألك أن تكتبنا من الناهين
لضلالاتهم والمناوئين لهم).

ونستغفرك في التقصير، وقد علمت عجزنا عن السيف والقنا أن نفيض به
إليهم، وعن اللسان أن ننصحهم، أو تاوي به عليهم إلا في الصحف به والكتابة،
والحمد لله على كل حال. انتهى).

أي فلو كنا قادرين على قتالهم لقاتلناهم، ووالله إن كثيرًا ممن قاتلهم أبو بكر من
مانعي الزكاة، والخوارج الذين قاتلهم علي ما بلغوا معشار معشار هؤلاء!
اللهم دمّر هؤلاء وأذلهم وأعز الإسلام وأهله.

في التوسل والوسيلة

قوله: (فصل. ومن لواحق البحث الذي قبله: التوسل بهم):

أي ومما يتعلق بالأولياء من جانب ما يفعله الزائغون والجهلة من الغلو في الأولياء بالتوسل بذواتهم .

قوله: (وأصل التوسل: ما يتوسل به ويتقرب إلى الشيء):

كذا قال ابن الأثير في النهاية (٥ / ١٨٥)، وهو تعريف التوسل في اللغة وزاد ابن الأثير على هذا الكلام:

وجمعها وسائل، يقال: وسل إليه وسيلة وتوسل، والمراد به في الحديث القرب من الله تعالى، وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل: هي منزلة من منازل الجنة كما جاء في الحديث . اهـ.

وراجع لسان العرب لابن منظور (١٥ / ٣٠١).

قوله: (وحدیث: «آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ»):

رواه البخاري برقم (٦١٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قوله: (قيل: القرب من الله سبحانه، وقيل: الشفاعة، وقيل: منزلة من منازل

الجنة):

والصحيح أن الوسيلة المذكورة في حديث جابر هذا هي منزلة من منازل الجنة، لحديث عند مسلم برقم (٣٨٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

هذا النوع الأول.

النوع الثاني:

الوسيلة في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].
فالوسيلة هنا القربة .

قوله: (وفي التوسل خلاف):

هذا الخلاف في هل كل أنواع التوسل جائز؟

أم أنه منها ما يجوز وما لا يجوز؟

والصحيح الذي لا مرية فيه أن منه ما يجوز وما لا يجوز عملاً بالأدلة، وانقياداً

لشريعة الإسلام، واتباعاً لرسول الله ﷺ.

قوله: (والحق أن ما صح عن النبي ﷺ وجب اتباعه، والعمل به، كحديث

الأعمى الذي في السنن، وهو حديث حسن لا موضوع وفيه: يا محمد إني أتوجه بك

إلى ربي):

صحيح، رواه أحمد في «المسند» (١٣٨/٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في «المنتخب» برقم (٣٧٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٦٥٩)، وابن ماجه برقم (١٣٨٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» برقم (١٢١٩)، والحاكم في «المستدرک» (١/٣١٣ و٥١٩)

من طريق شعبة عن أبي جعفر وهو عمير بن يزيد الخطمي قال: سمعت عمارة ابن خزيمة، يحدث عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذلك، فهو خير».

فقال: ادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، فيصلّي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي، هذه فتقضي لي، اللهم شفعه في».

وقال الترمذي عقبه: حسن صحيح غريب.

وقال ابن ماجه: قال أبو إسحاق: حديث صحيح.

ورواه أحمد (١٣٨/٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٦٥٨) من طريق حماد بن سلمة عن أبي جعفر به.

ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي.

والطبراني في «الكبير» (٣٠٣١ / ٩) برقم (٨٣١١)، و«الصغير» برقم (٥٠٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٦٢٨) والحاكم في «المستدرک» (٥٢٦ / ١) من طريق روح بن القاسم.

كلاهما أي هشام وروح عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة بن سهيل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، فذكره.

ولهذه الطريق متابعة من طريق شعبة نفسه، عند الطبراني في «الكبير» (٣١ / ٩) -

(٣٢) برقم (٨٣١١) قال: حدثنا إدريس بن جعفر العطار، حدثنا عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة عن أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان.. نحوه.

وإدريس بن جعفر، قال الدارقطني: متروك، كما في «الميزان» (١٦٩ / ١) فهذه الطريق لا شيء.

فالطريق الأولى أرجح، على أن هذه الاختلاف لا يضر الحديث؛ لأن أبا أمامة، واسمه أسعد بن سهل بن حنيف صحابي، فلا يضر، وأبو جعفر عمير بن يزيد الخطمي: ثقة، كما في «تهذيب التهذيب»، وعمارة بن خزيمة: ثقة. فالحديث صحيح.

وهذا الحديث فيه دليل على طلب دعاء الرجل الصالح، لا التوسل بذوات الصالحين، وفيه دليل على ما ذكرنا من أن التوسل والشفاعة بمعنى واحد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التوسل والوسيلة (ص ٢٥٩):

وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ فلماذا قال في دعائه: اللهم فشفعه في، فعلم أنه شفيح فيه ولفظه: «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك» فقال: ادع لي، فهو طلب من النبي ﷺ أن يدعو له فأمر النبي ﷺ ويدعو هو أيضًا لنفسه، ويقول في دعائه: «اللهم فشفعه في»، فدل ذلك على أن بعض قوله:

«أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد» أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا محمد فتسقيناه. اهـ.

حديث عمر رواه البخاري برقم (١٠١٠)، ولفظه نحو هذا .
لا التوسل بذوات الصالحين، فهذا من البدع الشنيعة فضلًا عن التوسل بذوات الزائغين والمخرفين، وهذا هو الغالب على المخالفين.

قوله: (وحديث رواه أحمد والحاكم وفيه «بحق السائلين عليك»):

هذا حديث آخر وهو ضعيف، رواه أحمد في «المسند» (٢١/٣) قال: حدثنا يزيد. وابن ماجه برقم (٧٧٨) من طريق الفضل بن الموفق أبي الجهم ، والبغوي في «مسند ابن الجعد» برقم (٢١١٨) من طريق يزيد، وبرقم (٢١١٩) من طريق يحيى بن أبي بكير، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٨٥) من طريق عبد الله بن صالح بن مسلم، والطبراني في «الدعاء» برقم (٤٢١) من طريق عبد الله بن صالح. كلهم عن طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال: أحسبه رفعه قال: «من قال حين يخرج إلى الصلاة: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا

يغفر الذنوب إلا أنت، وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته».

ولم يشك غير يزيد في رفعه.

وعطية وهو ابن سعد العوفي: ضعيف وشيعي ومدلس.

وفضيل بن مرزوق، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق يهم، ورمي بالتشيع.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢١١ / ١٠) قال: حدثنا وكيع عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد، فذكره من قول أبي سعيد (موقوفاً).

وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (١٨٤ / ٢) برقم (٢٠٥٨): قال أبي: موقوف أشبه. اهـ

قلت: والموقوف كما ترى ضعيف؛ لأنه من طريق عطية.

وجاء من حديث بلال، رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٨٤).

وفي سنده الوازع بن نافع العقيلي، متروك، كما في «لسان الميزان» (٦ / ٢٨٠ - ٢٨١).

فالحديث ضعيف.

وعلى هذا فالتوسل بالحق والجاه من البدع المضلة، والمصنف قد شرط ما صح عن

النبي ﷺ وجب اتباعه والعمل به، وهذا لم يصح فهو بدعة ضلالة.

قوله: (وأمثال ذلك):

أي مما صح به الدليل؛ كالتوسل بدعاء الله بأسمائه وصفاته:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد ذكرت في هذا باباً في كتابي الجامع الصحيح في توحيد رب العالمين، وذكرت الأدلة فيه.

والتوسل بدعاء الرجل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

وَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمَدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ تُمُّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمَدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ تُمُّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّةٍ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرَ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا، قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بُرَّهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافْعَلْ».

فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ: أُسِيرٌ وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَأَاهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ.

رواه مسلم برقم (٢٥٤٢)، وغيره من الأدلة في جواز طلب دعاء الرجل الصالح.

وهكذا التوسل بالأعمال الصالحة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفِرَ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَاِنْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَاِنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي، وَلِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَحَنَنْتُ بِالْحَلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ

ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَحِثْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخِطَامَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً. فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أُرْزُ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: أَذْهَبَ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ».

رواه البخاري برقم (٢٣٣٣) ومسلم برقم (٢٧٤٣).

قوله: (وقال بعضهم: يؤخذ من طلب الوضوء على المريض من رسول الله ﷺ بالتماس البركة فيما لا مسه الصالحون؛ لتقريره ﷺ على ذلك).

وهذا محل توقف؛ لأن ذلك بالقياس، وهو ممنوع لسد ذرائع العقائد الفاسدة في الخلق).

والشيء بالشيء يذكر، فالفرق بين الوسيلة والذريعة أن الوسيلة عند أهل اللغة هي: القربة إلى الشيء.

والذريعة هي: الطريقة إليه كما في الفروق اللغوية للعسكري (ص ٣٣٦).

قوله: (ولا نعلم أحد من الصالحين في رتبته حتى يلحق به، كما هو مقتضى القياس مع الفارق):

ثم لم يفعله أصلح الخلق مع أصحابهم بعد الأنبياء، فلم يفعل ذلك الصحابة مع أفاضلهم وصالحيتهم لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد موته. ولم يفعله التابعون مع الصحابة، ولا أتباع التابعين مع التابعين، فهو محدث وبدعة.

ثم المتبرك بإنسان ما، يعتقد حصول البركة فيه وهذا تقوُّل، لا يدل عليه الدليل.

قوله: (وأما ما لم يصح عن الله، ورسوله ﷺ ففسد الباب هو اللازم حمية لجناب التوحيد):

أي الواجب، وقد بويت باباً في كتاب الجامع الصحيح في التوحيد في سد باب الذرائع المؤدية إلى الشرك.

قوله: (إذ فتح هذا ذريعة لاتساع عقائد السوء، والخروج عن محض التوحيد المأمور به، قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦]. والمؤمنون عرفوا الله منزهاً عن الأنداد، والأضداد، ومنعماً، ورؤوفاً، ورحيماً بالعباد، وودوداً، وكريماً، ولطيفاً، وخالقاً ورازقاً، ونحو هذا من صفات الكمال):

تقدمت هذه الصفات والأسماء.

وأما قوله: منزهاً ومنعماً فلم يثبتاً من أسماء الله، ولكنها من باب الإخبار. قوله: (فأحبوه كما ينبغي له، ويزداد هذه بزيادة المعرفة):

أي معرفة أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى.

(اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي، وأهلي، ومالي، ومن الماء البارد):

اللهم آمين، اللهم يارب وأنا استجب مني ذلك وتقبل مني هذا الدعاء .

اللهم واجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وانصرنا، وانصر بنا الحق وأهله، وأصلح أولادنا وذرياتنا، واجعل لنا منهم قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا.

وأصلح والدينا واغفر لهم ولإخواننا ومشايخنا وجميع المسلمين .

قوله: (والذي يظهر أن الحامل لمن أدعى العلم والعقل على محبة ما لا ينفع ولا يضر، والتوسل به، والاعتقاد فيه، اتباع من يظن به الخير من أهل العلم، ودرجهم إبليس شيئًا فشيئًا، حتى تعود ذلك وألفوه، وسوغ لهم ذلك التقليد وعدم النظر في الكتاب والسنة.

ومن نظر بإنصاف فيهما):

أي في الكتاب والسنة.

قوله: (لم يخف عليه الحق الصراح، ولهذا لا تسمع عند الشدائد في مدائن الإسلام الاستغاثة بالله، ولا الاستعانة به، ولا التوسل به، ولا دوام ذكره، إلا قليلًا أقل، وإنما يميز أكثرهم اللج بالمشايخ والأولياء):

أي التهادي والمبالغة.

قوله: (اللهم إنا نبرأ إليك من أمثال تلك الضلالات والمحدثات، ونعوذ بك من جميع ما كره الله):

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَصْغَيْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١].

النذر

قوله: (فصل. من لواحق ذلك):

أي مما يلحق مسألة الأولياء من دعائهم والتوسل بهم.

قوله: (النذر للأولياء، والقباب، والمشاهد، والقبور، والضرائح):

والنذر في اللغة: الوعد بخير أو شر.

أهـ من فتح الحميد في شرح كتاب التوحيد (٢/٦٥٣).

وفي الشرع قال ابن الأثير في النهاية (٥/٣٩):

إذا أوجبت على نفسك شيئاً تبرعاً بعبادة أو صدقة أو غير ذلك. أهـ.

والقباب معروفة، واحداها قبة، وهي بناء من فوق نصف دائري تبني على

القبور، وهو حرام.

وتبني القباب للماء وهو جائز.

وكذا قد توضع في أعلى المسجد للإنارة وهي جائزة.

والضريح: هو الشق في وسط القبر، ويطلق الضريح على القبر بما فيه أي الميت.

راجع لسان العرب (٨/٤٣).

والمشاهد هي أماكن تجمعات الناس، والمراد هنا تلك القبور والضرائح التي

تبني عليها القباب.

والنذر: عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، وصرفها لغير الله شرك.

قال الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وقال الله جل في علاه: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ بِمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وعن أبي قلابة أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الصَّحَّاحِ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ - حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بَشْيءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».

رواه البخاري برقم (٦٠٤٧)، ومسلم برقم (١١٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشْيءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ».

رواه البخاري برقم (٦٦٩٤)، ومسلم برقم (١٦٤٠).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءِ بَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسْرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعُضْبَاءَ، فَاتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمِ أَحَذَّنِي، وَبِمِ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفٍ» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَتَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي

مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتُمَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ» ثُمَّ انْصَرَفَ، فَتَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَاتَّاهُ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمَانٌ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ» فَفَدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ، قَالَ: وَأُسِرَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأُصِيبَتِ الْعُضْبَاءُ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْوَنَاقِ وَكَانَ الْقَوْمُ يُرِيحُونَ نَعْمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ يَبُوتِهِمْ، فَأَنْفَلَتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوَنَاقِ فَأَتَتْ الْإِبِلَ، فَجَعَلَتْ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْبَعِيرِ رَغَا فَنَتْرُكُهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعُضْبَاءِ فَلَمْ تَرُغْ، قَالَ: وَنَاقَةٌ مُتَوَقَّةٌ فَقَعَدَتْ فِي عَجْرِهَا ثُمَّ زَجَرَتْهَا فَأَنْطَلَقَتْ، وَنَذَرُوا بِهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُمْ، قَالَ: وَنَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَّتْهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ رَأَاهَا النَّاسُ فَقَالُوا: الْعُضْبَاءُ نَاقَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا نَذَرْتُ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَّتْهَا، فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ بِسْمَا جَزَتْهَا نَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَّتْهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ».

رواه مسلم برقم (١٦٤١).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ».

رواه مسلم برقم (١٦٤٥).

وقد ذكرت بقية الأدلة في الجامع الصحيح في توحيد رب العالمين.

(وقد ورد في الصحيح عنه ﷺ النهي عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير»):

هذا اللفظ رواه مسلم برقم (١٦٣٩)-٤ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من

البحيل».

على أن الحديث عند البخاري برقم (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) عن ابن عمر قال: نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن النذر، وقال: «إنه لا يرد شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل».

ونحوه عن أبي هريرة عند البخاري برقم (٦٦٠٩) ومسلم (١٦٤٠).

قوله: (فقيل: النذر من حيث هو مكروه، وقيل خلاف الأولى، وفيه إساءة الظن بربه، وهذا يؤكد حمل النهي على التحريم):

روى مسلم بنفس الرقم (١٤٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَنْذَرُوا؛ فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ».

وهذا التحريم قبل عقده، أما إذا نذر فيجب الوفاء به عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَذْرِي أَذْكَرَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَجُوثُونَ، وَلَا يُؤْتَمُّونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذَرُونَ وَلَا يَقُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».

رواه البخاري برقم (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَّ إِلَّا بِبَوَانَةٍ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَّ إِلَّا بِبَوَانَةٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».

رواه أبو داود برقم (٣٣١٢).

وهذا في حق الله أعني وجوب الوفاء بالنذر إذا عقدها، أما النذر لغير الله فلا يجوز الوفاء به، ففي صحيح البخاري برقم (٦٦٩٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ».

(والمراد أنه لا يرد القضاء، ولا نفع فيه، ولا صرف ضرر، ولا جلب خير.

والظاهر من الأدلة الصحيحة تحريم نذور القباب وغيرها):

لأن النذر عبادة، ولا يجوز صرف أي عبادة لغير الله كما تقدمت أدلة ذلك.

قوله: (وهذا من العمل الذي ليس عليه أمره.

وفي الصحيحين: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»):

هذا اللفظ رواه مسلم برقم (١٧١٨) - ١٨ عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وعلقه البخاري في موضعين:

الأول: في ٣٤ - كتاب «اليبوع» ٦٠ - باب النجش (٤/٤١٦).

الثاني: في ٦٩ - كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» ٢٠ - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم (١٣/٣٢٩).

والمتفق عليه لفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) - ١٧.

قوله: (وهو دال على بطلان العقود الغير المأمور بها، وعدم ترتب ثمراتها عليها سواء كان عن جهل، أو عرف الحق وتعمد خلافه فهذه النذور محرمة باطلة):
لأنها محدثة في الدين وبدعة، وكل بدعة ضلالة، ولا يجوز التعبد إلا بما شرع الله، أما هذه النذور فعبادة صرفت لغير الله على غير ما شرع؛ فلذا لا يترتب عليها ثواب، بل يترتب عليها العقاب.

قوله: (وكذلك الأموال التي توقف على الكعبة المشرفة، وعلى المسجد النبوي ينبغي صرفها في مصالح الإسلام وأهله ولا تترك سدى):

هذا إذا تعطلت هذه الأوقاف فتصرف في مصالح الإسلام وأهله، ويا حبذا أن يحول هذا الوقف لوقف آخر يستفاد منه، أما إذا لم تتعطل فمن أجل مصالح المسلمين مسجد الكعبة المشرفة، والمسجد النبوي من بناء، وفرش، وكهرباء، ومياه وغيرها، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، ومحل الوقف كتب الفقه، والشاهد هنا ما يتعلق بالنذر.

قوله: (وقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد):
رواه البخاري برقم (٤٣٥ و ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١) عَنْ عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ حَيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

وعند البخاري برقم (٤٣٧) ومسلم (٥٣٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

قوله: (يصلى فيها، فكيف من اعتقد واتخذ القبر وثناً، يضر وينفع؟!

وعنه عليه السلام: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»:

مرسل صحيح، رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٧٢)، ومن طريقه رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠-٢٤١) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١/ ٤٠٦) برقم (١٥٨٧) عن معمر، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٥) من طريق ابن عجلان.

كلاهما عن زيد بن أسلم، فذكره من مراسيل زيد، ولم يذكر عطاء.

ورواه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٢٢٠) برقم (٤٤٠) من طريق عمر بن صهبان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال، فذكره.

وقال البزار: لا نعلمه عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد. اهـ

وعمر بن صهبان، متروك كما في ترجمته من «تهذيب التهذيب».

فالراجح أنه مرسل عطاء، لا مرسل زيد؛ لأن مالكا أرجح من معمر، ومحمد بن عجلان لا سيما وقد قال ابن كثير: إن الإمام مالكا... يُسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات، ويقطع كثيراً من الموصولات، والله أعلم. اهـ

قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٧/ ٧٣):

قلت: وهذه فائدة عزيزة هامة، من قبل هذا الحافظ النحرير، فعظ عليها بالنواجد.

ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٤٣/٥) من طريق عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد مرفوعاً، فذكره.

قال ابن رجب رحمه الله في «فتح الباري» (٢٤٦/٣): وعمر هذا هو ابن صهبان جاء منسوباً في بعض نسخ «مسند البزار» فظنَّ ابن عبد البر أنه عمر بن محمد بن العمري، والظاهر أنه وهم. اهـ

قوله: ((وإن من كان قبلكم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)).
رواه أحمد وابن حبان:

بل رواه البخاري برقم (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير، لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

ورواه أحمد (٥١/٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٥٤/٧) برقم (٣١٨١) وليس عندهما، بل لم أجد قوله: «إن من كان قبلكم» عند من أخرج الحديث في سياق هذا الحديث.

وهي في حديث جندب: أن النبي ﷺ قال: «ألا وإن من كان قبلكم، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم برقم (٥٣٢).

قوله: (وعن علي: أمرني رسول الله ﷺ: «أن لا أَدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»):

عَنْ أَبِي هَتَّاجٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعُثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدْعَ تِمْنَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ». وفي رواية: قَالَ: «وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا». رواه مسلم (٩٦٩).

قوله: (وقد علم بالأدلة الصحيحة المحكمة أن بناء المشاهد والقباب لا يجوز، وأن النذر لها محرم):

والنذر لله عز وجل إذا صرف على القبور والقباب المبنية عليها والمشاهد محرم، أما النذر لها بعينها فشكل أكبر والله المستعان، والأدلة الصحيحة دالة على تحريم البناء من حيث هو فضلاً عن النذر لها، ففي صحيح مسلم برقم (٩٧٠) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ يُخَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُنْبَى عَلَيْهِ».

وفي صحيح مسلم برقم (٩٧٢) عَنْ أَبِي مَرْثَدَةَ الْغَنَوِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا».

وفي صحيح مسلم برقم (٩٦٨) عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيْيٍّ قَالَ: كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتَوَفَّيْ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا.

وقد ذكرت الأدلة في هذا من الجامع في التوحيد.

وراجع تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للعلامة الألباني رحمه الله.

الرؤيا المنامية

قوله: (فصل. الرؤيا من الله تعالى وحي حق، إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثًا):

الرؤيا قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن (ص ٣٧٥):

(الرؤيا: ما يُرى في المنام). اهـ.

قال النووي في شرح مسلم (٢٠ / ١٥):

قال الإمام المازري: مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقضان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علمًا على أمور آخر يخلقها في ثاني الحال، أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمرًا على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علمًا على غيره كما يكون خلق الله سبحانه وتعالى الغيم علمًا على المطر، والجميع خلق الله تعالى، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علمًا على ما يسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازًا لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا معنى قوله ﷺ: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان»، لا على أن الشيطان يفعل شيئًا، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه.

هذا كلام المازري، وقال غيره: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله إضافة تشريف بخلاف المكروهة، وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى، وتدبيره، وإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها ويسر بها. اهـ.

وقوله ضغثاً: معناه قال ابن منظور في «لسان العرب» (٦٦/٨):

أضغاث أحلام الرؤيا: التي لا يصح تأويلها لاختلاطها، والضغث الحلم الذي لا تأويل له ولا خير فيه، والجمع أضغاث، وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالُوا لَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ [يوسف: ٤٤]، أي: رؤياك أخلط ليست برؤيا بينة. اهـ.

وهذا هو الشرط الأول وهو أن تكون رؤيا بينة أو صحيحة ليست أخلط، والرؤيا حق أما وحي فغير صحيح فقد انقطع الوحي.

والمصنف نقل هذا الفصل من الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لابن الحنبلي، وليس في الرسالة الواضحة قوله وحي، فالرؤيا الصالحة حق.

أخرج البخاري برقم (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

وجاء عن أبي هريرة رواه برقم (٧٠١٧) ومسلم برقم (٢٢٦٣)، وعن أنس عند البخاري برقم (٦٩٩٤) ومسلم (٢٢٦٤).

وفي صحيح البخاري برقم (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتَمَرُّضَنِي حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لَا أَرَى الرُّؤْيَا فَتَمَرُّضَنِي حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا

يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثُ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمَنْ شَرَّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَنْفِلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

قوله: (فقصها على عالم):

أي أخبر برؤياه، وأطلع عليها عالم بتفسير الرؤيا وعالم بالتعبير، وهذا هو الشرط الثاني: أن يكون المعبر عالماً بالتعبير.

قوله: (وصدق فيها):

الشرط الثالث: صدق الرائي ففي صحيح البخاري برقم (٧٠٤٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَنْ أَفْرَى الْفَرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ».

وفي صحيح البخاري برقم (٧٠٤٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كَلَّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَذَّبَ، وَكَلَّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

قوله: (وأولها على أصل تأويلها الصحيح ولم يُحَرِّفْ):

يعني فإنها تقع على ذلك التأويل الصحيح، ولم يغير فيما ظهر مما وافق الأصول التي تعبر عليها الرؤيا لحديث أَبِي رَزِينٍ الْعَقِيلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ» قَالَ: «وَالرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»، قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «لَا يَقْصُهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ، أَوْ ذِي رَأْيٍ».

رواه أحمد (١٠/٤)، وفي سنده وكيع بن حداث مجهول، لكن الشاهد من حديث عائشة عند الدارمي برقم (٢٢٠٩)، وفي سنده عن عنة ابن إسحاق وهو حسن الحديث إلا أنه مدلس.

وجاء عن أبي قلابة مرسلًا عند معمر في الجامع المطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق (٢١٢/١١) برقم (٢٠٣٥٤)، وهو مرسل صحيح.

وجاء من حديث أبي هريرة مرفوعًا عند الترمذي برقم (٢٢٨٠)، ورجاله ثقات.

فالحديث صحيح.

قوله: (والرؤيا تأويلها حق):

ففي صحيح البخاري برقم (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطَفُ السَّمَنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا فَالْمُسْتَكْبِرُ وَالْمُسْتَقِيلُ، وَإِذَا سَبَبَ وَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَنَقَطَ، ثُمَّ وَصَلَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَاللَّهِ لَتَدْعَنِي فَأَعْبُرَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اعْبُرْهَا» قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطَفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمَنِ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ تَنْطَفُ فَالْمُسْتَكْبِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِيلُ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصِّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا

رَسُولُ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ قَالَ: «لَا تُقْسِمُ».

وفي صحيح البخاري برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم (٢٢٦٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُبْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ، وَمَا كَانَ مِنَ النَّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ».

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَنَا أَقُولُ: هَذِهِ قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ: الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلَا يَقْصُهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلِيَقُمْ فَلْيَصِلْ.

قَالَ وَكَانَ يُكْرَهُ الْغُلُّ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ يُعْجِبُهُمُ الْقَيْدُ وَيُقَالُ الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ. وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَدْرَجَهُ بَعْضُهُمْ كُلَّهُ فِي الْحَدِيثِ وَحَدِيثِ عَوْفِ أَبِيْن، وَقَالَ يُونُسُ: لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقَيْدِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَا تَكُونُ الْأَغْلَالُ إِلَّا فِي الْأَعْنَاقِ.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧) عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَنَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَتَلَعُ رَأْسُهُ، فَيَتَهَدُّ هَذَا الْحَجَرُ هَذَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا

كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ لَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَيَّ وَجْهِهِ فَيُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، فَيَشُقُّ قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ، الْأَوَّلِ فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ: قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ: فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا آتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا قَالَ: قُلْتُ لَهَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِغٌ يَسْبِغُ: وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِغُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُو ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ: قُلْتُ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمُرَاةِ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَأَةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا قَالَ: قُلْتُ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوَّلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ قَالَ: قُلْتُ لَهَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا

أَحْسَنَ قَالَ: قَالَا لِي: اِرْقَ فِيهَا قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبْنٍ ذَهَبٍ، وَلَبْنٍ فِضَّةٍ فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رَجُلٌ شَطْرُ مَنْ خَلَقَهُمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرُ كَأَفْجَحٍ مَا أَنْتَ رَاءٍ قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعَرِّضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمُحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشُّؤْ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَا كَ مَنْزِلِكَ قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُغْدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَ: قَالَا لِي: هَذَا كَ مَنْزِلِكَ قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخَلَهُ قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَتَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمُكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرَسِرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ أَكَلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمُرَاةُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنٌ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوَضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرُ مَنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرُ قَبِيحًا؛ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا نَجَّاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٢٧٢) عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ، وَهَلَيْ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ، أَوْ هَجَرْتُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْزُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

قوله: (وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيًا):

موقوف حسن، رواه ابن جرير في «التفسير» في سورة «يوسف» (١٢/١٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢/٦ برقم ١٢٣٠٢) من طريق سفيان عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت رؤيا الأنبياء وحيًا.

ورواه ابن أبي حاتم، قال ابن كثير في «تفسير سورة الصافات» آية (١٠٢) قال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أبو عبد الملك الكرندي، حدثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «رؤيا الأنبياء في المنام وحي».

ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه. اهـ

والمرفوع فيه علتان:

الأولى: الاضطراب في رواية سماك عن عكرمة.

الثانية: أبو عبد الملك الكرندي، قال الألباني في «ظلال الجنة»: فلم أعرفه، ولا عرفت نسبته.

ورواه البخاري في «صحيحه» برقم (١٣٨) من قول عبيد بن عمير قال: رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].
وعبيد بن عمير: تابعي ثقة، ولد في حياة رسول الله ﷺ.
لكن نقل ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٥١) الاتفاق على ذلك.
قال رحمه الله:

رؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة.
وليس خافياً عليك قصة يوسف عليه السلام قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وفي صحيح البخاري برقم (٣)، ومسلم برقم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْحَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي».

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ تَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْخْرِجِي هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ.

فلا شك أن رؤيا الأنبياء وحي أما غير الأنبياء، فالرؤيا الصالحة حق، وتقع على تأويلها الصحيح، وأصدق الرؤيا رؤيا الصادق في حديثه كما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

وفي صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ فَأْتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ».

قوله: (فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا، ويزعم أنها ليست بشيء).

وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام):

وهو قول باطل تردده الأدلة سواء في أن الرؤيا حق، أو في الاغتسال من الرؤيا إذا حصل الإنزال، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا اخْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرِبَتْ يَدَاكِ فِيمَ يُشَبِّهُهَا وَلَدُهَا».

رواه البخاري برقم (١٣٠) ومسلم برقم (٣١٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا اخْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتِ الْمَاءَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: تَرِبَتْ يَدَاكِ وَأَلَّتِ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعِيهَا وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشَبَهُ الْوُلْدَ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءَ الرَّجُلِ مَاءُهَا أَشَبَهُ أَعْمَامَهُ».

رواه مسلم برقم (٣١٤).

وجاء عن جماعة من الصحابة.

قوله: (وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب

عبده»):

ضعيف، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٨٦)، والدولابي في «الكنى» (٧٣/٢) من طريق جنيد بن ميمون أبي عبد الحميد عن حمزة بن الزبير، يرفع الحديث إلى عبادة بن الصامت: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «رؤيا المؤمن كلام، يكلم به العبد ربه تبارك وتعالى في المنام».

وحمزة بن الزبير هو: حمزة بن عبد الله بن الزبير أبو عمارة، نسب إلى جده كما قاله العلامة الألباني رحمه الله في تخرج «السنة».

وقد ذكره ابن حبان في «الثقات» (١٦٩/٤)، وقال العجلي في «تاريخ الثقات» (ص ١٣٣): مدني تابعي ثقة.

فمثله يقول الحافظ في «التقريب»: ثقة. لا سيما وقد ولّاه أبوه على البصرة، فحمد الناس سيرته، قاله ابن المديني كما في «تعجيل المنفعة» (ص ٤٦٩).

لكن لم يذكروا له سماعاً من عبادة بن الصامت، و«جنيد بن ميمون» عند الدولابي «حميد بن ميمون» أو «عبد الحميد».

ورواه بن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٨/٢٥) من طريق إسماعيل بن عياش من طريق صفوان بن عمرو عن حميد بن عبد الرحمن: أن رجلاً سأل عبادة عن قوله: ﴿لهم البشرى﴾... فذكره.

ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» برقم (١٠٢٥) من طريق إسماعيل بن عياش والوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حميد بن عبد الله المزني عن عبادة فذكره.

ورواه أيضًا برقم (١٠٢٦) من طريق صفوان بن عمرو وعمرو بن عبد الله الأحوسي عن حميد بن عبد الله المزني فذكره.

والظاهر أنه حميد بن عبد الله المزني، كما قال العلامة الألباني رحمه الله، وبعضهم ينسبه المدني، وإن كان ورد عن إسماعيل بن عياش على الوجهين، فقد رواه الوليد كما تقدم حميد بن عبد الله، والوليد يدلّس تدليس التسوية.

والحديث قد ورد عند أحمد (٣١٥/٥ و ٣٢٥)، وابن جرير في «التفسير» (١٣٣/١١ و ١٣٤)، وابن ماجه (٣٨٩٨)، والحاكم (٣٤٠/٢)، والشاشي في «مسنده» (١٢١٥ و ١٢١٦) من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبادة به. ولم يذكر هذه الزيادة، وهي رؤيا المؤمن كلام!

على أنه قد رواه الطيالسي كما في «مسنده» رقم (٥٨٣)، والترمذي برقم (٢٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣٤/١١)، والحاكم في «المستدرک» (٣٩١/٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٧٥٣) من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال: نبئت أن عبادة فذكره بدون الزيادة.

فدل أنه لم يسمع الحديث من عبادة، وهو كذلك، فقد ذكر المزني في «تهذيب الكمال» (٣٧١/٣٣) أنه لم يسمع من عبادة، وذكره الحافظ في «التهذيب» (١٠٥/١٢) وزاد، قال ابن خراش: وأما حميد بن عبد الله المزني فذكره ابن حبان في «الثقات» (١٤٩/٤) وقال: روى عنه ابنه عبد الله بن حميد وصفوان بن عمرو وأهل الشام. اهـ

وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢٢٤) فقال: حميد بن عبد الله المزني. وقال: روى عنه صفوان بن عمرو ومحمد بن الوليد الزبيدي والأحموسي، سمعت أبي يقول ذلك.

ولم يذكر ابن حبان ولا ابن أبي حاتم فيه جرّحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول حال. فالحديث ضعيف.

و الألباني رحمه الله ذكر الحديث في «الصحيحة» برقم (١٧٨٦) ولم يذكر هذه اللفظة فتنبه.

قوله: (وقال: «الرؤيا من الله»):

رواه البخاري برقم (٥٧٤٧) ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان».

وفي رواية للبخاري برقم (٣٢٩٢) ومسلم (٢٢٦١) - ٣ و٤: «الرؤيا الصالحة من الله» وهذا قيد مهم.

وفي رواية للبخاري برقم (٦٩٨٤): «الرؤيا الصادقة من الله».

وفي رواية للبخاري برقم (٧٠٤٤): «الرؤيا الحسنة من الله».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٩٨٥) من حديث أبي سعيد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان».

قوله: (وفي الباب أحاديث ذكرها في المشكاة وغيره):

مؤلف مشكاة المصابيح هو محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي .

أخرج البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِذَا رَأَاهُ فِي صُورَتِهِ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٩٩٦)، ومسلم (٢٢٦٧) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ».

وفي رقم (٦٩٨٤) من صحيح البخاري عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٩٨٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا مُحِبَّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيَحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّمَا لَا تَضُرُّهُ».

فهذا الحديث إضافة على حديث أبي قتادة الماضي قبل، قال كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا تُمَرِّضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَنْفِلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّمَا لَنْ تَضُرَّهُ».

وغیره مما تقدم.

وفي حديث أبي قتادة الماضي أنه لا يحدث بها إلا من يحب، وهو تخصيص

حديث أبي سعيد.

والأحسن تعبيرها لحديث ابن عباس وأبي هريرة في قصة مسيلمة وحديث سمرة بن جندب الطويل، وقد تقدمت.

وأن لا يعبرها إلا محب، وخير بالتعبير لحديث أبي رزین العقيلي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعْبَرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ». قَالَ: «وَالرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»، قَالَ وَأَخْبِسُهُ قَالَ: «لَا يَقْضُهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ، أَوْ ذِي رَأْيٍ».

رواه أحمد (١٠/٤)، وفي سنده وكيع بن حذس مجهول، لكن له شاهد من حديث عائشة عند الدارمي برقم (٢٢٠٩)، وفي سنده عن عنة ابن إسحاق وهو حسن الحديث إلا أنه مدلس.

وجاء عن أبي قلابة مرسلًا عند معمر في الجامع المطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق (٢١٢/١١) برقم (٢٠٣٥٤)، وهو مرسل صحيح.

وجاء من حديث أبي هريرة مرفوعًا عند الترمذي برقم (٢٢٨٠)، ورجاله ثقات.

فالحديث صحيح.

والرؤيا أربعة:

الأول: الرؤيا من الله.

الثاني: حديث نفسي، وهو إذا حدث الإنسان نفسه بشيء ثم نام فرآه، أو

حصل له شيء في نومه فرآه، قال ابن الوردي في ألفيته في تعبير الرؤيا:

باب منام الهمة:

أو معرضاً عنه ولم يكلمها
وجائع نام وفي النوم أكل
نام ببرد فمن الماء افتتن
ومن يحس يقظة بالآلم
فلا تقول فهو من همته

وعاشق رأى الحبيب سلماً
وخائف رأى العدو قد نزل
ومكثر للأكل رأى القيئ
ونائم في الشمس بالجمر رمي
من بعد ما يضرب في نومته

الثالث: حلم من الشيطان.

لحديث أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
«الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ حِينَ
يَسْتَيْقِظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ».

وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَإِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْجَبَلِ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ
سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فَمَا أَبَالِيَهَا.

رواه البخاري برقم (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١).

والحديث المتقدم وهو عند مسلم برقم (٢٢٦٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُذْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبٌ،
وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ
النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ، فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا
بِمَا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ
قَالَ: وَأَحِبُّ الْقَيْدِ وَأَكْرَهُ الْعُلَّ».

وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ، فَلَا أَذْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

فإذا حلم حلمًا من الشيطان فعليه:

١- أن يستعيذ بالله من الشيطان .

٢- أن يستعيذ بالله من شرها .

٣- يتفل، أو ينفث عن يساره ثلاثًا.

٤- يتحول عن جنبه .

٥- لا يبالي بها حتى لا تضره .

٦- لا يحدث بها .

ففي صحيح مسلم برقم (٢٢٦٨) عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَأَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي، وَقَالَ: «إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُخْبِرْ أَحَدًا بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ».

لابأس أن يصلي ركعتين كما جاء في حديث أبي هريرة، وعلامة هذا الرؤيا أنها تخزين من الشيطان .

النوع الرابع: أضغاث أحلام: وهي التي تختلط بعضها ببعض، وبعضها غير واضح وليس مفهومًا، فهذه الرؤيا ليست برؤيا يفرح بها، ولا يخاف منها، ولا تطبق عليها هذه الأحكام والله أعلم .

وتعبير الرؤيا من الرجل والمرأة، وتعتبر الرؤيا المرأة ففي صحيح البخاري برقم (٧٠١٨) عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ، فَشَهِدَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ

أَكْرَمَكَ اللَّهُ قَالَ: «وَمَا يُذْرِيكَ؟» قُلْتُ: لَا أَذْرِي وَاللَّهِ قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ
إِنِّي لَا زُجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا أَذْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ».

قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ قَالَتْ وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا
تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَلِكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ».

والرؤيا لا تنبني عليها أحكام الشريعة، ولكنها يستأنس بها بإجماع العلماء، نقله
النووي في شرح مسلم (٧٤ / ١) عن القاضي عياض وغيره.

وهي بشارة ففي صحيح البخاري برقم (٦٩٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ:
«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ».

والذين بنوا على الرؤيا وإن كانت صالحة أحكاماً شرعية ضلوا وأضلوا، وهم
الصوفية الضلال، حتى إن أحدهم يقول رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأمرني
بكذا، ونهاني عن كذا، وبنى عليه حلالاً وحراماً، أو واجباً، وإن كان هذا قد تقرر
في الشرع من قبل فهو كافر ولا يحتاج إلى هذا، وإن لم يكن تقرر في الشرع فيكف
كان لايقاً بالنبي ﷺ أن تركه، ولم يبلغه في حياته؟ فهل معناه أنه قصر في التبليغ؟
وربنا جل وعلا يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٨٥].

فلعله رأى شيطاناً يريد أن يدخل في الدين بدعاً، فالشرع اكتمل قبل وفاة
رسوله ﷺ قال الله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» [الأنعام: ٣٨].

فائدة: يجوز الإخبار بالرؤيا غير الصالحة إذا وقعت، فعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ، وَهَلِيَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ، أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

رواه البخاري برقم (٣٦٢٢٢)، ومسلم برقم (٢٢٧٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشِيرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ».

فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَتَفْخُحْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ».

رواه البخاري برقم (٣٦٢٢١)، ومسلم برقم (٢٢٧٣).

أما ما يتعلق بكيفية تعبير الرؤيا فهذا ليس موضعه هنا حتى لا نطيل، وهو
مذكور في كتب تعبير الرؤيا.

ولابن الوردي أرجوزة نفيسة في تعبير الرؤيا بعنوان: الألفية الوردية، وقد يسر
لي إخراجها والحمد لله.

الإسراء والمعراج

قوله: (فصل. وأجمع القائلون بالأخبار):

الخبر هو ما روي عن رسول الله ﷺ قولاً، أو فعلاً، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية أو فعلية، وهو المرادف للحديث النبوي.

وقد يطلق على ما هو أعم من ذلك فيشمل الأثر، والأول هو المراد هنا .

قوله: (المؤمنون بالآثار):

الأثر هو ما يروى عن الصحابي أو التابعي، وقد يطلق على الحديث كما سمي الطحاوي كتابه: شرح معاني الآثار، وشرح مشكل الآثار، وغيره من أهل العلم، والأول هو المراد هنا؛ لكونه جمع بينهما وأدل على المراد.

قوله: (أن رسول الله ﷺ أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنص القرآن):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي محاسن التأويل (١٠/ ١٨٣):

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي سيره منه ليلاً، و﴿أسرى﴾: بمعنى سرى، يقال أسراه وسرى به، فهزمة أسرى ليست

للتعديّة، ولذا عُدي بالباء، وفرق بعضهم بين أسرى وسرى بالمبالغة في أسرى لإفادة السرعة في السير؛ ولذا أُوثر على سرى.

والإسراء سير الليل كله كـ ﴿أسرى﴾.

فقوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ للتأكيد أو للتجريد عن بعض القيود، مثل أسعفت مرامه، مع أن الإسعاف قضاء الحاجة، أو للتنبيه على أنه المقصود بالذكر. اهـ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْلَةُ أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَى، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرَبَ رَجُلٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رُبْعُهُ أَحْمَرٌ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيَّاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقَالَ: اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

رواه البخاري برقم (٣٣٩٤) وهذا لفظه، ومسلم برقم (١٦٨).

ورواه مسلم برقم (١٧٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجَرِ وَقُرَيْشُ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبُ جَعْدٍ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرُوَّةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَأَمَّتْهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ

الصَّلَاةَ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

رواه البخاري برقم (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَبْتَنِي قُرَيْشُ قُمْتُ فِي الْحَجَرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَطَفِيقْتُ أَخْبَرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

وروى مسلم (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ) قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ».

قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحُلُقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنِي جِرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِرِيلٌ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ

عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلٌ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرِيلٌ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ. ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا تَمَرُّهَا كَالْقَلَالِ. قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَتْ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أَمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ».

قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفَّفْ عَلَى أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي حَمْسًا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي حَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

قَالَ: «فَلَمْ أَرْزُلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّنِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ. فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ». وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظَنَنْتُ بِأَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكْذِبِي».

فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ فَمَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ».

قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةً أَنْ يَجْعَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ مُخَذِّئُهُمْ مَا حَدَّثَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ».

فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. قَالَ: فَانْتَفَضْتُ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ»، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ» قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟

قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعِ يَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَعَتْ لَنَا الْمُسْجِدَ - وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمُسْجِدَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَهَبْتُ أَنْتَعْتُ فَمَا زِلْتُ أَنْتَعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ، قَالَ: فَجِئْتُ بِالْمُسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ، فَنَعْتُهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، قَالَ وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتُ لَمْ أَحْفَظْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ».

رواه أحمد (٣٠٩/١) وهو حديث صحيح.

قوله: (ثم عرج به إلى السماء واحدًا بعد واحد، حتى إلى فوق السماوات السبع إلى سدرة المنتهى بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من السماء إلى مكة قبل الصبح): قال الإمام قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٥١٤/١):

قال أهل اللغة: المعراج هو السلم، والدرج الذي يعرج به إلى السماء، والعروج الارتقاء والصعود، فالمعراج ما يكون به المرتقى إلى السماء إلى ربه سبحانه وتعالى اهـ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤-٢٦٤-٢٦٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحُطِيمِ، وَرَبِّمَا قَالَ: فِي الْحَجَرِ مُضْطَحِحًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدْ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ، مِنْ ثَغْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا، فَغَسَلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَيْبَضَ - فَقَالَ: لَهُ الْجَارُودُ هُوَ الْبَرَاءُ يَا أَبَا حَمْرَةَ قَالَ: أَنَسُ نَعَمْ يَصْعُ حَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ - فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جَرِيرُلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَرِيرُلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَرِيرُلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ: هَذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَرِيرُلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيُوسُفَ قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ

هَذَا؟ قَالَ: جِرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِيُّ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِيُّ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِيُّ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمُحْيِيُّ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ: فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَتَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي النَّبِيُّ الْمُعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ

اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فَرَضْتُ عَلَى الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأَسْلَمُ قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

قوله: (وفيه أيضًا دليل على علو الرب تعالى وكونه على العرش مستويًا عليه كما

قال سبحانه في مواضع من كتابه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥٠]:

هذه الآية في موضع واحد في كتاب الله وهو (سورة طه: ٥)، لكن قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع وهي:

الأول: قال: عز وجل في سورة الأعراف [٥٤]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

الثاني: قال تعالى في سورة يونس عليه السلام [٣]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

الثالث: قال تعالى في سورة الرعد [٢]: ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

الرابع: قال تعالى في سورة الفرقان [٥٩]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾.

الخامس: قال تعالى في سورة السجدة [٤]: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

السادس: قال تعالى في سورة الحديد [٤]: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

فهذه سبعة مواضع أخبر الله فيها سبحانه أنه على العرش.

والمعراج يعتبر من أقوى الأدلة على علو الرب سبحانه وتعالى، وقد تقدم الكلام على العلو، والاستواء.

قوله: (فمن قال: إن الإسراء في ليلة والمعراج في أخرى فقد غلط):

والأدلة صريحة أن المعراج كان في نفس الليلة التي أسرى به فيها لحديث أنس السابق، وغيره.

وقال عنه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٥): وفي رواية ثابت عن أنس دليل أن

المعراج كان ليلة أسري به من مكة إلى بيت المقدس. اهـ.

وذلك من قوله في الحديث «... ثم عرج بي»، وهذا الذي عليه أكثر أهل العلم.

قال ابن كثير في تفسير عند الآية:

وهذا الذي قاله - يعني البيهقي - هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية. اهـ.

راجع الفتح (٧) شرح حديث رقم (٣٨٨٦).

قوله: (ومن قال إنه منام، وإنه لم يسر بجسده فقد كفر):

وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

والعبد يطلق على مجموع الروح والجسد، والأدلة السابقة تدل على أنه أسري به وعرج به يقظة بروحه وجسده.

والذي يقول بخلاف ذلك يكون مكذباً للأدلة، والمكذب للأدلة كافر، إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع عند تنزيهه على المعين.

أما رواية شريك أنه منام فوهم كما سيأتي التنبيه على أخطاء شريك في الحديث قال ابن كثير رحمه الله البداية والنهاية (٤ / ٢٨١):

وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان بيدنه وروحه صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه، وصعوده في المعراج، وغير ذلك، ولهذا قال فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ﴾ [الإسراء: ١]، والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة، فدل على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما.

وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به، والاستبعاد له، إذ ليس في ذلك كبير أمر؛ فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا مناماً.

قوله: (وقد روى قصة الإسراء عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة كثيرة):

يعبر بعضهم بالإسراء ويريد به الإسراء والمعراج، والحقيقة أن الإسراء غير المعراج.

فالإسراء السير ليلاً إلى بيت المقدس، والمعراج الصعود إلى السماء، وهما في ليلة واحدة.

وقد روى قصة الإسراء والمعراج جماعة من الصحابة كثير ذكرنا بعضها فيما تقدم، وقد سردها ابن كثير -رحمه الله- في أول تفسير سورة الإسراء، ولولا خشية الإطالة لسردتها.

قوله: (وكل ذلك أخبار صحيحة، وآثار صريحة، مقبولة، مرضية عند أهل النقل):

هذه الأحاديث والآثار التي وردت في قصة الإسراء والمعراج ليست كلها صحيحة، بل منها ما هو في الصحيحين، أو في أحدهما، وفيها ما يعضد بغيره، وفيها الضعيف، بل والمكذوب، فما ترك الوضاعون باباً من أبواب العلم إلا ولهم نصيب فيه بالزيادة والتحريف، لاسيما قصة الإسراء والمعراج، فكم من القصص الموضوعة التي وضعوها فيه، والله أعلم.

لكن أحاديث الإسراء والمعراج في الجملة صحيحة ومقبولة، وجاحتها يكفر بشروطه المتوفرة فيه، وموانعه المنتفية عنه.

قوله: (واختلف أهل العلم هل رأى ﷺ ربه عز وجل أم لا؟)

فذهب إلى كل وجهة ذاهب من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأهل الحديث والفقه والتاريخ، والراجع الرؤية):

أي اختلفوا هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج، أم لا؟

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/٢٢٢):

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه الشفا اختلاف الصحابة، ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، وأبي هريرة، واختلف عنه.

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، والفقهاء، والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ رآه بعينه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه. ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع، ولا نص، والمعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق؛ فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذا لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه. اهـ.

قلت: أما إنكار عائشة فثبت في الصحيحين؛ عند البخاري برقم (٤٨٥٥) ومسلم برقم (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ! أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية المائدة: ٦٧]، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.

وأما أثر ابن عباس فالصريح منه عند ابن خزيمة (٢٧٥-٢٧٩) وقال العلامة الألباني في تخريج الطحاوية (ص ١٩٧):

ضعيف أخرجه ابن خزيمة في التوحيد بألفاظ مضطربة عنه موقوفاً.

قال ابن كثير في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، بعد أن ذكر أثر ابن عباس الذي رواه مسلم برقم (١٥٨/١) قال: رآه بفؤاده مرتين.

قال: وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله

عنهم، وقول البغوي في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٠٨/٨) شرح حديث عائشة برقم (٤٨٥٥): وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب. اهـ.

قلت وقد ورد أيضًا عن أنس القول بالرؤية عند ابن خزيمة برقم (٢٨٠)، وهو ضعيف في سنده عبد الرحمن بن عثمان البكرابي، ضعيف.

فالأرجح ما تقدم نقله عن ابن كثير أنه لا يصح عن الصحابة خلاف في الرؤية البصرية، وإن ورد عن غيرهم فلا عبرة به مع إجماعهم، وقد ذكر القاضي عياض في الشفا (١/٣٧٥-٣٨٨) جملة القائلين بالقولين، فالراجح الرؤية القلبية (بفؤاده)، وهو الذي لم يختلف الصحابة فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢/٢٣٠): وفي رؤية النبي ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس، فعائشة أنكرت الرؤية وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره أنه أثبت رؤيته بفؤاده، وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا، كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة. اهـ قوله: (وبه قال الإمام أحمد وروى مأثورًا، والحديث الذي جاء على ظاهره):

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/٣٧):

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة أنه لم يره.

قال شيخ الإسلام - قدس الله روحه -: وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضاً لهذا، ولا قوله رآه بفؤاده، وقد صح عنه أنه قال: «رأيت ربي تبارك وتعالى»^(١) ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقال: نعم رآه حقاً؛ فإن رؤيا الأنبياء حق، ولا بد.

ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: رآه، ومرة قال: رآه بفؤاده.

فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة، من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك. اهـ.

والحديث الذي يشير إليه المصنف ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري (٦٠٨/٨ - ٦٠٩) قال:

ومن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها؟

قال بقول النبي ﷺ: «رأيت ربي» قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

وقد أنكر صاحب الهدى على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه، قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه، وقال مرة بفؤاده. اهـ.

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله حيث يذكره المؤلف .

قلت ولم أجد هذه في السنة للخلال، وكلام ابن القيم رحمه كافٍ، والله أعلم.

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦/٥٠٩-٥١٠):

وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت الرؤية فمن الناس من جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد.

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه.

لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق، ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»^(١).

(١) رواه مسلم برقم (١٧٨) بلفظين أحدهما من طريق يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه». ثم ذكر مسلم من طريق هشام الدستوائي وهما م كلاهما عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿أَفْتَأُورُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم: ١٢]، ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وفي الصحيحين^(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.

وهذه رؤيا الآيات؛ لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم حيث صدقه قوم وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه. اهـ قوله: (وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «فرجعت إلى ربي وهو في مكانه»، الحديث بطوله مخرج في الصحيحين .

والمنكر لهذه اللفظة بعد ورود الحديث راد على الله ورسوله، وفي خطر عظيم): حديث أنس الذي أشار له المصنف رواه البخاري برقم (٧٥١٧) قال رحمه

الله:

قَالَ أَبُو دَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا».

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٨٨)، ولم يروه مسلم.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوَلَهُمْ؟ أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يَكْلُمُوهُ حَتَّى اخْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بَيْتِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِزِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَعَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَتَقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أَتَى بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوءًا إِيْمَانًا وَحِكْمَةً فَحَسَا بِهِ صَدْرُهُ وَلَعَادِيدُهُ يَغْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضْرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَادَّاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نِعَمَ الْإِبْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهْرَيْنِ يَطْرِدَانِ فَقَالَ: «مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ.

فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضْرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ قَالَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ

قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ: ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعِيتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْصِيلِ كَلَامِ اللَّهِ فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بَمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةُ الْمُتَهَيَّ وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهْدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: «عَهْدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: «يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا؛ فَإِنْ أُمْنِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا»، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأَمَّتْكَ أَوْعُفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جَبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ

فَقَالَ: «يَا رَبِّ إِنَّ أُمْنِي ضَعْفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفَّفْ عَنَّا» فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ قَالَ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ» قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: «خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا».

قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنكَ أَيُّضًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ» قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ: وَاسْتَيْقِظْ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وفيه ما ذكره المصنف بلفظ: فعلا به إلى الجبار فقال: وهو في مكانه يا رب خفف عنا، وهو في مكانه.

وعليه مؤاخذات:

الأولى: أن اللفظ المذكور ليس كلفظ المصنف كما ترى.

الثانية: أن الحديث عند مسلم برقم (١٦٢) قال رحمه الله:

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَّانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُغْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحُلُقَةِ الَّتِي يَرْتَبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ

أَنْتَ؟ قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَيْلٍ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ
إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،
فَاسْتَفْتَحَ جِرْبِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَيْلٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:
مُحَمَّدٌ قَيْلٍ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةِ عِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى
السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرْبِلُ فَقَيْلٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:
مُحَمَّدٌ ﷺ قَيْلٍ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا
هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ،
فَاسْتَفْتَحَ جِرْبِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَيْلٍ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:
مُحَمَّدٌ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ وَدَعَا
لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ
الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرْبِلُ قَيْلٍ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ
قَيْلٍ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي
بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِرْبِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَيْلٍ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَيْلٍ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ،
فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،
فَاسْتَفْتَحَ جِرْبِلُ فَقَيْلٍ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرْبِلُ قَيْلٍ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قَيْلٍ
وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى
النَّبِيِّ الْمُغْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَهَبَ

بِإِلَى السَّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقَهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: ازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرُ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وليس فيه اللفظ الذي ذكره المصنف، بل إنه مختلف.

زد على ذلك أن الإمام مسلم في رواية للحديث رقم (٢٦٢) ذكر رواية شريك الذي عند البخاري ولم يسق لفظها وقال: وساق الحديث بصفته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص. اهـ.

الثالثة: أن هذه اللفظة قد أنكرت على شريك، وأنكرها الأئمة فمنهم:

الأول: مسلم بن الحجاج وقد تقدم كلامه.

الثاني: البيهقي في الأسماء والصفات (٣٥٧/٢) قال:

رواه البخاري في الصحيح عن عبد العزيز بن عبد الله عن سليمان بن بلال، ورواه مسلم عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب، ولم يسق متنه، وأحال به على رواية ثابت عن أنس رضي الله عنه.

وليس في رواية ثابت عن أنس لفظ الدنو والتدلي، ولا لفظ المكان.

وروى حديث المعراج ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أبي ذر، وقتادة، عن مالك بن صعصعة، ليس في حديث واحد منهما شيء من ذلك. وقد ذكر شريك بن عبد الله بن أبي نمر في روايته هذه ما يستدل به على أنه لم يحفظ الحديث كما ينبغي له؛ من نسيانه ما حفظه غيره، ومن مخالفته في مقامات الأنبياء الذين رأهم في السماء من هو أحفظ منه.

الثالث والرابع: ابن حزم والخطابي، كما في فتح الباري (٤٨٣-٤٨٤/١٣).

الخامس: القاضي عياض في إكمال المعلم (٤٩٧/١) قال:

وقد جاء عند مسلم من رواية شريك في هذا الحديث اضطراب وأوهام، أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخر، وزاد ونقص منها. اهـ.

السادس: عبد الحق الأشيلي في الجمع بين الصحيحين (١٢٧/١) قال بعد ذكر

رواية شريك هذه في حديث أنس:

هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة

مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة. اهـ.

السابع: النووي كما في شرحه لمسلم (٣٤٨ / ٢) .

الثامن: ابن القيم في الزاد (٤٢ / ٣) قال:

وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ في حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدم وأخر، وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله . اهـ.

وغير هؤلاء الأئمة ممن أنكروا هذه اللفظة عن شريك، بل إن شريكاً خالف غيره، وأخطأ في اثني عشر موضعاً في هذا الحديث، وقد عدها الحفاظ في الفتح (٤٨٥-٤٨٦ / ١٣).

أوهام شريك في حديث الإسراء:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة . انظر الفتح (٤٨٠ / ١٣).

الثالث: كون المعرج مناماً.

الرابع: مخالفته في محل سدره المنتهى.

الخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات، وإن عنصرهما في السماء الدنيا والمشهور من غير روايته أنها في السماء السابعة، أو أنها من تحت سدره المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء، وإن كان وافقه غيره عليه .

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل، والمشهور في الحديث أنه جبريل عليه

السلام.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه ﷺ إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومتقضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة .

العاشر: قوله: فعلا به الجبار، فقال: وهو في مكانه .

الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع .

الثاني عشر: زيادة التور والطست. اهـ

فإن ثبت الحديث كان منكره رادًا على الله عز وجل، وعلى رسوله ﷺ، وعلى خطر عظيم كما يقول المصنف رحمه الله، أما والحديث لم يثبت فلا إشكال، بل القائل به مع ضعفه مخطيء فروية النبي ﷺ لربه كانت قلبية لأن الرؤية البصرية في الدنيا غير ممكنة، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى. وهنا مسائل:

الأولى: الحكمة من الإسراء:

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٧٧):

فإن قيل فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولًا؟

فالجواب والله أعلم: أن ذلك كان إظهارًا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سأله قريش عن نعت بيت المقدس فنعتهم لهم، وأخبرهم عن غيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك إذ لا يمكن

اطلاعههم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم
بنعته.

الثانية: الإسراء مرة واحدة فقط:

قال ابن القيم رحمه الله في الزاد (٤٢ / ٣):

وكان الإسراء مرة واحدة، وقيل مرتين مرة؛ يقظة، ومرة منامًا، وأرباب هذا
القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك، وقوله: «ثم استيقظت» وبين
سائر الروايات.

ومنهم من قال: بل كان هذا مرتين؛ مرة قبل الوحي، لقوله في حديث شريك
«وذلك قبل أن يوحى إليه» ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث.

ومنهم من قال: بل ثلاث مرات؛ مرة قبل الوحي، ومرتين بعده.

وكل هذا خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية، من أرباب النقل الذين إذا رأوا
في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلف
عليهم الروايات عدّدوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان
مرة واحدة بمكة بعد البعثة.

ويا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارًا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة
تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسًا، ثم
يقول: «أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين
ثم يحطها عشرًا عشرًا. اهـ

الثالثة: وقت المعراج:

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٧/ ٢٥٤-٢٥٥) شرح حديث رقم (٣٨٨٧):
وقد اختلف في وقت المعراج فقليل: كان قبل المبعث، وهو شاذ، إلا إن حمل على أنه
وقع حينئذ في المنام كما تقدم.

وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا فقليل: قبل الهجرة بسنة قاله بن
سعد، وغيره، وبه جزم النووي، وبالع ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود فإن
في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال، منها:
ما حكاه ابن الجوزي أنه كان قبلها بثمانية أشهر.

وقيل بستة أشهر، وحكى هذا الثاني أبو الربيع بن سالم، وحكى ابن حزم مقتضى
الذي قبله، لأنه قال: كان في رجب سنة اثنتي عشرة من النبوة.
وقيل بأحد عشر شهراً، جزم به إبراهيم الحربي؛ حيث قال كان في ربيع الآخر قبل
الهجرة بسنة، ورجحه ابن المنير في شرح السيرة لابن عبد البر.
وقيل قبل الهجرة بسنة وشهرين، حكاه ابن عبد البر.

وقيل قبلها بسنة وثلاثة أشهر، حكاه ابن فارس.
وقيل بسنة وخمسة أشهر قاله السدي، وأخرجه من طريقه الطبري والبيهقي،
فعلى هذا كان في شوال أو في رمضان على إلغاء الكسرين منه، ومن ربيع الأول،
وبه جزم الواقدي، وعلى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة، وحكاه ابن عبد البر: أنه
كان قبلها بثمانية عشر شهراً.

وعند ابن سعد عن ابن أبي سبرة أنه كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً.

وقيل كان في رجب، حكاه ابن عبد البر، وجزم به النووي في الروضة.

وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين، حكاه ابن الأثير.

وحكى عياض وتبعه القرطبي والنووي عن الزهري أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين، ورجحه عياض، ومن تبعه، واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها، وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.

قلت في جميع ما نفاه من الخلاف نظر:

أما أولاً: فإن العسكري حكى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين، وقيل بأربع، وعن ابن الأعرابي أنها ماتت عام الهجرة.

وأما ثانياً: فإن فرض الصلاة اختلف فيه فقليل كان من أول البعثة، وكان ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي، وإنما الذي فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس.

وأما ثالثاً: فقد تقدم في ترجمة خديجة في الكلام على حديث عائشة في بدء الخلق أن عائشة جازمت بأن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة، فالمعتمد أن مراد من قال بعد أن فرضت الصلاة، ما فرض قبل الصلوات الخمس إن ثبت ذلك، ومراد عائشة بقولها ماتت قبل أن تفرض الصلاة أي الخمس فيجمع بين القولين بذلك، ويلزم منه أنها ماتت قبل الإسراء.

وأما رابعاً: ففي سنة موت خديجة اختلاف آخر فحكى العسكري عن الزهري أنها ماتت لسبع مضي من البعثة، وظاهره أن ذلك قبل الهجرة بست سنين فرعه العسكري على قول من قال إن المدة بين البعثة والهجرة كانت عشرة. اهـ

والحاصل أن الإسراء والمعراج كان بعد البعثة، وقبل الهجرة بالإجماع كما في الشفاء للقاضي عياض (١/ ٣٧١) قال:

والإسراء بالإجماع بعد المبعث .اهـ.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية (١/ ٢٤٧): وقيل قبل الهجرة بسنة.

قال ابن حزم وادعي فيه الإجماع .اهـ.

قلت: أما قبل الهجرة فصواب، أما التحديد فلا يثبت فيه شيء لا سنة ولا شهر ولا يوم، والله أعلم.

الرابعة: من أين كان الإسراء؟

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٥٥-٢٥٦) شرح حديث (٣٨٨٧):

قوله: في الحطيم وربما قال في الحجر، هو شك من قتادة كما بينه أحمد عن عفان عن همام ولفظه: «بيننا أنا نائم في الحطيم» -وربما قال قتادة في الحجر- والمراد بالحطيم هنا الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر، وهو وإن كان مختلفاً في الحطيم هل هو الحجر أم لا؟، كما تقدم قريباً في باب بنيان الكعبة، لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع ذلك فيها، ومعلوم أنها لم تتعدد لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، وقد تقدم في أول بدء الخلق بلفظ: «بيننا أنا عند البيت» وهو أعم، ووقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة».

وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها، قال ففقدته من الليل، فقال إن جبريل أتاني، والجمع

بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعاً، وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع، وقيل الحكمة في نزوله عليه من السقف الإشارة إلى المبالغة في مفاجأته بذلك، والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العلو. اهـ.

الخامسة: فرض الصلاة بالسماء:

فُرضت الصلاة والنبي ﷺ في السماء ليلة المعراج كما تقدمت الأدلة على ذلك.

قال الحافظ في الفتح (٥٩٦/١) شرح حديث رقم (٣٤٩):

والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج أنه لما قدس ظاهراً وباطناً حين غسل بهاء زمزم بالإيمان والحكمة - ومن شأن الصلاة أن يتقدمها الطهور - ناسب ذلك أن تفرض الصلاة في تلك الحالة؛ وليظهر شرفه في الملأ الأعلى، ويصلي بمن سكنه من الأنبياء، وبالملائكة، وليناجي ربه، ومن ثم كان المصلي يناجي ربه جل وعلا. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٧٠ / ٧) شرح حديث رقم (٣٨٨٧):

والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه ﷺ لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراکع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله له، ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصلّيها العبد

بشرائطها؛ من الطمأنينة، والإخلاص، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة، وقال: وفي اختصاص فرضيتها بلبلة الإسراء إشارة إلى عظيم بيانها، ولذلك اختص فرضها بكونه بغير واسطة، بل بمراجعات تعددت. اهـ.

السادسة: جمع بين قوله: وضع شطرها، ووضع عشرًا:

وقع في حديث أبي ذر عند ذكر الصلاة قال: «فوضع شطرها»، وفي حديث مالك بن صعصعة: فوضع عشرًا، فما الجمع؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٦٠٠/١) شرح حديث رقم (٣٤٩): قوله: فوضع شطرها: وفي رواية مالك بن صعصعة: «فوضع عني عشرًا»، ومثله لشريك، وفي رواية ثابت: «فحط عني خمسًا»، قال ابن المنير: ذكر الشطر أعم من كونه وقع في دفعة واحدة.

قلت: وكذا العشر، فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات. أو المراد بالشطر في حديث الباب البعض، وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسًا خمسًا، وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها.

وأما قول الكرمانى: الشطر هو النصف، ففي المراجعة الأولى وضع خمسًا وعشرين، وفي الثانية ثلاثة عشر، يعني نصف الخمسة والعشرين بجبر الكسر، وفي الثالثة سبعًا، كذا قال، وليس في حديث الباب في المراجعة الثالثة ذكر وضع شيء، إلا أن يقال حذف ذلك اختصارًا فينتجه، لكن الجمع بين الروايات يأبى هذا الحمل

فالمعتمد ما تقدم. اهـ.

السابعة: هل لقي النبي ﷺ الأنبياء بأرواحهم وأجسادهم؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٢٦٦/٧) شرح حديث رقم (٣٨٨٧):

تكملة اختلف في حال الأنبياء عند لقي النبي ﷺ إياهم ليلة الإسراء هل أسري بأجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة، أو أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي لقيهم النبي ﷺ وأرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل، واختار الأول بعض شيوخنا، واحتج بما ثبت في مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: «رأيت موسى ليلة أسري بي قائماً يصلي في قبره»^(١)، فدل على أنه أسري به لما مر به.

قلت: وليس ذلك بلازم، بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده في الأرض فلذلك يتمكن من الصلاة وروحه مستقرة في السماء. اهـ
قال الشيخ الأثيوبي في شرح سنن النسائي (٤١/٦):

لا داعي إلى هذه الاحتمالات التي تؤدي إلى إخراج هذه النصوص، عن ظواهرها، بل إنه صلى ﷺ صلى بالأنبياء بأجسادهم وأرواحهم، ثم لما صعد في الملاء الأعلى وجد من ذكرهم من الأنبياء كذلك روحاً وجسداً، فإن هذه الأمور غيبية يجب الإيمان بها والتسليم لها إلخ.

الثامنة: ما سبب بكاء موسى عليه السلام:

قال الأثيوبي في شرح النسائي (٥٢/٦):

لم يكن بكاء موسى حسداً - معاذ الله - فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن
آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى؟ بل كان أسفاً على ما فاتته من الأجر
الذي يترتب عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من أمته من كثر المخالفة المقتضية
لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره؛ لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه،
ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة
لهذه الأمة والله أعلم. اهـ.

التاسعة: للسماء أبواب، وحفظه:

دلت الأدلة الماضية أن للسماء أبواباً حقيقة، وحفظه موكلين بها.

وانظر شرح النسائي للأثيوبي (٧٠/٦).

العاشرة: الحكمة من سؤال الملائكة:

الحكمة من سؤال الملائكة عليهم السلام أن الله تعالى أراد إطلاع نبيه ﷺ على
أنه معروف عند الملائكة الأعلى؛ لأنهم قالوا: أو بعث إليه، فدل على أنهم كانوا يعرفون
أن ذلك سيقع له، وإلا لكانوا يقولون: ومن محمد مثلاً.

انتهى من الفتح (٢٤٩/٦).

الحادية عشر: الإجماع على الإسراء:

قال في لوامع الأنوار (٢/ ٢٨١):

واعلم أن الإسراء لا خلاف فيه؛ إذا هو بنص القرآن العظيم على سبيل الإجمال، وجاءت السنة الثابتة بتفصيله، وشرح أعاجيبه، فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضي الله عنهم أجمعين ١. هـ.

قال القاضي عياض في الشفا (١/ ٣٤٤):

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ.

قال ابن دحية في كتابه التنوير في مولد السراج المنير:

فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة، والملحدون. انتهى من محاسن التأويل (١٠/ ١٩٩).

وقال القاسمي رحمه الله عقبه:

وقد نقل الرازي عن بعض المعتزلة رد لجمال فيه - ساقها - صعب عليهم دركها.

ولا إشكال فيها في الحقيقة بحمده تعالى، ولكن هم وأمثالهم ممن ضعفت عنايتهم بفن الحديث، وغلب عليهم فن المعقول.

ولقد فاتهم بسبب ذلك خير كثير.

وليس في الأحاديث الصحيحة ما يناقض المعقول، أو الواقع بوجه ما، يعلم

ذلك الراسخون: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. هـ.

[illegible]

فَقَالَ عُمَرُ: لِعُرْوَةَ اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ أَوْ أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ أَقَامَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقْتَ الصَّلَاةِ؟

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

رواه البخاري برقم (٥٢٢) ومسلم برقم (٦١٠).

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٤ / ٢٩١):

ولما أصبح رسول الله من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي ﷺ وهو يقتدي بجبرائيل، كما جاء في الحديث عن ابن عباس، وجابر، وأمني جبرائيل عند البيت مرتين، فبين له الوقتين الأول والآخر فهما وما بينهما الوقت الموسع ولم يذكر توسعة في وقت المغرب، وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى، وبريدة، وعبد الله بن عمرو، وكلها في صحيح مسلم. اهـ

الرابعة عشر: كيفية الإسراء:

تقدمت، وأنها كانت بالروح والجسد.

الخامسة عشر: المسرى به:

المسرى به هو نبينا محمد ﷺ بالإجماع نقله الرازي في تفسير (١٤٦ / ٢٠)،

وهو تفسير غير عمدة في الصفات؛ لأنه أشعري جلد.

وهذه مسألة لا يختلف فيها.

السادسة عشر: خراب المسجد الأقصى زمن الإسراء!

قال القاسمي في محاسن التأويل (١٠/١٩٥):

قيل إن المسجد الأقصى في زمن الإسراء كان خراباً بشهادة التاريخ؛ وذلك لأن سليمان عليه السلام بناه على مكان الصخرة، ثم خرب وألقيت على الصخرة زباله البلد عناداً لليهود، وبقي كذلك حتى فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس . (انظر تاريخ أبي الفداء وغيره).

فكيف أطلق عليه اسم المسجد؟

وأجيب بأن المسجد في حال هدمه يسمى مسجدًا باعتبار ما كان عليه وما صنع له كما أطلق المسجد على حرم مكة، وهو لم يكن يومئذ مسجدًا، وإنما كان بيتًا للأصنام، لكن إبراهيم وإسماعيل لما بنيا الكعبة للعبادة الصحيحة كما بنى سليمان هيكله هذا لها سمى مسجدًا بهذا الاعتبار، أو يقال إنه أطلق عليها اسم المسجد للإشارة إلى ما يؤول إليه أمرهما وهو كونها مسجدين للمسلمين . اهـ.

السابعة عشرة: أيهما أفضل ليلة الإسراء أم ليلة القدر؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل قال: ليلة الإسراء أفضل من ليلة

القدر، وقال آخر: ليلة القدر أفضل فأيهما المصيب؟

فأجاب بأن ليلة الإسراء أفضل في حق النبي ﷺ وليلة القدر أفضل بالنسبة إلى الأمة، فحفظ النبي ﷺ الذي اختص به ليلة المعراج منها أكمل من حظه من ليلة القدر.

وحظ الأمة من ليلة القدر أكمل من حظهم من ليلة المعراج، وإن كان لهم فيها أعظم حظ، لكن الفضل والشرف والرتبة العليا إنما حصلت فيها لمن أسرى به. راجع مجموع الفتاوى (٢٨٦/٢٥)، وتفسير القاسمي (١٩٦/١٠-١٩٨).

الثامنة عشر: حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

تقدم أنه لا يثبت دليل في تعيين ليلة الإسراء والمعراج هذا أمر.

الأمر الثاني: أنه ولو ثبت دليل فلا يجوز الاحتفال بها، ولا تخصيصها بأي نوع من أنواع العبادة من ذكر، أو احتفال، أو قيام، ولا يُخص يومها بصيام ونحوه. حيث وأنه لم يفعل شيئاً من رسول الله ﷺ ولا أصحابه الكرام ولا أحد من السلف الصالح ولا من الصالحين ممن يعتبر به سلفاً ولا خلفاً، وفاعل ذلك متقول ومدع أنها في ليلة ما بغير دليل، وقد تكون في تلك الليلة التي ادعها، وهذا طريق التخمين والتخرص.

وفاعله مبتدع في دين الله، ومحدث فيه ما ليس منه.

وإنما عرف ذلك عن الصوفية وأرباب البدع والضلالات، وفتوى أئمة الإسلام وعلماء الأمة وصلحاء أهل العلم من المسلمين أن ذلك بدعة ضلالة.

أشراط الساعة

قوله: (فصل. ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ وصح به الخبر عنه بما شهدناه، أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه):

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

قوله: (وكان يقظة لا منامًا):

لأن المنامات لا تنبني عليها أحكام عقيدة، أو حلالاً أو حراماً، والرؤيا الصالحة وإن كانت جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما تقدم.

إلا أنها لا يترتب عليها أي حكم شرعي لذا فالشرع يؤخذ من الكتاب والسنة، لا بالمنامات والتخيلات والهوس ووسوسة الشيطان .

قوله: (ومن ذلك):

أي وما يجب الإيمان به غاب عنا، وأنه حق وصدق واقع، ومنه ما هو قد وقع بالنسبة لنا في هذه الأزمان كبعض علامات الساعة الصغرى وكمبعث وموت النبي ﷺ.

قوله: (أشراط الساعة):

أي علامات وأمارات الساعة.

قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أي علاماتها.

والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وهي الزلزلة، والصاخة، والواقعة، والطامة.

ومجيء الساعة ووقت قيامها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع أحد عليه قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وأشراط الساعة وأمارتها (علامتها) تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم ظهر وانقضى، وهذا كبعثة موت النبي ﷺ، وفتح بيت المقدس لحديث عوف بن مالك قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ:

مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظُلَّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا

دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هَذَنَتْ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.

رواه البخاري برقم (٣١٧٦).

الثاني: قسم ظهر، وهو مستمر لم ينقض كالتباهي في المساجد لحديث أنسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ».

رواه أبو داود برقم (٤٤٩) وهو صحيح.

ومنها كثرة الجهل، ورفع العلم، وكثرة الزنا، وشرب الخمر، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَفْشُو الزَّنا، وَيُشْرَبَ الْخُمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِحَمْسِينَ امْرَأَةً قِيَمٌ وَاحِدٌ».

رواه البخاري برقم (٨٠) ومسلم برقم (٢٦٧١).

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ».

رواه البخاري برقم (٧٠٦٢ و ٧٠٦٣) ومسلم برقم (٢٦٧٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ».

رواه البخاري برقم (٧٠٦١) ومسلم برقم (١٥٧).

الثالث: قسم لم يظهر منه شيء، وهي العلامات الكبرى.

والقسمان الأول والثاني العلامات الصغرى، ومن الكبرى ما سيذكره المصنف رحمه الله.

الدجال:

قوله: (وأن الدجال):

قال ابن منظور في لسان العرب (٢٩٣/٤):

دجل: الدجيل والدجالة القطران، والدجل شدة طلي الجرب بالقطران ودجل البعير طلاه به؟

وذكر القرطبي في التذكرة (ص ٥٤٨-٥٤٩): أن الدجال في اللغة يطلق عليها عشرة وجوه وذكرها.

وقال ابن منظور في لسان العرب (٢٩٤/٤):

الدجال: المموه الكذاب وبه سمي الدجال، والدجال هو المسيح الكذاب، وإنما دجله لسحره وكذبه قال^(١) ابن سيده: المسيح رجل من يهود يخرج في آخر هذه الأمة سمي بذلك؛ لأنه يدجل^(٢) الحق بالباطل، وقيل: لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه، وقيل: لأنه يغطي على الناس بكفره، وقيل: لأنه يدعي الربوبية سمي بذلك لكذبه، وكل هذه المعان متقاربة.

(١) كلمة (قال) ليست في لسان العرب والسياق يقتضيها.

(٢) أي يُغطي.

قال ابن خالويه: ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمرو قال:
الدَّجَال: المموه .

قوله: (الأعور):

لما روى البخاري برقم (٧١٢٧)، ومسلم (١٦٩) و(٢٢٤٥ / ٤) عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأَنْذِرُكُمْوَهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

وفي البخاري برقم (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ».

وفي البخاري برقم (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩) و(٢٢٤٧ / ٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرِي النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ إِلَّا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وفي حديث حذيفة عند مسلم (٢٩٣٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعْرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَتَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ»
قال الإمام النووي في شرح مسلم (٤٠٣ / ٢ - ٤٠٤):

قوله ﷺ: «أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية» فروي بالهمز، وبغير همز، فمن همز معناه ذهب ضوءها، ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة.

ثم إنه جاء هنا أعور العين اليمنى، وجاء في رواية أخرى أعور العين اليسرى، وقد ذكرهما جميعًا مسلم في آخر الكتاب، وكلاهما صحيح، قال القاضي عياض رحمه الله:

روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز، وهو الذى صححه أكثرهم، قال: وهو الذى ذهب إليه الأخفش، ومعناه ناتئة كتتوء حبة العنب من بين صواحبيها. قال: وضبطه بعض شيوخنا بالهمز، وأنكره بعضهم، ولا وجه لإنكاره، وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين، وأنها ليست جحراء ولا ناتئة، بل مطموسة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها، وهذا يصحح رواية الهمز، وأما ما جاء في الأحاديث الآخر جاحظ العين وكأنها كوكب، وفي رواية لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط، فتصحح رواية ترك الهمزة، ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا: بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة، هي العوراء الطافئة بالهمز، وهى العين اليمنى، كما جاء هنا، وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب، وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز، وهى العين اليسرى، كما جاء في الرواية الأخرى، وهذا جمع بين الأحاديث والروايات فى الطافية بالهمز وبتركه. وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء؛ أحدهما بذهابها، والأخرى بعييها، هذا آخر كلام القاضي وهو فى نهاية من الحسن والله أعلم. اهـ.

قوله: (خارج في هذه الأمة لا محالة كما أخبر به النبي ﷺ لا شك في ذلك، ولا ارتياب):

لما روى الإمام مسلم رحمه الله برقم (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟»

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمُرُّوْ حَاجِبُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُرَى بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ حَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْبُتُوا».

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا لَبُثُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «أَزْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَنِي، وَيَوْمَ كَشَهْرِي، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرِ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنِي أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَعِجِبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبُتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دُزَا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ حَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ

عَلَيْهِ قَوْلُهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُنْجِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيٍّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَئِينَ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُحَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَدْرِكَهُ بَابٌ لَدَّ فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُجَدِّدُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بَيْنَهُ مَرَّةً مَاءً، وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَبْرُكَهَا كَالرَّلَقَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ وَتَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا،

وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِيَ الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِيَ الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِيَ الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

وَعَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدَّثَنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَالِ، قَالَ: «إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءٌ وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَتَارٌ مُخْرَقٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ» فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ، تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ.

رواه البخاري برقم (٧١٣٠) ومسلم (٢٩٣٤-١٩٣٥).

وحديث أبي سعيد عند البخاري برقم (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الدَّجَالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمِئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ».

وفي صحيح مسلم برقم (٣٩٤٢) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمِئِذٍ، فَأَصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطْبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَطْبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكَ»، وَأُمُّ شَرِيكَ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضُّيْفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي إِنَّ أُمَّ شَرِيكَ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضُّيْفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكَ خِمَارُكَ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثُّوبُ عَنْ سَاقَيْكَ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكَ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَهْرٍ فَهْرٍ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ، «أَتَذَرُونِ لَمْ جَمْعُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ نَمِيمَا الدَّارِي كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ؛ حَدَّثَنِي: أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجَدَامٍ، فَلَمَعَبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَتُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَذَرُونَ مَا قُبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ.

قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟

قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَيْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ.
قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى
دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلَقًا، وَأَشَدَّهُ وَثَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ
مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَبِئْسَ مَا أَنْتَ؟
قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَيْرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟

قَالُوا نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ
فَلَعَبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرِبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ
فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ فَقُلْنَا: وَبِئْسَ
مَا أَنْتَ، فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ: ااعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي
الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَيْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَرَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ
شَيْطَانَةً فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَحْلِ بَيْسَانَ؟

قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَحْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّرِيقَةِ؟

قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟

قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُرْعٍ؟

قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟
قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟

قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟

قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟

فَأَخْبَرَنَاهُ: أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ: لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي تُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ يُؤَذَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجُ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنِّي عَلَى كُلِّ نَفْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمَنِيرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ

طَيْبَةُ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ نَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ،

وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ

قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ» وَأَوْ مَا بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: (وهو أكذب الكاذبين):

قال الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٣٣): حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال النبي ﷺ: «الدجال أعور وهو أشد الكاذبين».

وهو حسن.

وحديث أبي سعيد عند البخاري برقم (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ، مَسَالِحُ الدَّجَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَتَيْنَ نَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبَّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبَّنَا خَفَاءَ فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟

قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيُسَبِّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا قَالَ: فَيَقُولُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالْمِشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يَفْرَقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ: ثُمَّ يَقُولُ: لَهُ قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَرَدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بِصِيرَةً قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوْتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُمَا

قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَكْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

قوله: (وأن عيسى ابن مريم عليهما السلام نازل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيأتيه - أي الدجال - وقد حصر المسلمين على عقبة أفيق، فيهرب منه ويقتله عند باب لد الشرقي، ولد أرض بفلسطين بالقرب من الرملة نحو ميلين منها):

في حديث النواس الذي رواه مسلم برقم (٢١٣٧) وتقدم بطوله، وفيه: «ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَجِّلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْحَرَبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطْرًا وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُحَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُذْرِكَهُ بِيَابٍ لَدَّ فَيَقْتُلُهُ».

لكن قوله المصنف رحمه الله: «وقد حصر المسلمين على عقبة أفيق» هو من حديث عثمان بن أبي العاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةُ أَمْصَارٍ: مِصْرٌ بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ، وَمِصْرٌ بِالْحِيرَةِ، وَمِصْرٌ بِالشَّامِ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَرَعاتٍ، فَيَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ فَيَهْزِمُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَأَوَّلُ مِصْرٍ

يَرِدُهُ الْمِضْرُ الَّذِي بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرْقٍ فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُشَائِمُهُ نَنْظُرُ مَا هُوَ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِضْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ، وَمَعَ الدَّجَالِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ السَّيْجَانُ، وَأَكْثَرُ تَبِعِهِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمِضْرَ الَّذِي يَلِيهِ فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرْقٍ فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُشَائِمُهُ وَنَنْظُرُ مَا هُوَ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِضْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ بِغَرِيِّ الشَّامِ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَقَبَةِ أَفَيْقٍ، فَيَبْعَثُونَ سَرَحًا لَهُمْ فَيَصَابُ سَرَحُهُمْ فَيَسْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَتُصِيبُهُمْ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَحْرِقُ وَتَرَفُوسِهِ فَيَأْكُلُهُ فَيَبْتِنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّحَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَاكُمْ الْغَوْتُ ثَلَاثًا، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا لَصَوْتُ رَجُلٍ شُبْعَانَ، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَيَقُولُ لَهُ أَمِيرُهُمْ: رُوحَ اللَّهِ تَقْدَمُ صَلِّ فَيَقُولُ: هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَرَاءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَقْدَمُ أَمِيرُهُمْ، فَيُصَلِّي، فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ أَخَذَ عِيسَى حَرْبَتَهُ فَيَذْهَبُ نَحْوَ الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَاهُ الدَّجَالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، فَيَضَعُ حَرْبَتَهُ بَيْنَ ثَنَدَوَتِهِ فَيَقْتُلُهُ، وَيَنْهَزُهُمْ أَصْحَابُهُ فَلَيْسَ يَوْمِيذُ شَيْءٌ يُوَارِي مِنْهُمْ أَحَدًا حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ لَتَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ هَذَا كَافِرٌ.

رواه أحمد في المسند (٢١٦/٤ - ٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/١٣٦ -

١٣٧)، والطبراني في الكبير برقم (٨٣٩٢/٩)، والحاكم في المستدرک (٤/٤٧٨).

وفي سنده طريق على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وله شاهد عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا قَدْ حَدَرَ الدَّجَالُ أُمَّتَهُ هُوَ أَعْوَرُ عَيْنَيْهِ الْيُسْرَى بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى ظُفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَخْرُجُ مَعَهُ وَادِيَانِ أَحَدُهُمَا جَنَّةٌ وَالْآخَرُ نَارٌ،

فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّةُ نَارٍ، مَعَهُ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشْبِهَانِ نَبِيِّنِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمَا وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ أَلَسْتُ أَخِي وَأُمِيْتُ؟ فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ الْمَلَائِكَيْنِ: كَذَبْتَ مَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَاحِبُهُ فَيَقُولُ: لَهُ صَدَقْتُ، فَيَسْمَعُهُ النَّاسُ فَيَظُنُّونَ إِنَّمَا يُصَدِّقُ الدَّجَالُ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُ فِيهَا فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الشَّامَ، فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفَيْقٍ».

رواه الطيالسي كما في مسنده برقم (١١٠٦)، وابن أبي شيبة برقم (١٩٣٢٥) (١٥/١٣٧-١٣٨)، وأحمد في المسند (٥/٢٢١-٢٢٢)، والطبراني في الكبير (٧) برقم (٦٤٤٥) كلهم من طريق حشر حديثي سعيد بن جهمان عن سفينة به. وحشر وهو ابن نباته الأشجعي صدوق يهم كما قال الحافظ في التقریب: إلا أنه له تفردات .

لكن الذهبي في الميزان (١/٥٥١): ذكره ابن عدي في كلامه وسرد له عدة أحاديث منكر وعجائب. اهـ.

قلت ذكره ابن عدي في الكامل (٢/٤٣٩-٤٤٢): وذكر هذه الأحاديث مما أنكر عليه.

قال ابن كثير في النهاية (١/٧١):

تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة، والله أعلم .

اهـ.

قلت: فالحديث لا يصح، وذكر حصار الدجال للمسلمين على عقبة أفيق منكر وهو مخالف للأدلة الصحيحة الأخرى فمنها:

الأول: حديث النواس بن سمعان عند مسلم برقم (٢٩٣٧) وتقدم، وليس فيه ذكر أن الدجال يحاصرهم، وفيه أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال بباب لد.

الثاني: حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٨٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نَقَاتِنَهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللَّهِ لَا نُحَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيَقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزُهُمْ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَنْفَسِحُ الثُّلُثُ لَا يَفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينَةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَقَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ   فَاَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

الثالث: حديث عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمَكْتُ أَرْبَعِينَ لَا أَذْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَنْعَتُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ غُرُوبُ بَنٍ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمَكْتُ النَّاسَ سَبْعَ

سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ.

رواه مسلم برقم (٢٩٤٠).

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٧١ / ١٨):

قوله: «فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين» أما المنارة فبفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، ودمشق بكسر الدال وفتح الميم، وهذا هو المشهور وحكى صاحب المطالع كسر الميم، وهذا الحديث من فضائل دمشق، وفي عند ثلاث لغات كسر العين وضمها وفتحها، والمشهور الكسر.

وأما المهرودتان فروى بالبدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور ومعناه لباس مهرودتين: أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة. اهـ

ولّد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١٥ / ٥):

قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله .

وأما عقبة أفيق فقال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢٣٣ / ١):

أفيق: بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وقاف قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة أفيق، والعامّة تقول: أفيق، تنزل من هذه العقبة إلى الغور، وهي الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين. اهـ

والرملة: قال يا قوت الحموي في معجم البلدان (٦٩/٣):

والرملة واحدة الرمل مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها في خربت الآن وكانت رباطاً للمسلمين، وهي في الأقليم الثالث. اهـ.

منكرو الدجال:

الذين ينكرون الدجال هم الجهمية وبعض المعتزلة.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٦٣/١٨):

هذا مذهب أهل السنة، وجميع المحدثين، والفقهاء، والنظار، خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة، وخلافاً للبخاري المعتزلي، وموافقيه من الجهمية، وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعى مخارف، وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها؛ بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا الرعاع من الناس لسد الحاجة، والفاقة، رغبة في سد الرمق، أو تقية وخوفاً من أذاه لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأمر، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدق من صدقه في هذه الحالة؛

ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونهبوا على نقصه، ودلائل إبطاله.

وأما أهل التوفيق فلا يغترون به، ولا يخدعون؛ لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحالته، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة هذا آخر كلام القاضي رحمه الله. اهـ

وفي هذا العصر قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٣/ ٣١٧) قال:

إن الدجال رمز للخرافات، والدجل والقبائح. اهـ

هذا التفسير الذي حقه أن يسمى تكسير، والمنار الذي حقه أن يسمى الظلام.

وكذا أنكر الدجال شيخه محمد عبده المصري إذ محمد رشيد رضا نقل كلام

شيخه.

قال الشيخ العثيمين كما في مجموع فتاواه ورسائله (٥/ ٥٣):

وأجمع المسلمون على خروجه. اهـ.

صفات الدجال:

* أعور العين اليمنى، وهي التي لا يبصر بها، والعين اليسرى طائفة نائمة كما

تقدم في حديث ابن عمر المتفق عليه.

* وشديد جعودة شعر الرأس: كما تقدم في حديث النواس عند مسلم أنه

شاب قطط.

* وكثير الشعر: كما في حديث حذيفة بن اليمان عند مسلم (١٩٣٤) - ١٠٥ عَنْ حَدِيفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ، فِيمَا أَدْرَكَنَّ أَحَدًا، فَلَيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلِيُعَمَّضُ، ثُمَّ لِيُطَاطِئَ رَأْسَهُ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ يَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

وفي هذا الحديث أنه ممسوح العين (وهي الجحراء) عليها طفرة غليظة؛ قال النووي في شرح مسلم (٢٦٦/١٨ - ٢٦٧):

هي بفتح الظاء المعجمة والفاء، وهي جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعي: لحمة تنبت عند المآقي. اهـ

والمآقي جمع موق وهو: طرف العين.

* مكتوب بين عينيه كافر، كما في حديث ابن عمر، وحذيفة، وأنس: «يقرؤه كل مؤمن».

* جسيم، كما في حديث ابن عمر عند البخاري برقم (٧١٢٨): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ يَنْطُفُ، أَوْ يَهْرَاقُ رَأْسُهُ مَاءٌ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قَالُوا: هَذَا الدَّجَالُ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنِ رَجُلٌ مِنْ خُرَاعَةَ».

كما في حديث النواس عند مسلم، وقد تقدم.

ومعنى جسيم: أي عظيم الجسم.

وفي الحديث المشهور بحديث الجساسة، وهو حديث فاطمة بنت قيس المتقدم: «فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ».

وفي حديث هشام بن عامر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ».

رواه مسلم برقم (٢٩٤٦)، ومعنى جعد الرأس أي أن شعر رأسه شديد التواءه واجتماع بعضه إلى بعض وهو بخلاف السبط.

وعند الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٤٠-٣١٣) من طريق شعبة، عَنْ سَمَاقٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الدَّجَالِ: «أَعْوَرُ هِجَانٌ أَزْهَرُ كَأَنَّ رَأْسَهُ أَصْلَةً، أَشَبُّهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنِ، فَإِمَّا هَلَكَ الْهَلَكُ فَإِنَّ رَبَّكُمْ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

قَالَ شُعْبَةُ فَحَدَّثْتُ بِهِ قَتَادَةَ فَحَدَّثَنِي بِنَحْوِ مِنْ هَذَا.

وفي رواية سَمَاقٍ عَنْ عِكْرِمَةَ اضْطِرَابٍ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تَوَبَعَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ بِرَقْم (١١٨٤٣) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عِمَارٍ ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ثَنَا شَيْبَانٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ، فَالْحَدِيثُ حَسَنٌ.

إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: أَقْمَرُ بَدَلُ أَزْهَرٍ، وَهُمَا بِمَعْنَى.

قال ابن منظور في لسان العرب (١١/ ٢٩٩):

قال ابن قتيبة: الأقرم الأبيض الشديد البياض: والأثنى قمراء، ويقال للسحاب الذي يشتد ضوءه لكثرة ماءه: سحاب أقرم. اهـ.

والأزهر هو الأبيض قال ابن منظور في لسان العرب (٩٨/٦):

الأزهر الحسن الأبيض من الدجال، وقيل: الأبيض فيه حمرة. اهـ.

قلت: وبهذا يتسنى الجمع بين حديث ابن عمر عند البخاري السابق أنه أقرم وبين هذا الحديث أنه أبيض فيه حمرة.

وال «هجاه»: الأبيض كما في لسان العرب. اهـ.

أما حديث عبادة بن الصّامِتِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجٌ، جَعْدٌ، أَعْوَرٌ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِيَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ».

رواه أحمد في المسند (٣٢٤/٥)، وأبو داود (٤٢٩٨) من عون المعبود وعنده جحراء بدل حجراء.

من طريق بقية حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية أنه حدثهم عن عبادة فذكره.

وهو ضعيف لأنه من طريق بقية بن الوليد، ولم يصرح بالتحديث في شيخ شيخه، وهو يدلّس تدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس، فالحديث ضعيف.

ومعنى قوله حجراء قال ابن الأثير في النهاية (٣٤٣/١):

قال الهروي: إن كانت هذه اللفظة محفوفة فمعناها أنها ليست بصلبة متحجرة،

وقد رويت جحراء بتقديم الجيم. اهـ.

ومعنى حجراء: قال في عون المعبود (١١/٤٤٤):

والحجراء: بفتح الجيم وسكون الحاء أي ولا غائرة، والجملة المنفية مؤكدة لإثبات العين المسوحة، وهي لا تنافي أن الأخرى ناتئة بارزة كتتوء حبة العنب، قاله القاري: وفي بعض النسخ ولا جحراء بجيم فحاء.

قال في المجمع: هي الضيقة ذات غمص، ورمص، وامراته جحراء إذا لم تكن نظيفة المكان.

وقال في النهاية في باب الجيم مع الحاء ولا جحراء أي غائرة منجخرة في نقرتها قال الأزهري: هي بالحاء، وأنكر الحاء . اهـ.

وقوله ناتئة: قال: أي مرتفعة فاعلة من التتوء. اهـ من المصدر السابق .

وقوله أفحج: قال: بفاء فحاء فجيم كأسود هو الذي إذا مشى باعد بين رجله كالمختن، فهو من جملة عيوبه كذا في مرقاة الصعود . اهـ من المصدر السابق.

وروى البزار كما في كشف الأستار رقم (٣٣٨٤) قال:

حدثنا علي بن المنذر حدثنا محمد بن فيصل، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن خاله الفلتان بن عاصم قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، ورأيت مسيح الضلالة، فإذا رجلان في أندر فلان يتلاحيان فحجزت بينهما فأنسيتها، فاطلبوها في العشر الأواخر، فأما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض النحر كأنه عبد العزى بن قطن».

قال البزار: لا نعلم أحداً رواه عن النبي ﷺ إلا الفلتان، ولا له إلا هذا

الطريق. اهـ.

وقد رواه الطبراني في الكبير (١٨ / ٨٦٠) قال:

حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا سعيد بن سليمان، عن صالح بن عمر، عن عاصم فذكره .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥ / ١٢٩): ^(١) عبد الله بن إدريس، عن عاصم فذكر قصة الدجال، ولم يذكر أوله .
هذا حديث حسن .

ورواه أحمد في المسند (٤ / ٢٩١) قال:

حدثنا يزيد أخبرنا المسعودي وأبو النضر قال: حدثنا المسعودي المعنى، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره .
قلت: وهذا ضعيف؛ لأن المسعودي اختلط، ورواية يزيد وهو ابن هارون وأبي النضر وهو هاشم بن القاسم عنه بعد اختلاطه .

ولا سيما مع قول البزار أنه لا يعلم أحداً رواه عن النبي ﷺ إلا الفلتان.

بل هي منكورة لمخالفة المسعودي لثلاثة، وهم: عبد الله بن إدريس، وصالح بن عمر، وهما ثقتان، وصدوق وهو محمد بن فضيل.

ومعنى أجلى الجبهة قال في النهاية (١ / ٢٩٠):

أجلى الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته . اهـ.

والصدغان: مثني صدغ قال ابن فارس في معجم المقاييس في اللغة (ص ٥٨٨).

الصدغ وهو ما بين خط العين إلى أصل الأذن يقال: صدغت الرجل إذا حاذيت صدغة بصدغك الشيء . اهـ.

والجبهة قال ابن منظور في لسان العرب (١٧٢ / ٢):

الجبهة موضع السجود، وقيل مستوى ما بين الحاجبين إلا الناصية . اهـ.

ومعنى عريض النحر: أي واسع النحر، والنحر أعلى الصدر.

والدجال لا يولد له لحديث أبي سعيد مرفوعاً عند مسلم برقم (٢٩٢٧).

مكان خروجه في حديث النواس عند مسلم (٢٩٣٧) وتقدم بطوله قال: «إِنَّهُ

خَارَجَ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْتَبِهُوا».

وفي حديث أنس عند أحمد في المسند (٢٢٤ / ٣) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ

الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ التَّيَّجَانُ».

وفي سنده محمد بن مصعب ضعيف.

لكن له شاهد من حديث عائشة عند أحمد (٧٥ / ٦) فهو حديث حسن .

هذا بالنسبة للجزء الأول من الحديث، أما الجزء الثاني فهو عند مسلم برقم

(٢٩٤٤) عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ

سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ» .

وجاء عند أحمد (٤ / ١)، والترمذي برقم (٢٢٣٧) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ».

وهو صحيح.

وفي حديث فاطمة بنت قيس عند مسلم (٢٩٤٢) وقد تقدم بطوله بطوله: «أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ.

والجمع بين هذه الأحاديث أن مكانه هو المشرق، وهو مكان ابتداء خروجه كما في حديث أبي بكر، وجزم به الحافظ في الفتح (٩١ / ١٣) شرح حديث رقم (٧١٢٢).

وهو الذي تؤيده الأدلة، والأخرى أن الفتن من قبل المشرق من مكان يقال له يهودية أصبهان، كما هو لفظ حديث عائشة في المسند (٧٥ / ٦).

وأصبهان من خراسان كما ذكر حديث أبي بكر.

وأما الخلة التي بين الشام والعراق، كما في حديث النواس، فخروجه للمسلمين هناك وعلمهم به، والله أعلم.

ولا يدخل مكة والمدينة لحديث فاطمة بنت قيس المتقدم، وحديث أبي سعيد السابق وغيرهما.

وأما ما رواه البخاري برقم (٣٤٤٠)، ومسلم (١٦٩) - ٢٧٤ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى

كَأَشْبِهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنِ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

وعند مسلم «منكبي رجلين» بدل «منكبي رجل»، وهو أوضح.

ففي هذا الحديث أنه رجل دخل مكة وطاف بالبيت .

قال ابن حجر في الفتح (٥٩٧/٦) في شرح الحديث:

وفيه دلالة على أن قوله ﷺ: «إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة»: أي في

زمن خروجه، ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمان الماضي والله أعلم.

قلت: وفي هذا الكلام نظر من حيث إطلاق الأحاديث أنه لا يدخل مكة

والمدينة، وأن الدجال كما في حديث الجساسة أشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كفيه بالحديد، وأيضاً أنه كافر .

قال الطيبي في شرح المشكاة (٣٤٦٦/١١):

طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر مؤول بأن رؤيا النبي ﷺ من

مكاشفاته كوشف بأن عيسى عليه السلام في صورته الحسنة التي يتنزل عليها

يطوف حول الدين لإقامة أوده، وإصلاح فساد، وأن الدجال في صورته الكريهة

التي ستظهر يطوف حول الدين يبقى العوج والفساد. اهـ.

فعلى هذا فحديث ابن عمر محمول على أنها رؤيا منامية.

وفي حديث فاطمة بنت قيس حديث الجساسة أنه حي، وأنه قبل المشرق.

وسبب خروجه غلبة يغضبها، لحديث حفصة عند مسلم برقم (٢٩٣٢) أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يُخْرَجُ مِنْ غَضَبَةٍ يَغْضَبُهَا».

وفي رواية بعدها: «أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه».

مكثه في الأرض:

تقدم في حديث النواس، الذي رواه مسلم أنه يلبث في الأرض: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». ويطوف جميع الأرض إلا مكة والمدينة كما تقدم.

لا يدخل الدجال أربعة مساجد:

وهي: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى.
عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».
رواه البخاري برقم (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣).

وفي حديث فاطمة بنت قيس صحيح مسلم برقم (٣٩٤٢) عن خبر الدجال قال: «وَإِنِّي مُخْرِجُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجُ، فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كُلُّنَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»

وروى الإمام أحمد (٤٣٤-٤٣٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمُهُ أَوْ أُمَّتُهُ، وَإِنَّهٗ أَدَمَ جَعْدٌ أَغْوَرُ عَيْنَيْهِ الْيُسْرَى، وَإِنَّهٗ يُمَطِّرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ، وَإِنَّهٗ يُسَلِّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا، وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهٗ مَعَهُ جَنَّةٌ، وَنَارٌ، وَنَهْرٌ، وَمَاءٌ، وَجَبَلٌ خُبِيزٌ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ وَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهٗ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَرِدُ فِيهَا كُلُّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَغْوَرَ».

سنده صحيح.

أتباع الدجال:

أكثر أتباع الدجال هم: اليهود، والعجم، لحديث أنس عند مسلم وأبي بكر عند أحمد والترمذي وقد تقدما.

والنساء ففي مسند الإمام أحمد (٦٢/٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْحَةِ بِمَرَقَنَاءَ، فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَيْمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ».

وهذا الحديث ضعيف؛ لأن في سنده عن عنة ابن إسحاق.

لكن كون النساء من أكثر أتباع الدجال له شاهد من حديث عثمان بن أبي

العاص عند أحمد (٢١٦/٤).

وهو ضعيف؛ لأنه من طريق على بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف.

وله شاهد من حديث جابر في المسند (٢٩٢/٣) أن رسول الله ﷺ قَالَ: «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَالُ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ رَجَفَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ يَغْنِي مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمُ تَنْفِي الْمَدِينَةِ الْخَبَثِ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ يَكُونُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ».

وهو منقطع زيد بن أسلم العدوي لم يسمع من جابر، لكن الحديث حسن بالطريقين الماضيين.

وكذا يتبعه أصحاب الهلع والجشع الذين يلهثون وراء الدنيا وزخارفها، وأرى أن أهل التحزب الذين تبعون دجاجة اليوم، لا ينكفون من اتباعه كالشيعة والإخوان المسلمين، وأهل التحزب عمومًا، أما الحداثيون والعلمانيون وأشباههم فمن باب أولى؛ وذلك لكثرة ما عنده من المغريات وما يفتن به الناس، إلا من رحم الله.

وكذا المنافقون لحديث أنس أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».

رواه البخاري برقم (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣).

المغريات التي مع الدجال:

إن مع الدجال من المغريات لأصحاب النفوس الضعيفة فعند البخاري برقم (٣٤٥٢)، ومسلم (٢٩٣٤) عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَتَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

وعند البخاري برقم (٣٤٥٠)، ومسلم (١٩٣٤-٢٩٣٥) عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «لَأَنَا بِمَا مَعَ الدَّجَالِ أَعْلَمُ مِنْهُ إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ، وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ، فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ مَاءٌ، وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ نَارٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مَاءً».

وعند البخاري برقم (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩) - ١١٥، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ قَالَ: «وَمَا يُنْصَبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ».

وحديث أبي سعيد عند البخاري برقم (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الدَّجَالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضُ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمِئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ».

وغيرها من الخوارق التي جعلها الله على يديه ليعتلي به، وليختبر عباده، كما في حديث النواس المتقدم: «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَحْيُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبُتُ، فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَحْلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْحَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّخْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ».

وفي الحديث (حديث النواس) قال: كالغيث استدبرته الريح، أي سرعته.

هل ابن صياد هل هو الدجال؟

هذه مسألة اختلف فيها العلماء، وهي هل ابن صياد واسمه عبد الله، وقيل صاف، هل هو الدجال.

روى البخاري برقم (٣٠٥٥)، ومسلم (٢٩٣٠-٢٩٣١) قَالَ ابْنُ عُمَرَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ يَأْتِيَانِ النَّخْلَ الَّذِي فِيهِ ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ النَّخْلَ طَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَّقِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ، وَهُوَ يَخْتَلُ ابْنُ صَيَّادٍ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ، وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي فَطِيقَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْزَةٌ قَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: أَيُّ صَافٍ وَهُوَ اسْمُهُ فَتَارَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتُهُ بَيْنَ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٩٢٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِي: أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَالُ؟ أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي أَوْلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ، وَلَا مَكَّةَ؟» قُلْتُ: بَلَى قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْلَدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ: فَلَبَسَنِي.

قال النووي في شرح مسلم (١٨/٢٥٣):

باب ذكر ابن صياد:

يقال له ابن صياد وابن صائد وسمى بهما في هذه الأحاديث واسمه صاف، قال العلماء: وقصته مشكلة، وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟

ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة، قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة؛ فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره؛ ولهذا قال لعمر رضى الله عنه: «إن يكن هو فلن تستطيع قتله».

وأما احتجاجه هو بأنه مسلم، والدجال كافر، وبأنه لا يولد للدجال، وقد ولد له هو، وأن لا يدخل مكة والمدينة، وإن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة، فلا دلالة له فيه؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض.

ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين قوله للنبي ﷺ: «أتشهد أني رسول الله» ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشاً فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه، وقوله: إني لأعرفه، وأعرف مولده، وأين هو الآن، وانتفاخه حتى ملأ السكة.

وأما إظهاره الإسلام، وحجه، وجهاده، وإقلاعه عما كان عليه، فليس بصريح في أنه غير الدجال.

قال الخطابي: واختلف السلف في أمره بعد كبره؛ فروى عنه أنه تاب من ذلك القول، ومات بالمدينة، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس، وقيل لهم: اشهدوا.

قال: وكان ابن عمر، وجابر فيما روى عنهما يحلفان أن ابن صياد هو الدجال، لا يشكان فيه، فقيل لجابر: إنه أسلم. فقال: وإن أسلم، فقيل: إنه دخل مكة، وكان في المدينة. فقال: وإن دخل.

وروى أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن جابر قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة، وهذا يعطل رواية من روى أنه مات بالمدينة، وصلي عليه، وقد روى مسلم في هذه الأحاديث أن جابر بن عبد الله حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو الدجال، وأنه سمع عمر رضي الله عنه يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ، وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يقول: والله ما أشك أن ابن صياد هو المسيح الدجال.

قال البيهقي في كتابه البعث والنشور: اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً هل هو الدجال، قال: ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة الذي ذكره مسلم بعد هذا، قال: ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال، كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن، وليس كما قال، وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين، ووقاهم شرها.

قال: وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر فيحتمل أنه ﷺ كان كالموقوف في أمره، ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تميم.

هذا كلام البيهقي، وقد اختار أنه غيره، وقد قدمنا أنه صح عن عمر وعن ابن عمر، وجابر رضي الله عنهم أنه الدجال والله أعلم. اهـ

وما رجحه البيهقي من أن ابن صياد هو ليس الدجال الأكبر هو الصحيح وهو أعني ابن صياد دجال، لكنه ليس بالدجال الأكبر المذكور في الأحاديث، وأما قول عمر، وابنه، وجابر رضي الله عنهم فأخذوه من سكوت النبي ﷺ حيث لم يبين أنه غير الدجال الأكبر، وهذا قبل أن يوحى للنبي ﷺ ومعرفة أمره والأدلة دالة أنه ليس بالدجال الأكبر، والله أعلم.

هل ذكر الدجال في القرآن ؟

ذكر كثير من المفسرين عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

إن هذه الآيات طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة، واستدلوا بحديث أبي هريرة عند مسلم برقم (١٥٨) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨] طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ».

ما يعصم من الدجال:

الأول: الاستعاذة منه، ومن فتنته، ففي صحيح البخاري برقم (٨٣٣)، ومسلم (٥٨٩) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

وعند البخاري برقم (٧١٢٩)، ومسلم (٥٨٧) أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِيدُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

وفي صحيح مسلم (٤١٣/١) عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، عُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، عُودُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، عُودُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

وهذا الأمر أما فعله ﷺ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

رواه البخاري برقم (١٣٧٧) ومسلم برقم (٥٨٨).

وروى مسلم (٥٩٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

وأدلة هذا كثير .

الثاني: حفظ وقراءة عشر آيات من أول سورة الكهف، فعند الإمام مسلم برقم (٨٠٩) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ».

وفي حديث النّوأس السابق عند مسلم (٢٩٣٧) «...فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ».

الثالث: التسلح بالأعمال الصالحة، وطاعة الله عز وجل ففي صحيح مسلم برقم (٢٩٤٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

الرابع: العلم الشرعي وهو سبيل تقوى الله عز وجل، وبهما التخلص من كل فتنة، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

الخامس: التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

السادس: معرفة أوصافه السابقة، ولذلك بينها النبي ﷺ، وقد تقدمت.

السابع: الفرار منه، والابتعاد عنه، ففي مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٣١) وسنن أبي داود برقم (٤٣١٩) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلْيَنَأْ مِنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ». وهو صحيح.

الثامن: سكنى مكة المكرمة والمدينة المنورة كما تقدم، أن الدجال لا يدخلهما.

المحتويات

٣.....	صفة الكلام
٨.....	أقسام الوحي الشرعي:
١٠.....	صفة حامل الوحي:
١٨.....	القائلون بخلق القرآن:
٢٠.....	أول من قال بخلق القرآن:
٢٠.....	حكم القائلين بخلق القرآن:
٢٩.....	شبهات القائلين بخلق القرآن:
٤١.....	القول الحق:
٤٢.....	الواقفة:
٤٣.....	اللفظية:
٥٠.....	كلام الله بحروف
٧٣.....	كلام الله بصوت
٩٢.....	أقسام التوحيد الثلاثة
١١٤.....	التحسين والتقبيح:
١٢٠.....	ثمرة الخلاف:
١٢٤.....	الإيمان

- ١٢٧ تنوع عبارات السلف في تعريف الإيمان:
- ١٣٣ مسألة: هل الإسلام يزيد وينقص؟
- ١٤٩ الفرق بين الإسلام والإيمان
- ١٥٤ ثمرة الخلاف في التفريق بين الإسلام والإيمان:
- ١٥٦ الإيمان بالقدر
- ١٦٢ جواب شبهة الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي:
- ١٦٧ الجبرية قسمان:
- ١٦٩ القدرية:
- ١٨٣ معاني الاستطاعة:
- ١٨٤ الكسب:
- ١٨٦ مراتب الإيمان بالقدر:
- ١٩٧ النجاة في القدر بالتسليم لله
- ٢٢٢ بعض خصائص النبي
- ٢٤٥ الشفاعة:
- ٢٥٦ شروط الشفاعة:
- ٢٦٢ أقسام الناس في الشفاعة:
- ٢٦٣ المنكرون للشفاعة:
- ٢٦٤ أما أهل السنة والجماعة:
- ٢٦٤ الشافعون:

٢٦٦	أسباب الشفاعة:
٢٦٩	الصحابة
٢٧١	بم يُعرف الصحابي:
٢٧٨	عدالة الصحابة بالإجماع:
٢٧٩	مراتب الصحابة:
٢٨١	الفتح هو صلح الحديبية:
٢٩٥	أهل بيت النبوة:
٢٩٨	فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:
٣١٨	قصة مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
٣٥٩	أهل بيت النبوة
٣٥٩	المراد بأهل بيت النبي:
٣٧٦	زوجات رسول الله:
٤٠١	كرامات الأولياء
٤١٠	مجمل الفروق بين النبوة وغيرها:
٤٢٧	أقسام الخوارق:
٤٣٥	في التوسل والوسيلة
٤٤٧	النذر
٤٥٧	الرؤيا المتنامية
٤٧٣	باب منام الهمة:

- فائدة: ٤٧٦
- الإسراء والمعراج ٤٧٨
- أوهام شريك في حديث الإسراء: ٥٠٢
- الأولى: الحكمة من الإسراء: ٥٠٣
- الثانية: الإسراء مرة واحدة فقط: ٥٠٤
- الثالثة: وقت المعراج: ٥٠٥
- الرابعة: من أين كان الإسراء؟ ٥٠٧
- الخامسة: فرض الصلاة بالسماء: ٥٠٨
- السادسة: جمع بين قوله: وضع شطرها، ووضع عشرًا: ٥٠٩
- السابعة: هل لقي النبي ق الأنبياء بأرواحهم وأجسادهم؟ ٥١٠
- الثامنة: ما سبب بكاء موسى عليه السلام: ٥١١
- التاسعة: للسماء أبواب، وحفظه: ٥١١
- العاشر: الحكمة من سؤال الملائكة: ٥١١
- الحادية عشر: الإجماع على الإسراء: ٥١٢
- الثانية عشر: الخروج لم يكن على البراق وإنما كان على المعراج: ٥١٣
- الثالثة عشر: تعليم جبريل للنبي ق الصلاة صبيحة الإسراء: ٥١٣
- الرابعة عشر: كيفية الإسراء: ٥١٤
- الخامسة عشر: المسرى به: ٥١٤
- السادسة عشر: خراب المسجد الأقصى زمن الإسراء! ٥١٥

- السابعة عشرة: أيهما أفضل ليلة الإسراء أم ليلة القدر؟ ٥١٥
- الثامنة عشر: حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج: ٥١٦
- أشراط الساعة ٥١٧
- الدجال: ٥٢٠
- منكرو الدجال: ٥٣٥
- صفات الدجال: ٥٣٦
- مكثه في الأرض: ٥٤٥
- لا يدخل الدجال أربعة مساجد: ٥٤٥
- أتباع الدجال: ٥٤٦
- المغريات التي مع الدجال: ٥٤٨
- هل ابن صياد هل هو الدجال؟ ٥٤٩
- هل ذكر الدجال في القرآن ؟ ٥٥٢
- ما يعصم من الدجال: ٥٥٣
- المحتويات ٥٥٦